المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب والبلاغة والنقد

مباحثُ علمِ المعاني
في
تفسيرِ الشيخِ ابنِ عُثَيمِين
(عرضٌ ودراسة)

رسالةٌ مقدَّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص (البلاغة والنقد)

إعداد الطالب:

علي بن محمد بن علي آل نومة القحطاني

الرقم الجامعي: ٤٢٩٨٠٢١٣

إشراف:

أ. د/ دخيل الله بن محمد الصحفي

الأستاذ بقسم البلاغة والنقد

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م

طباعة الفطاني
Ali Fattani

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ملخص الرسالة

عنوانُ البحثِ هو (مباحثُ علمِ المعاني في تفسيرِ ابنِ عثيمين) - عرضٌ ودراسة -

والمؤلفُ مهتمٌّ بعلومِ اللُّغَةِ العربيةِ من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ؛ فهو بارزٌ فيها، كما كان بارزاً في الحديثِ والفقهِ وتقريرِ العقيدةِ، وقد تميّز بسلاسةِ أسلوبِه في طَرْحِ القضايا البلاغيةِ؛ ممّا يُمَكِّنُ غيرَ المختصِّينَ من الاستفادةِ منه، وبالتالي فإنّ في دراستِه تقريباً لغير المختصّين.

وقد جاءَ البحثُ في مِقدِّمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ فصولٍ، وكلُّ فصلٍ يحتوي على عِدّةِ مباحث:

وقد تحدّثتُ في المقدّمةِ عن أهميّةِ علومِ البلاغةِ في فَهمِ كتابِ الله، وعن الأسبابِ الباعثةِ على اختيارِ الموضوعِ، مع بيانِ خطّةِ السيرِ في هذا البحث، وتحدّثتُ في التمهيدِ عن ترجمةِ المؤلِّفِ، وعنايتِهِ باللغة العربية والفكرِ البلاغي.

ودرستُ في الفصلِ الأولِ (المفردة في النَّظْمِ القرآني) ومباحثَها التي تدور حولها وهي: "ملاءَمَةُ اللّفظةِ لسياقِها من حيثُ مادّتُها"، و"ملاءَمَةُ اللّفظةِ لسياقِها من حيثُ هيئتُها"، و"حروف الجر"، و"التنكيرُ"، و"التعريفُ"، وما يتّصِلُ بكلٍّ مما سبق.

ودرستُ في الفصلِ الثاني: (النّظم في الجملةِ القرآنية) ومباحثَها التي تدور حولها وهي: "التّوكيد" و"التقديم والتأخير" و"أساليب الإنشاء" و"القصر" و"خروجُ الكلام على خلافِ مقتضى الظاهر" و"الحذف والذكر"، وما يتّصِلُ بكلٍّ مما سبق.

ودرستُ في الفصلِ الثّالث: (نظم الجُمل والتراكيب) وفيه مبحثان، هما: "الإطناب" و"المناسبات" وما يتّصِلُ بهما من مطالب.

ثُمّ ختمتُ البحثَ بخاتمةٍ لخّصتُ فيها أبرزَ ما توصّلتُ إليهِ من نتائجَ وتوصيات.

الباحث	إشراف
علي بن محمد القحطاني	أ.د. دخيل الله بن محمد الصحفي

ماجستير علي القحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ . ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ملخص إنجليزي

Thesis abstract

Thesis title : (studies on the semantics on Koran Interpretation of Ibn Uthaimeen .) – a presentation and a study .

The author was interested in the branches of Arabic Language such as syntax and eloquence in which he was distinguished . He also excelled in Hadith , Jurisprudence (Feqh) and faith . His style of dealing with eloquence matters was simple . This enables the public readers to benefit . Therefore, his study is almost devoted to the non-specialists .

The research is presented through an introduction , a preface , three chapters . each chapter contains several studies .

In the introduction , I clarified the importance of eloquence as it helps in understanding the Holy Koran , he reasons for selecting this topic , the outline of the research , a biography of the author and his interest in Arabic Language and eloquence thinking

In chapter one , I studied the morpheme in Koran's style and its pertaining topics such as the " the utterance is appropriate to the context in terms of the topic . " " the utterance is appropriate to the context in terms of the its form in addition to the connective words , the definite and indefinite articles and its other pertaining rules.

In chapter two , I tackled , " the styles of the Koran sentences and its pertaining studies such as emphasis , preceding and proceeding of parts of speech , writing styles , exclusion , pun , omission and mentioning and other things in connection .

In chapter three, I studied the sentence structures including two studies as forth : assonance , occasions and other included matters .

Then, I concluded my research with the main results and recommendations

Researcher : ALI MOHAMMAD ALQAHTANI
Supervisor : Prof. Dr. DUKHAIL ALLAH MOHAMMAD ALSAHAFI

ماجستير علي القحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الإهـــــداء

- إلى مصدرِ المحبّةِ، ويَنبوعِ العطاء، ورمزِ التفاني والوفاءِ:

إلى والدِي؛ الذي نَعِمتُ بالعيشِ معه زهرةَ حياتي، رحمه اللهُ وغفرَ له، وأسكنه فسيحَ جنّاتِه.

إلى والدتي؛ رمزِ الوفاءِ والإخلاص، والتي - بحمد الله - ما زلت أنعَمُ بالعيشِ معها، حفظها الله وأمدّ في عُمُرِها على طاعتِه.

إليهما أُهدِي هذا الجُهدَ المتواضعَ علامةَ حُبٍّ، وإجلالٍ، ووفاءٍ لشخصيهما الكريمين، معترفاً بفضلِهما عليّ وعلى إخواني وأولادي.

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾[1]

داعياً الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلَ هذا العملَ نوعاً من بِرِّهما إنّه جوادٌ كريم.

ابنكما

---

(١) الإسراء: ٢٤ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

شكر وتقدير

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ خاتَمِ الأنبياءِ والمرسلين، أما بعد:

فإنيّ أشكرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ على ما أنعمَ به عليَّ من النِّعم التي لاتُعدُّ ولاتحصى، ومنها نِعمةُ هذا البحثِ الذي جعلَني أُعايشُ القرآنَ الكريمَ وأتذوّقُ شيئاً يسيراً من بلاغتِه.

ثُمَّ انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، وقول نبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ (مَنْ لايَشْكُرُ النَّاسَ لايَشْكُرُ الله)[2]؛ فإنِّي أشكرُ والديَّ اللّذَينِ ربّياني على حُبِّ العلمِ، وهيّآ لي سُبلَه منذُ نعومةِ أظفاري، وكانا نعمَ الوالدَين؛ فجزاهما اللهُ عنِّي خيرَ ما جزى والداً عن ولدِه.

كما أشكرُ أستاذي الفاضلَ القدير، الأستاذ الدكتور: دخيلَ الله بن محمّد الصحفي الذي لم يَأْلُ جُهداً في معاونتي في هذا البحثِ، ولَطَالَمَا صَبرَ عليَّ، وشَحَنَ هِمَّتي وقوّى من عزيمتي ووجّهني بتوجيهاتِه السديدة؛ والتي كانَ لها الأثرُ الواضِحُ في شخصيتي العلميّةِ وفي رسالتي:

وهو بحقٍّ حائزٌ تفضِيلا مستوجبٌ ثنائيَ الجميلا[3]

---

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، وصححه الترمذي، (٣/ ٢٢٨)، من حديثِ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصحّحه الألبانيُّ في سلسلةِ الأحاديثِ الصحيحة: (١/ ٧٠٢،ح٤١٦)

(٣) البيت السادس من بيوت ألفية ابن مالك – رحمه الله – ، قاله في سياقِ ثنائِه على ابن معطٍ – رحمه الله – في مقدمة الألفية، بلفظ :

وهو بسبق حائزٌ تفضيلا مستوجبٌ ثنائِيَ الجميلا

يُنظر: ألفية ابن مالك في النحو والصرف،أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الجياني =

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١- ١٤٣٥/٠٢/٠٦
Ali Fattani

فجزاهُ اللهُ عنّي وعن طلاّبِ العلمِ خيرَ الجزاءَ.

كما أشكرُ زوجيَ وأولاديَ الذينَ تَعبوا معي كثيراً في تحضيرِ أدواتِ البحثِ وحِفْظِ وترتيبِ ما أكتُبُه، وآزروني في مُهمّتي وكانوا نعمَ العون بعد الله تعالى.

كما أشكرُ كلَّ من ساعدني في هذه الرسالةِ برأي أو ملاحظةٍ أو دعاءٍ بظهرِ الغيبِ أو حَمْلِ لهمِّ إنجازِها.

وأخيراً: أشكرُ جامعةَ أمِّ القرى، وكليّةَ اللغةِ العربيّةِ فيها؛ حيثُ أتاحت لي فُرصةَ إكمالِ الدراساتِ العُليا فيها، كما أشكرُ أعضاءَ اللجنة العلميّةِ المناقِشة، والمكونة من:

١- أ.د. دخيل الله بن محمد الصحفي مشرفاً ومقررا

٢- أ.د. يوسف بن عبد الله الأنصاري مناقشاً داخلياً

٣- أ.د. السعيد بن عبدالمجيد النوتي مناقشاً داخلياً

مقدِّراً لهم ما أنفقوا من وقتٍ وجُهدٍ في تقويمِ وتقييمِ هذا العمل، وما سيتكرّمون به عليّ من توجيهاتٍ وإرشاداتٍ وملاحظاتٍ تُعلي من شأنِ البحث، وستكون محلّ اهتمامي وتقديري؛ فجزاهم الله خيراً.

سائلاً الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلَ هذا العملَ في ميزانِ حسناتي، وحسناتِ أهلِ الفضلِ عليّ.

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمدٍ خيرِ معلمٍ وهاد، وآله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ المعاد.

= الأندلسي دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

وقد أبدلتُ لفظةَ (بسبق) بلفظة (بحق) ؛ إذ لم يكن فضلُ الدكتور دخيل الله بسبب سبقِه إياي فحسب، إنما هو مستوجبٌ للفضلِ بعلمِه ومنزلتِه وسابقتِه بحق.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ ١١: Ali Fattani

المقدمـــــة

ماجستير علي القحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المقدمـة

الحمدُ لله القائِل ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾(1)، والـصّلاةُ والـسّلامُ عـلى خـاتَمِ الأنبيـاءِ، وإمـامِ الفُـصَحاءِ، نبيِّنـا محمـدٍ، وعـلى آلِ بيتِـه الطاهرينَ الشُّرفاءِ، وصَحْبِه الكرامِ النُّجباء، والتابعينَ، ومن تبعَهم وسَارَ على المحجّةِ البيضاءِ... أما بعد:

فإنَّ أعظمَ ما شُغِلَت الأوقاتُ بدراستِه وفَهْمِه: كتابُ الله العزيز، الّذِي لا يأتيـهِ الباطلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفِه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، وممّـا لاَشـكّ فيـه ولا امـتراء؛ أنّ علومَ البلاغةِ العربيةِ من العلومِ العظيمةِ التي لها علاقةٌ قويّةٌ بكتابِ الله العزيز، بـل إنّ طالبَ العلمِ يَظَلُّ بعيداً عن جانبٍ عظيمٍ مـن جوانـبِ عَظَمَـةِ هـذا الكتـابِ؛ حتّـى يَدْرُسَ هذه العلومَ ويَقِفَ على أسرارِ القرآنِ من خلالِها؛ يقولُ أبو هلال العسكري:

"وَقَدْ عَلِمْنَا أنّ الإنسانَ إذا أَغْفَلَ علمَ البلاغة، وأخلَّ بمعرفةِ الفَـصاحة؛ لم يَقَـعْ علمُه بإعجازِ القرآنِ من جهةِ ما خَصّه اللهُ بـه مـن حُـسْنِ التـأليفِ، وبراعـةِ التركيـبِ، وما شَحَنَه به من الإيجازِ البديعِ، والاختـصارِ اللطيـفِ، وضَـمَّنَه مـن الحـلاوةِ، وجَلّلَـه من رونقِ الطّلاوةِ، مع سُهولة كَلِمِـهِ وجزالتِهـا، وعـذوبتِها وسلاستِها، إلى غـيرِ ذلـك من محاسنِه التي عَجِزَ الخلقُ عنها، وتحيّرت عقولُهم فيها، وإنّما يُعْرَفُ إعجازُه من جِهَـةِ عَجْزِ العربِ عنه، وقصورِهم عن بلوغِ غايتِه، في حُسْنِه وبراعتِه، وسلاستِه ونَـصَاعتِه، وكمالِ معانيه، وصفاءِ ألفاظِه.

وَقَبِيْحٌ لَعَمْرِي بالفقيهِ المُؤْتَمِّ بِه، والقارِئ المهتدى بِهَدْيِه، والمتكَلِّمِ المُشَارِ إليـه في حُسْنِ مُنَاظَرَتِه، وتمامِ آلتِه في مُجادلتِه، وشِـدَّةِ شـكيمتِه في حِجَاجِـه، وبـالعربِيِّ الـصَّليبِ والقُرَشِيِّ الـصّريحِ ألاّ يَعْـرِفَ إعجـازَ كتـابِ الله تعـالى إلاّ مـن الجهـةِ التـي يعرفُـه منهـا

(1) فصلت: ٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الزّنجيُّ والنَّبطيُّ، أو أن يستدلَّ عليه بما استدلَّ به الجاهلُ الغَبيّ"[1].

ومَهْمَا قِيْلَ فإنّ من نافلةِ القول، ونظير من يُهدِي التّمرَ إلى هَجْر أن يتحدّثَ كاتبُ هذه المقَدِّمَةِ عن البلاغةِ العربيةِ وفضلِها، وعُمْقِ مادّتِها، ونَفَاذِ آلتِها، ورَصَانَةِ مَنْهَجِها، كيفَ لا؛ وهي التي تَرَعْرَعَتْ في رحابِ القرآن، ونَهلَت من معينِه، ونَشَأَتْ على عينِه، فشرُفَتْ بذلك وازدادَت، وزادَتْ أبناءَها المخلصينَ شرفاً وعلوّا.

ولما وفّقَنِي اللهُ تعالى لأنْ تكونَ رسالتي للماجستير في علومِ البلاغةِ؛ رأيتُ أن تكونَ دراستي متعلّقَةً ببلاغةِ القرآن، وقد هِبتُ الخوضَ في هذا البحرِ الزّاخرِ، ولّما أُجِدِ السباحةَ فيه بعد، ورأيتُ بعد استشارةِ أستاذي القدير الأستاذ الدكتور: دخيل الله الصحفي، أن آخذَ أحدَ التفاسيرِ التي اهتمت بالجانبِ البلاغيِّ وأدرسَه في هذه المرحلةِ وأقارنَه بغيرِه من التفاسير، وفي هذا فائدتان:

١ - دراستِي للبلاغةِ مرّةً أخرى، بِشَكْلٍ مُتَأَنٍّ دراسةً تطبيقيّةً على القرآنِ من خلالِ كلامِ المفسّرين.

٢ - اطّلاعي على عِدّةِ تفاسيرَ للمقارنةِ بينها؛ مما يزيدُني في هذا العلم رسوخاً بإذن الله.

ومن خلالِ اطّلاعي وقراءَاتي في تراثِ الشيخِ محمد بن صالح بنِ عُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عموماً وتفسيرِه على وجهِ الخصوصِ؛ فقد وقع اختياري على تفسيره، وهو أحدُ علماءِ هذا العصر، وله جهودٌ كبيرةٌ في التفسيرِ واللغةِ العربيةِ من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ، وكذلك في سائرِ علومِ القرآن، خَفِيَتْ على كثيرٍ من النّاسِ نظراً لشُهرتِه في مجالاتٍ أُخرى كالعقيدةِ والحديثِ والفقهِ وأصولِه.

---

(١) كتاب الصّناعتين، الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، ص: **١ - ٢.**

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١-١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ولمّا كانَ الأَمْرُ كذلك؛ رأيتُ إبرازَ هذا الجانبَ عندَ الشيخِ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فكانَ ذلك هو أحدُ أسبابِ اختياري لهذا البحث، إضافةً إلى ما سأوجزُه من أسبابٍ من خلالِ النِّقَاط التالية:

١ - أنّ الشّيءَ يَشْرُفُ بِشَرَفِ ما يتعلّقُ به، ولا أَشْرَفَ من تَأَمُّلِ كلامِ الله وفَهْمِ معانيه.

٢ - مكانةُ الشّيخِ العلميّةِ التي شَهِدَ له بها القاصي والدّاني، وسأتحدث عنها في التمهيدِ - بإذن الله - .

٣ - التزامُه بالمنهجِ الصّحيحِ المبنيِّ على الوحيينِ.

٤ - اهتمامُ الشّيخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ البالغ بعلومِ الُّلغَةِ العربيةِ من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ ؛ فهو بارزٌ فيها، كما كان بارزاً في الحديثِ والفقهِ وتقريرِ العقيدةِ، وتَشْهَدُ له في ذلك مؤلفاتُه، وسيتبينُ من خلالِ الرسالةِ إثباتُ ذلك بالأدِلّة والشواهد[1].

٥ـ التميُّزُ الواضحُ في تفسيرِه، وظهورُ شخصيّتِهِ البارزةِ في عَرْضِ المسائلِ ومناقشتِها؛ إذْ لم يَعْتَمِد على مُجَرَّدِ النَّقْلِ بل على الفَهْمِ ودِقَّةِ الاستنباط؛ كما هو الحالُ فيمن فَتَحَ اللهُ عليه في علومِ اللغةِ العربيّة.

٦ - سلاسةُ أسلوبِه في طَرْحِ القضايا البلاغيةِ؛ ممّا يُمَكِّنُ غيرَ المختصِّينَ من الاستفادةِ منه، وبالتالي فإنّ في دراستِه تقريباً لغير المختصّين.

٧ - كونُه لم يُفْرَدْ بالبحثِ في الجانبِ البلاغيِّ في حدود علمي.

هذا وقد وضعتُ عنواناً للبحثِ هو (مباحثُ علمِ المعاني في تفسيرِ ابنِ عثيمين) - عرضٌ ودراسة - ولم يكن هدفي استقصاءَ الأمثلةِ والشواهدِ عند المؤلف؛ وإنما كان اهتمامي منصبّاً على المباحثِ كما هو موضوعُ الرسالة؛ فأكتفي بذكرِ ما ينهضُ بالمبحث من الإشاراتِ البلاغيّة والأمثلةِ والشواهد، وقد جعلتُه في مُقدِّمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ فصولٍ، وكلُّ فصلٍ يحتوي على عِدّةِ مباحث:

(١) وسيأتي ذلك في التمهيدِ بإذن الله.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

أولاً: المقدمة: تحدثتُ فيها عن شيءٍ من أهميّةِ علومِ البلاغةِ في فهم كتابِ الله، وعن الأسبابِ الباعثةِ على اختيارِ الموضوعِ، مع بيانِ خطّةِ السيرِ في هذا البحث.

ثانياً: التمهيد: تحدّثتُ فيه عن ترجمةِ المؤلِّفِ، وعنايتِهِ باللغة العربية والدّرس البلاغي.

ثالثاً: الفصول: وتتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: بعنوان: (المفردة في النّظْمِ القرآني) وفيه خمسةُ مباحث:

المبحث الأول: بعنوان: (ملاءَمَةُ الّلفظةِ لسياقِها من حيثُ مادّتِها)، تحدّثتُ فيه عن تَلَمُّسِ المؤلفِ لَوَضْعِ لفظةٍ معيّنةٍ في سياقٍ مّا، والاهتمامِ بإيماءاتِ الّلفظ، ونظرِه في الفروقِ بين الكلمات.

المبحث الثاني: بعنوان: (ملاءَمَةُ الّلفظةِ لسياقِها من حيثُ هيئتُها)، تحدّثتُ فيه عن نظرِ المؤلفِ إلى صِيَغِ الأفعال وتناوبِها وعطفِها على بعضِها، وتوجيه المتشابه اللفظي منها، والنّظرِ إلى صِيَغِةِ التفضيلِ، والتّعرّض لصيغِ المبالغة، واختلافِ وزنِ الأفعالِ، وسرِّ تمييزِ الفعل، وصيغةِ التضعيف.

المبحثُ الثّالث: بعنوان: (حروف الجر)، تحدّثتُ فيه عن موقفِ المؤلفِ من حروفِ الجرِّ، من جهةِ إيحاءاتِها، وزيادتِها، والمتشابهِ الّلفظي المتعلّق بها، والقولِ بالتضمين.

المبحث الرابع: بعنوان: (التنكير)، تحدّثتُ فيه عن أهمِّ الأغراضِ التي عزى المؤلفُ التنكيرَ إليها، وهي: التعميم، والتعظيم، والتقليل.

المبحث الخامس: بعنوان: (التعريف)، تحدّثتُ فيه عن أهمِّ أنواعِ التعريفِ التي تكلّمَ عليها المؤلف، وهي: التعريف باسم الإشارة، والتعريف باللام.

الفصل الثاني: بعنوان (النّظم في الجملةِ القرآنية) وفيه ستّةُ مباحث:

المبحث الأول: بعنوان: (التّوكيد)، تحدّثتُ فيه عن التوكيد بالأدواتِ، وعن أضربِ الخبرِ باعتبارِ حالِ المخاطب وباعتبارِ حال مدلولِ الخبر، كما تعرض له

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

المؤلف.

المبحث الثاني: بعنوان: (التقديم والتأخير) تحدّثتُ فيه عن التقديمِ للحصرِ، والاختصاصِ، ورعايةِ الفاصلة.

المبحث الثالث: بعنوان: (أساليب الإنشاء) تحدّثتُ فيه عن: الأمر، والاستفهام.

المبحث الرابع: بعنوان (القصر) تحدّثتُ فيه عن القَصْرِ بالنّفي مع الاستثناء، والقصر بـ"إنما "، والقصر بضمير الفصل.

المبحث الخامس:. بعنوان (خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر) تحدّثتُ فيه عن "الالتفات " من التّكَلُّم إلى الغَيبةِ ومن الغَيبةِ إلى التكلُّمِ، ومن الغَيبةِ إلى الخطاب، وعن "وضع الظاهر موضع المضمَر ".

المبحث السادس: بعنوان: (الحذف والذكر)، تحدّثتُ فيه عن حذفِ الكلمةِ، وحذفِ الجملة، وحذفِ الجُمل.

الفصل الثالث: بعنوان (نظم الجُمل والتراكيب) وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بعنوان (الإطناب)، تحدّثتُ فيه عن عطْفِ العامِّ على الخاصِّ، وعطفِ الخاصِّ على العامِّ ، والاحتراس.

المبحث الثاني: بعنوان (المناسبات)؛ تحدّثتُ فيه عن عنايةِ المؤلفِ بعلم المناسبة، ومناسبةِ خواتيمِ الآياتِ للآيات؛ ومن ذلك ختمُ الآياتِ بأسماءِ الله الحسنى، وكذلك ختمُ الآياتِ بغيرِ أسماءِ الله الحسنى، ونظرُه في المناسبة بين الآيات.

والحمد لله رب العالمين..

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

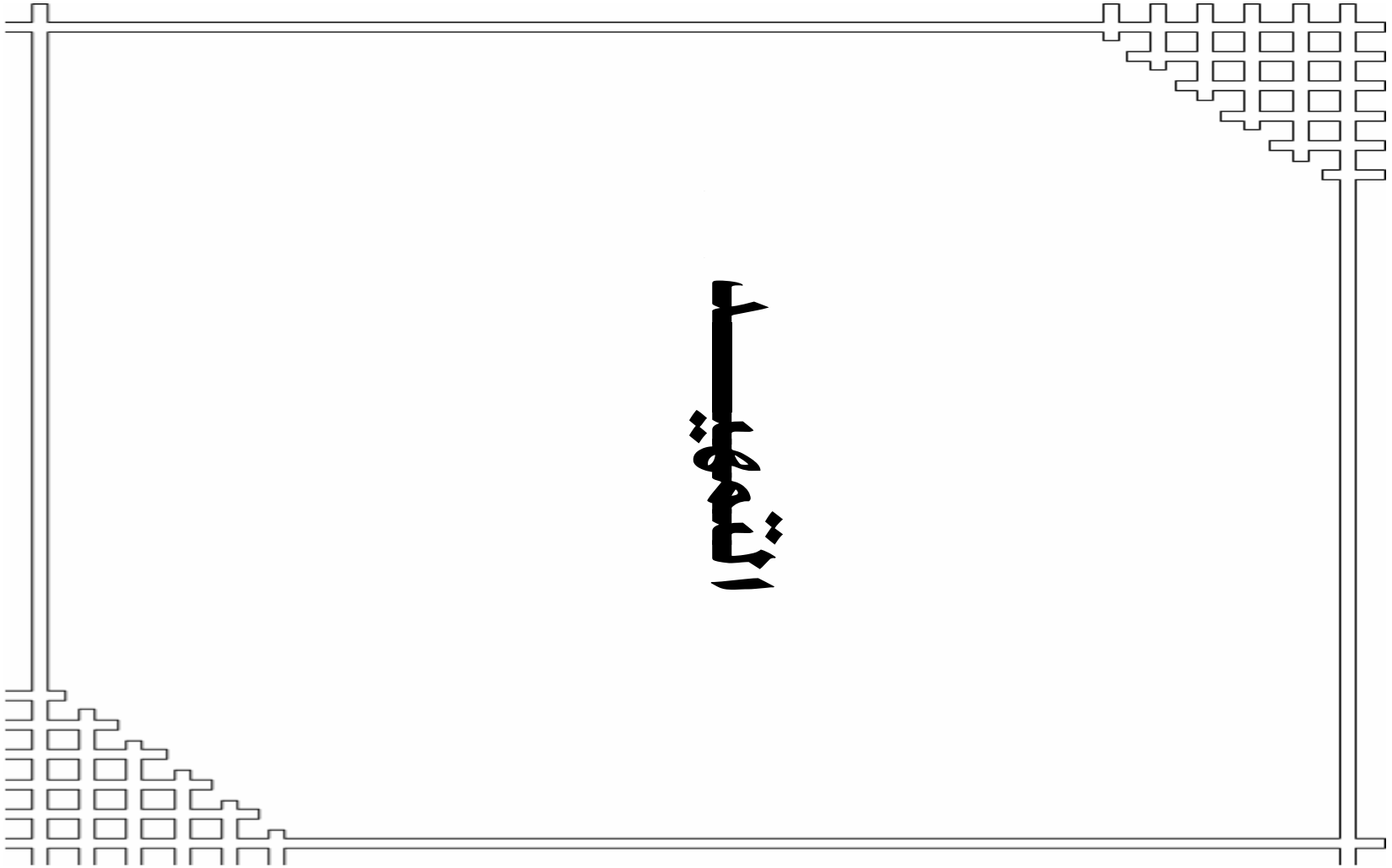

التمهيـــد

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

التمهيـــــد

وفيه ترجمةُ المؤلف

وعنايتُه باللغة العربيّة والدرس البلاغي

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

❁ اسمُه ونسبُه ومولدُه:

هو صاحبُ الفضيلة الشيخُ العالمُ المحقّقُ، الفقيه المفسّر ، الوَرِع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عُثيمين من الوَهَبَة من بني تميم.

ولد في ليلةِ السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، عام ١٣٤٧هـ في عنيزة – إحدى مدنِ القصيم – في المملكة العربية السعودية.

❁ نشأتُه العلمية:

ألحقه والدُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليتعلّمَ القرآنَ الكريمَ عند جدِّه من جهةِ أمِّه المعلِّم: عبدالرحمن بن سليمان الدامغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثمَّ تعلَّم الكتابةَ، وشيئًا من الحساب، والنصوصَ الأدبيةَ في مدرسةِ الأستاذ: عبدالعزيز بن صالح الدامغ ، وذلك قبل أن يلتحقَ بمدرسةِ المعلِّم علي بن عبد الله الشحيتان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، حيثُ حفظَ القرآنَ الكريم عنده عن ظهرِ قلبٍ، ولمّا يتجاوز الرابعة عشرةَ من عمره بعد.

وبتوجيهٍ من والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقبلَ على طلبِ العلم الشرعيِّ، وكان فضيلةُ الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السِّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرِّس العلومَ الشرعيةَ والعربيةَ في الجامعِ الكبير بعنيزة، وقد رتَّب اثنين من طلبته الكبار(1)؛ لتدريسِ المبتدئينَ من الطلبة، فانضمّ الشيخُ إلى حلقةِ الشيخِ محمد بن عبد العزيز المطوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتىّ أدركَ من العلمِ في التوحيدِ، والفقهِ، والنّحوِ ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فدرس عليه في التفسير، والحديثِ، والسيرةِ النبوية، والتوحيدِ، والفقهِ، والأصولِ، والفرائضِ، والنحوِ، وحَفِظَ مختصراتِ المتونِ في هذه العلوم.

---

(١) هما الشيخان محمد بن عبد العزيز المطوع، وعلي بن حمد الصالحي رحمهما الله تعالى.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ ١١٠
Ali Fattani

ويُعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخَه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، واتّباعه للدليل.

وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاضيًا في عنيزة؛ قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النحو والبلاغة، أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

ولما فُتح المعهدُ العلميُّ في الرياضِ أشارَ عليه بعضُ إخوانه(١) أن يلتحقَ به، فاستأذنَ شيخَه العلامةَ عبدَ الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأذن له، والتحقَ بالمعهد عامي ١٣٧٢ – ١٣٧٣هـ.

ولقد انتفع – خلال السنتين اللّتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي – بالعلماء الذين كانوا يدرِّسون فيه حينذاك، ومنهم: العلامة المفسِّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدِّث عبد الرحمن الإفريقي – رحمهم الله تعالى –.

وفي أثناء ذلك اتصل بسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري، ومن رسائلِ شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علمِ الحديث، والنظرِ في آراء فقهاء المذاهب، والمقارنةِ بينها، ويُعدُّ سماحةُ الشيخِ عبدِ العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخَه الثاني في التحصيلِ والتأثُّر.

ثم عادَ إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ وصار يَدرُسُ على شيخِه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابعُ دراستَه انتسابًا في كليةِ الشريعة، التي أصبحت جزءًا من جامعةِ الإمامِ محمد بن سعود الإسلاميّة، حتى نال الشهادةَ العالية.

---

(١) هو الشيخ علي بن حمد الصالحي رحمه الله تعالى.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

۞ تدريسُه:

توسَّم فيه شيخُه النّجابةَ، وسرعةَ التحصيل العلمي؛ فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالبًا في حلقته، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامعِ الكبير بعنيزة.

ولمّا تخرَّج من المعهدِ العلميِّ في الرياض؛ عُيِّن مدرِّسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخُه العلاّمةُ عبدُ الرحمن بنُ ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فتولّى بعده إمامةَ الجامعِ الكبيرِ في عنيزة، وإمامةَ العيدين فيها، والتدريسَ في مكتبةِ عنيزةَ الوطنيةِ التابعةِ للجامع؛ وهي التي أسّسها شيخُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبةُ، وصارت المكتبةُ لا تكفيهم؛ بدأَ فضيلةَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرِّس في المسجد الجامعِ نفسِه، واجتمع إليه الطلابُ وتوافدوا من المملكةِ وغيرِها حتى كانوا يَبلغونَ المئاتِ في بعضِ الدروس، وهؤلاءِ يَدرسُون دراسةَ تحصيلٍ جاد، لا لمجرّدِ الاستماع، وبقي على ذلك إمامًا، وخطيبًا، ومدرسًا في المعهد العلمي، من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريسِ في كليةِ الشريعةِ وأصولِ الدينِ بالقصيم، التابعةِ لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها، وكان يدرِّس في المسجدِ الحرام، والمسجدِ النبوي في مواسمِ الحج، ورمضانَ والإجازاتِ الصيفيةِ منذ عام ١٤٠٢هـ، كلُّ ذلك حتى وفاتِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وللشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسلوبٌ تعليميٌ فريدٌ في جودتِه، ونجاحِه، فهو يناقشُ طلابَه، ويتقبّلُ أسئلتَهم، ويُلقي الدروسَ، والمحاضراتِ، بهمَّةٍ عاليةٍ، ونفسٍ مطمئنةٍ، واثقةٍ، مبتهجًا بنشره للعلمِ وتقريبِه إلى الناس.

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

۞ آثاره العلمية:

ظهرت جهودُه العظيمةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلالَ أكثرَ من خمسينَ عامًا من العطاءِ، والبذلِ في نشر العلم، والتدريس، والوعظ، والإرشاد، والتوجيه، وإلقاء المحاضرات، والدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولقد اهتمّ بالتأليفِ، وتحريرِ الفتاوى، والأجوبةِ التي تميَّزت بالتأصيلِ العلمي الرّصين، وصدرت له العشراتُ من الكتبِ، والرسائلِ، والمحاضراتِ، والفتاوى، والخطبِ، واللقاءاتِ، والمقالاتِ، كما صدَرَ له آلافُ السّاعاتِ الصوتيّةِ التي سُجّلت فيها محاضراتُه، وخطبُه، ولقاءاتُه، وبرامجُه الإذاعيةُ، ودروسُه العلميةُ في تفسيرِ القرآنِ الكريم، والشّروحاتِ المتميزةِ للحديثِ الشريفِ، والسيرةِ النبويةِ والمتون، وفي سائِرِ العلومِ الشرعيةِ والنَّحْوِيَّةِ والبلاغيّة[1].

وبناءً على توجيهاتِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أُنشئ له موقعٌ خاصٌّ على شبكةِ المعلومات الدولية[2]، من أجلِ تعميمِ الفائدةِ المرجوَّةِ - بعون الله تعالى - وتقديمِ جميعِ آثارِه العلميةِ، من المؤلفاتِ والتسجيلاتِ الصوتية.

۞ أعمالُه وجهودُه الأخرى:

إلى جانبِ تلك الجهودِ المثمرةِ، في مجالاتِ التدريسِ، والتأليفِ، والإمامةِ، والخطابةِ، والإفتاءِ، والدعوةِ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ كان لفضيلةِ الشيخِ أعمالٌ كثيرةٌ موفّقةٌ؛ ومن ذلك أنه:

- عضو في هيئةِ كبارِ العلماءِ في المملكةِ العربيةِ السعوديةِ من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.

- عضو في المجلسِ العلميِّ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين

---

(١) وهي مرفوعة على موقع الشيخ الرسمي: www.binothaimeen.com فأكتفي بالإحالةِ إلى الموقع.

(٢) www.binothaimeen.com

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الدراسيين ١٣٩٨ - ١٤٠٠هـ.

- عضو في مجلسِ كليةِ الشريعةِ وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم، ورئيسًا لقسمِ العقيدة فيها.

- في آخرِ فترةِ تدريسِه بالمعهدِ العلميِّ؛ شاركَ في عضويةِ لجنةِ الخُططِ والمناهج، للمعاهدِ العلمية، وألّف عددًا من الكتبِ المقررةِ بها.

- عضو في لجنةِ التوعيةِ في موسمِ الحجِّ من عام ١٣٩٢هـ إلى وفاتِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيثُ كان يُلقي دروسًا، ومحاضراتٍ، في مكةَ والمشاعر، ويفتي في المسائلِ والأحكامِ الشرعية.

- ترأّسَ جمعيةَ تحفيظِ القرآن الكريمِ الخيريةِ في عنيزة، من تأسيسها عام ١٤٠٥هـ إلى وفاته.

- ألقى محاضراتٍ عديدة، داخلَ المملكة العربية السعودية، على فئاتٍ متنوعة من الناس، كما ألقى محاضراتٍ عبر الهاتفِ على تجمعاتٍ ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.

- من علماءِ المملكةِ الكبار، الذين يجيبون على الأسئلة والاستفسارات، حولَ أحكامِ الدينِ وأصوله عقيدة وشريعة، وذلك عبرَ البرامج الإذاعية، من المملكة العربية السعودية، وأشهرها برنامج «نور على الدرب».

- نذرَ نفسَه للإجابةِ عن أسئلةِ السائلينَ مهاتفةً، ومكاتبةً، ومشافهةً.

- رتَّبَ لقاءاتٍ علميةً مجدولة، أسبوعيةً، وشهرية، وسنوية.

- شاركَ في العديدِ من المؤتمراتِ التي عُقدت في المملكة العربية السعودية.

- عنايتُه بتوجيهِ الطلابِ، وإرشادِهم إلى سلوكِ المنهجِ الجادِّ في طلبِ العلم وتحصيلِه، وعَمِلَ على استقطابِهم، وصَبَرَ على تعليمِهم وتحمَّلَ أسئلتَهم المتعددة، واهتمّ بأمورِهم.

- وللشيخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعمالٌ عديدةٌ في ميادينِ الخيرِ، وأبوابِ البرّ، ومجالاتِ الإحسان إلى الناس، والسعي في حوائجِهم، وكتابةِ الوثائق والعقود بينهم، وإسداءِ النصيحة لهم

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ - ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

بصدقٍ وإخلاص، نحسبُه كذلك والله حسيبُه.

۞ مكانتُه العلمية:

يُعَدُّ فضيلةُ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الراسخينَ في العلمِ الذين وهبهَم الله – بمنّه وكرمِه – تأصيلاً، ومَلَكةً، عظيمةً، في معرفة الدليلِ، واتباعه، واستنباط الأحكام، والفوائد من الكتاب والسنّة، وسَبْرِ أغوارِ اللغةِ العربيةِ معانِيَ وإعرابًا وبلاغة.

ولِمَا تحلَّى به من صفاتِ العلماء الجليلةِ، وأخلاقِهم الحميدة، والجمعِ بين العلم والعمل؛ أحبَّه الناس محبةً عظيمةً، وقدّره الجميعُ كلَّ التقدير، ورزقَه اللهُ القبولَ لديهم، واطمأنُّوا لاختياراتِه الفقهية، وأقبلوا على دروسه، وفتاواه، وآثاره العلمية، ينهلونَ من معينِ علمِه ويستفيدونَ من نُصحهِ ومواعظه.

وقد مُنح جائزةَ الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ العالمية لخدمة الإسلام، عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثياتِ التي أبدتها لجنةُ الاختيارِ لمنحهِ الجائزةَ ما يلي:

أولاً: تحلِّيه بأخلاقِ العلماء الفاضلة، التي من أبرزها الورع، ورحابةِ الصدر، وقولِ الحق، والعملِ لمصلحةِ المسلمين، والنصحِ لخاصتهم وعامتهم.

ثانيًا: انتفاعُ الكثيرين بعلمه؛ تدريسًا وإفتاءً وتأليفًا.

ثالثًا: إلقاؤه المحاضرات العامّة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

رابعًا: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.

خامسًا: اتباعه أسلوبًا متميزًا في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حيًّا لمنهج السلف الصالح؛ فكرًا وسلوكًا.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

۞ وفاتـه :

تُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدينة جدّة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهرِ شوّال عام ١٤٢١هـ، بعدَ صبرٍ على المرض وصُلِّي عليه في المسجدِ الحرام بعد صلاةِ عصرِ يوم الخميس، ثم شيّعَتْه تلك الآلافُ من المصلّين، والحشود العظيمة، في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة، وبعد صلاة الجمعةِ من اليوم التالي؛ صُلِّي عليه صلاةُ الغائب في جميع مدن المملكة العربية السعودية.

رحم الله الشيخ رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومَنَّ عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدّم للإسلام والمسلمين خيرًا[1].

---

(١) هذه الترجمة منقولة – بتصرّف يسير – من موقِع الشيخ الرسمي على الشبكة العنكبوتية www.binothaimeen.com ، وللاستزادة يُنظر: الكتب التالية:

١- كتاب " الدرّ الثّمين في ترجمة فقيه الأمّة العلّامة ابن عثيمين"، المؤلّف: عصام بن عبد المنعم المرّي، أحد تلاميذ الشّيخ.

٢- كتاب " الجامع لحياة الشّيخ محمد بن صالح العثيمين " ، المؤلّف : وليد الحسن – رئيس تحرير مجلّة الحكمة.

٣- كتاب " العقد الثّمين في القصص والمواقف المشرّفة للإمام ابن عثيمين" ، المؤلف : يوسف الرّحمة ، أحد تلاميذ الشّيخ.

٤- كتاب " ابن عثيمين الإمام الزّاهد" ، المؤلف : د. ناصر الزّهراني.

٥- كتاب " صفحات مشرقة في حياة الشّيخ محمد ابن عثيمين" ، المؤلف: إحسان بن عايش العتيبي، أحد تلاميذ الشّيخ.

٦- كتاب " صفحات مشرقة من حياة الشّيخ محمد ابن عثيمين" ، المؤلف : حمود بن عبد الله المطر.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

عِنايتُه باللغة العربية والدّرسِ البلاغي

لا يشكُّ عاقلٌ شمّ رائِحةَ العلمِ، في أنّ لمعرفةِ اللغة العربيّة أهميّةً كُبرى في فَهمِ القرآنِ وتفسيرِه، وتدبُّرِه واستنباطِ أحكامِه ومعانيه؛ ولذا قال مجاهدٌ: "لا يحلُّ لأحدٍ يؤمن بالله واليومِ الآخرِ أن يتكلّمَ في كتابِ الله إذا لم يكن عالماً بلغاتِ العرب"(١)، وقال الإمامُ مالك: "لا أُوتى برجلٍ يفسّرُ كتابَ الله غيرَ عالمٍ بلغةِ العرب إلاّ جعلتُه نَكالاً"(٢).

وكذلك فيما لها من أهميّةٍ بالغةٍ، في فَهمِ السنّة المطهّرة الشريفة، التي تكلّمَ بها أفصحُ العربِ على الإطلاق، والتي هي المصدرُ الثاني من مصادرِ التشريع.

وانطلاقاً من ذلك فقد أولى الشيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ اللغةَ العربية عنايةً فائقة؛ بل كان ينافِحُ عنها؛ويحذِّرُ من أعدائها؛ كما في قوله - رحمه الله - : "ولكنّ بعضَ النّاسِ يكونُ مُغرِضاً أو سطحيّاً، فيرمي اللغةَ العربيّةَ بما هي بريئة منه"(٣)، والنّاظرُ في كتُبِ الشيخِ عموماً وتفسيرِه خصوصاً؛ يجدُ أنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُكثرُ الوقوفَ عندَ المسائلِ اللغويةِ والنّحويّةِ والبلاغيّة؛ ليُوجّه الآياتِ والأحاديثَ التوجيهَ الذي تقتضيه اللغةُ العربية، وقد شحنَ تفسيرَه بكثيرٍ من ذلك - كما سيأتي معنا في أثناءِ الدراسة - كما شحنه بكثيرٍ من الشواهِدِ النّحْويّةِ واللغويّة والبلاغيّة والصرفيّة:

فمن أمثلةِ الشواهدِ النّحويّة عنده: استشهادُه على دخولِ الشّرطِ على الشّرطِ بقول الشاعر:

إن تستغيثوا بنا إن تُذعَروا تجدوا ... منّا معاقلَ عزٍّ زانها كرمُ(٤)

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٩٢.

(٢) السابق : ١/ ٢٩٢.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء: ١/ ٢٧٨.

(٤) السابق، سورة البقرة: ٣/ ١٦٦، وللاستزادة، يُنظر: تفسير سورة البقرة: ٣/ ٤٢٥، وتفسير الصافات، =

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

كما أنّه يُكثرُ الاستدلالَ بألفيّةِ ابنِ مالك في توجيهِ المسائلِ وترجيحها[1].

ومن أمثلةِ الشواهدِ اللغويّة عنده: استشهادُه على أنّ المرادَ بـ"الجهالة" السفاهةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[2]، بقولِ الشاعر:

ألا لايجهلــــنْ أحـــدٌ علينـــا فنجهـلَ فـوقِ جهـلِ الجاهلينـا[3]

ومن أمثلةِ الشواهدِ البلاغيّة عنده: استشهاده على تأكيد المدحِ بما يُشبه الذّمَّ بقول الشاعِر:

ولاعيـبَ فـيهم غـيرَ أنّ سـيوفَهم بهـنّ فلـولٌ مـن قـراعِ الكتائـبِ[4]

ومن أمثلةِ الشواهدِ الصرفيّة عنده: استشهاده على أنّ "فَعِيل" بمعنى "مُفْعِل" بقول الشاعر:

أمِــن ريحانــةِ الــداعي الــسّميع يُــؤَرّقُني وأصــحابي هجــوعُ

فـ:السّميع" بمعنى المُسمع[5].

كما خصَّ اللغةَ العربيّة عموماً - والبلاغةَ خصوصاً - بتآليفَ مُفْرَدة، ومن كُتُبِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المجال: (شرح ألفية ابن مالك) و(مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) و(شرح المقدّمة الآجرُّميّة) و(شرح الدرّة اليتيمة في النّحو) و(شرح دروس

= الآية: ٧٢، وتفسير يس، ص: ١١٧، ١٦٨، ٢٤٢.

(١) وقد اعتنى بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشرحها كاملةً، وطبعت عن دار ابن الجوزي في ثلاثة مجلدات .

(٢) النساء: ١٧.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء: ١/ ١٣٧.

(٤) السابق، سورة البقرة: ١/ ٣١٣.

(٥) السابق، سورة البقرة: ٢/ ١٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١-١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

البلاغة) و(رسالة في قواعد الإملاء)[1]، ونتيجةً لاهتمامِه باللغةِ العربية فقد أصبحَ بحقٍّ عَلَمًا بارزاً فاقَ نظراءَه وبزّ أقرانَه، كيف لا، وهو يأتي البيوتَ من أبوابها.

غفرَ الله له ورحمه، وجعلَ ما قدّمَه - في خدمةِ اللغة العربية الشريفةِ وسائرِ علومِ الشريعةِ - في ميزانِ حسناتِه، وجمعنا به في جناتِ النعيم .

والحمد لله ربّ العالمين...

---

(١) وجميعُ هذه المؤلفات مطبوعٌ ومتداولٌ – بحمد الله - ،إضافةً إلى أنها مرفوعةٌ على موقع الشيخ الرّسمي على الشبكة العنكبوتية: www.binothaimeen.com

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الفصل الأول

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الفصل الأول

المفردة في النظم القرآني

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: ملاءمة اللفظة للسياق من حيثُ المادة.
- المبحث الثاني: ملاءمة اللفظة للسياق من حيثُ الهيئة.
- المبحث الثالث: حروف الجر.
- المبحث الرابع: التنكير.
- المبحث الخامس: التعريف.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المبحثُ الأول
ملاءمةُ اللفظةِ للسِّياق من حيثُ المادَّة

يُعَدُّ هذا المبحثُ من أهمِّ المباحثِ البلاغيَّةِ - إن لَمْ يَكُنْ أهمَّها على الإطلاق - ومما يُبَيِّنُ أهميَّته قولُ الإمامِ الخَطَّابيِّ:

"ثم اعلمْ أنَّ عمودَ هذه البلاغةِ التي تجتمعُ لها هذه الصِّفَاتُ هو وضْعُ كلِّ نَوْعٍ مِنَ الألفاظِ التي تَشْتَمِلُ عليها فُصُولُ الكلامِ موضُوعَه الأَخَصُّ الأَشْكَلَ به، الَّذِي إذا أُبْدِلَ مكانَه غيرُه جاء منه: إمَّا تَبَدُّلُ المعنى الذي يكونُ منه فسادُ الكلامِ، وإمَّا ذَهَابُ الرَّونَقِ الذي يكونُ منه سُقُوطُ البلاغة"[1].

ويقولُ ابنُ عَطِيَّةَ في مُقَدِّمَةِ تفسيرِه: " كتابُ الله لو نُزِعَتْ منه لفظةٌ؛ ثم أُدِيرَ لسانُ العربِ في أن يُوجِدَ أحسنَ منها لم يُوجِدْ، ونحن تَبِينُ لنا البراعةُ في أكثرِه، ويخفى علينا وجهُها في مواضع؛ لقصورِنا عن مرتبةِ العربِ يومَئذٍ؛ في سلامةِ الذَّوقِ، وجَودَةِ القريحةِ، ومَيزِ الكلام" [2].

بَلْ إنَّ لكلِّ لفظةٍ في اللُّغةِ معنىً دقيقاً خاصّاً بها؛ إذ إنّ: "كلَّ حرفينِ أوقَعَتْهُمَا العربُ على معنىً واحدٍ في كلٍّ منهما معنىً ليس في صاحبِه، ربَّما عَرَفْناه فَأَخْبَرْنا به، وربَّما غَمُضَ علينا فلم نُلزمِ العربَ جَهْلَه "[3].

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القران، الإمام الخطابي، تحقيق الدكتور محمد خلف أحمد وَ: د.زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، ١٩٩١م، ومنه نقل عبد العظيم المطعني، انظر: دراسات جديدة في إعجاز القران، د.عبدالعظيم المطعني، أميرة للطباعة: القاهرة - الناشر مكتبة وهبة: القاهرة الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس: ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م، ١ / ٣٩.

(٣) كتاب الأضداد، ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة حكومة الكويت: الكويت، =

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ ٠١١
Ali Fattani

وقد كان للعربِ في ذلك شأنٌ لا يُنْكَرُ، ومن يقرأُ أخبارَ جَرِيرٍ الذي كان يُهَاجِيْهِ - فيما يقال - ثلاثةٌ وأربعونَ شاعراً [1] يجدُ أنَّ الدَّافِعَ إلى اشتباكِهِ مع بَعْضِ الشُّعَرَاءِ يَعُودُ إلى تَقْبِيْحِهم لبعضِ قولِه، وإلى تقبيحِه لبعضِ أقوالِهم، ولذلك فإنَّ الذي هاجَ الهجاءَ بين جَرِيرٍ وعُمَرَ بنِ لجَأ، أنَّ عُمرَ كان يُنْشِدُ أُرْجُوزَةً له يَصِفُ فيها إبلَه، وجريرٌ حاضرٌ بالماءِ فقال التيميُّ:

قَدْ ورَدَتْ قَبْلَ إنى[2] ضُحَائِها ... تُقَرِّشُ الحيَّاتِ في خِرْشَائِها

جَرَّ العجوزِ الثِّنيَ مِنْ رِدَائِها

فقال له جَرِيرٌ أَخْفَفْتَ، قال فكيفَ أقولُ؟ قال تقول:

جَرَّ العروسِ الثِّنَى من رِدَائِها [3]

فتعرّضَ له يقول: كان أولى بِكَ أن تقولَ: (جَرَّ العروسِ) لا (جَرَّ العجوز) التي تَتَسَاقَطُ خَوَراً وضَعْفَاً، ومدارُ مُلاحظةِ جَرِيرٍ على انتخابِ الكلمةِ المُلائِمَةِ للسِّياق[4]، وفي نَقْدِ النَّابِغَةِ أبياتَ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خيرُ دليلٍ على ذلك.. [5].

= ١٩٦٠ م، ص: ٧، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، شرحه وصححه وعنونَ موضوعاتِه وعلّق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث: القاهرة، الطبعة الثالثة، ١/ ٣٩٩-٤٠٠، وانظر: الفروق اللغوية، وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، مكتبة العبيكان: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ص: ٩٢.

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تحقيق: سمير جابر، الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية ٨ / ١١

(٢) إنى ضحائها: وقت ضحائها.

(٣) الأغاني: ٨/ ٧٥.

(٤) يُنظر: البلاغة تطور وتاريخ، المؤلّف: شوقي ضيف، دار: المعارف، الطبعة الحادية عشرة ص: ١٦-١٧.

(٥) ينظر في نقد النابغة لأبيات حسان، كتاب الأغاني ٩/ ٣٨٣، ومصادر الأدب الأخرى.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وقد أُلِّفت عِدّةُ كتبٍ في هذه المعاني الدَّقيقةِ لكلِّ لفظةٍ، ومن أشهرِها: "الفروقُ اللُّغَوِيَّة" لأبي هلالٍ العسكري، ورُغْم كلِّ هذه الأَهَمِّيَّةِ التي أشرتُ إلى شيءٍ منها من خلالِ هذه النُّقُول؛ فإنَّها لَمْ تُدرَسْ - فيما أعلم - دراسةً مُسْتَقِلّةً تَطْبِيْقِيَّةً خاصَّةً بالكلماتِ القُرآنية[1]، وإن كانَ الكثيرُ من تلكَ الكلماتِ قد دُرِسَ في بعضِ التَّفاسيرِ، ومن أشهرِ من اهتمّ بهذا الجانبِ من القُدماء: البقاعيُّ في "نظمِ الدُّرر"، وأبو السُّعُودِ في كثيرٍ من النِّكاتِ في تفسيرِه، ويَبْرُزُ في هذا الجانبِ من المعاصرين: الطاهرُ بنُ عاشور، ثم: محمد رشيد رضا، وهو أقلُّ اهتماماً بهذا الجانبِ من الطَّاهِرِ بنِ عاشور - رحمة الله على الجميع - وقد أشارَ إلى عدمِ وجودِ كتبٍ خاصَّةٍ في هذا الموضوعِ بعضُ الباحثين[2].

هذا وقد اهتمَّ المؤلفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الجانبِ من الدَّرْسِ البَلاغِيِّ، ونستطيعُ أنْ نَتَلَمَّسَ المعالِمَ الرَّئِيسةَ التي كانَ المؤلفُ ينظرُ من خلالِها إلى اللَّفظةِ في النِّقاطِ التَّالِية:

أولاً: تَلَمُّسُ السِّرِّ البلاغيِّ في وضعِ لفظةٍ في سياقٍ معيَّن، من خلالِ ما يُوحِي به هذا اللَّفظُ من معنى:

فعندَ قولِه تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[3] يقول المؤلفُ: "قال الله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ﴾ ولَمْ يَقُلْ: ما حرَّمَ

---

(١) أما من الناحية النظرية فيوجد كتاب الشايع؛ المشار إليه في الحاشية السابقة.

(٢) ينظر: مباحث المعاني في تفسير روح البيان، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى، للباحث: محمد نصيف، إشراف أ.د. دخيل الله الصحفي، ص: ١٠، وينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع: عمّان - الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، ص: ٧، ودراسات جديدة في إعجاز القرآن، ص: ٥.

(٣) الأنعام: ١٥١

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ ٠١١
Ali Fattani

اللهُ؛ لأنَّ الرَّبَّ هُنَا أنسبُ؛ حيثُ إنَّ الرَّبَّ له مُطْلَقُ التَّصَرُّفِ في المربوبِ، والحُكمِ عليه بما تقتضيه حكمتُه "[1].

ولَمْ أَجِدْ من المفسرينَ من أشارَ إلى هذه النُّكْتَةِ اللَّطِيفةِ، إلا أنَّ لها نظائرَ عند بعضِهم، كقولِ الشعراوي: عندَ قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[2] قال: "ولَمْ يَقُلْ: اتقوا الله؛ لأنَّ اللهَ مفهومُه العبادةُ، فالإلهُ معبودٌ له أوامرُ وله نواهٍ، لم يَصِلِ الحقُّ بالنَّاسِ لهذه بعد، إنَّما هم لا يزالون في مرتَبَةِ الربوبيةِ، والرَّبُّ هو: المُتَوَلِّي تربيةَ الشيءِ، خَلْقاً من عدمٍ وإمداداً من عدم"[3].

ولعلَّ ماذكره المؤلفُ - في آيةِ الأنعامِ - ملحظٌ لطيفٌ؛ فعند التَّأَمُّلِ في الآيةِ نجد أن لفظةَ ﴿رَبُّكُمْ﴾ أنسبُ لعدَّةِ أمور:

أولا: أنّ الخطابَ من النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سيكونُ إلى قومٍ لم يؤمنوا بألوهيّةِ الله؛ فاللهُ عَزَّوَجَلَّ يقولُ لنبيّه ورسولِه محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يامحمد: قُلْ لهؤلاءِ المشركينَ، الذين عبدُوا غيرَ الله، وحرّموا ما رَزَقَهم الله، وقتَلوا أولادَهم، وكلّ ذلك فعلوه بآرائِهم، وتسويلِ الشياطينِ لهم، قل لهم: ﴿تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ أي: أقصُّ عليكم، وأخبرُكم بما حرّمَ ربُّكم عليكم حقاً، لا تخرصاً، ولا ظناً، بل وحياً منه، وأمراً، من عنده عَزَّوَجَلَّ[4]؛ فلاينا سبُ أن يقولَ (تعالوا أتلُ ماحرّم إلاهُكم عليكم) فُهُمْ لَمْ

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، الجزء الأول، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ ص: ١/ ٣٦.

(٢) النساء: ١

(٣) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، راجع أصله وخرّج أحاديثه: أ.د. أحمد عمر هاشم، دار أخبار اليوم: القاهرة: ١/ ٥٩٢.

(٤) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م: ٢/ ٢٢٩ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

يؤمنوا به إلاهاً؛ حتى يناديَهم بالألوهيّة،وإنما المناسبُ لحالِ المشركينَ هو الربوبية؛ لإقرارهم به كما سيأتي.

ثانيا: أن في لفظة ﴿رَبُّكُمْ﴾ تُشعرُ بمعنى التربية، والامتنان، والفضل، والإنعام، والشفقة؛ فكأنه يذكّرهم بذلك ويقول: ربٌّ ربّاكم بنعمه، وتفضل عليكم بالإيجاد والإمداد؛ ألا يستحقُّ يُفردَ وحدَه بالعبادةِ دون سواه؟(١)

ثالثا: وَرَدَ في الآيةِ التَّكَفُّلُ بالرِّزْقِ، وذلكَ في قوله ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ والرِّزْقُ مُتَعَلِّقٌ بالرُّبُوبِيَّةِ فَنَاسَبَ ذِكْرُ لَفْظَةِ ﴿رَبُّكُمْ﴾؛ كونَها أخصَّ بذلك من لفظِ الأُلوهية.

ولذلك نجدُ في آيةِ النِّساء - السَّابقة - اقترانَ الخَلْقِ بالرُّبُوبيَّة، واقترانَ السُّؤَالِ بالله وصِلَةِ الأَرْحَامِ بالأُلُوهِيَّةِ؛ وذلك لأنَّها عباداتٌ مَحْضَةٌ - هذا من جِهَة - ومن جِهَةٍ أُخرى أنَّ لفظةَ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ تُناسبُها الرُّبُوبِيَّةُ؛كونَ الرُّبُوبِيَّةُ لاينكرُها أحدٌ مِنَ النَّاسِ مُؤْمِنِهم وكافِرِهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾(٢)، بينما المؤمنونَ تناسبُهم الأُلُوهِيَّةُ؛كونَهم مؤمنينَ بها، وإن خاطبَهم بلفظ الربوبيَّةِ فهو مناسِبٌ لهم أيضاً؛ ولذلك وردَ في القُرآنِ خِطَابُ المؤمنينَ بـ(اتقوا ربَّكم) في مَوضِعٍ واحدٍ، وذلك في قولِه تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾(٣)؛ لشُمولِ الرُّبُوبِيَّةِ للمؤمنِ وغيرِه، بينما لم يَرِدْ خطابُ عُمُومِ النَّاس بـ(اتقوا الله)؛ لأنَّ

---

(١) يُنظر: تفسير الإمام الفخر الرازى المسمى (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة:الأولى، ٢٥/ ٣٥و ٢٩ / ٩٤، وينظر كذلك معترك الأقران للسيوطي ٢ / ١١٥ .

(٢) لقمان: ٢٥

(٣) الزمر: ١٠

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الأُلُوهِيَّةَ تَخْتَصُّ - في الخِطَاب[1] -بالمؤمنينَ دون غيرِهم - كما تقدَّم -؛ فإذا خاطبَ اللهُ (النَّاس) - عموماً - خاطبَهم بالرُّبُوبِيَّةِ، كما في آيةِ النساء - السابقة - وكما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١﴾[2]

وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمٗا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٣٣﴾[3] وإذا خاطبَ المؤمنين خاطبَهم بالألوهيَّة - كما تقدّم-[4].

كما يلاحظُ- أيضاً - أنَّه سبحانَه إذا خاطبَ (النَّاس) بالتَّقوى كان ذلك في الأمورِ المشتركَةِ بين المؤمنِ والكافرِ -كما في الآياتِ السابقة - من ذِكْرِ (الخلقِ والسَّاعَةِ)، وهذا يشتركُ فيه المؤمنُ وغيرُه، أما إذا خاطَبَ المؤمنينَ بالتَّقوى كان ذلك فيما يخصُّهم من تكاليفَ ونحو ذلك، كما في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

---

(١) وقلتُ في الخطاب؛ لأنَّه عند التحقيق فالعبدُ سواءٌ أكان مؤمناً أم غيرَ مؤمنٍ فلا إله لَهُ - بحقٍّ - إلا الله، لكن عند التعبيرِ والخطابِ يُخاطبُ كلٌّ بما يقتضيه حالُه الذي هو عليه؛ فالبلاغةُ هي مراعاةُ الكلامِ لمقتضى الحال، كما يُعرِّفُها البلاغيون.

(٢) الحج: ١

(٣) لقمان: ٣٣

(٤) هذا في خطاب الله تعالى لعبادِه - كما ذكرت- ، أما في غير الخطاب؛ كتمجيد الله والثناء عليه سبحانه، ونحوذلك؛ فقد تقترن لفظة (الناس) بالإلهية؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾ الناس:٣، أي: مستحقّ الألوهيةِ من الناسِ جميعاً؛ فهو إلاهُهم الحق ؛ كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ٦٢﴾ الأنعام: ٦٢؛ وقال ابن تيمية رحمه الله: "وإن كانت الإلهيةُ تتضمّنُ الربوبيةَ، والربوبيةُ تستلزمُ الإلهيةَ؛ فإنّ أحدَهما إذا تضمّنَ الآخرَ عندَ الانفرادِ؛ لم يمنعْ أن يختصّ معناه عند الاقترانِ؛ كما في قوله : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾ الناس: ١ - ٣، وفي قوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾ الفاتحة: ٢، فجمعَ بينَ الاسمين : اسمِ الإله، واسمِ الرب؛ فإنّ الإلهَ هو المعبودُ الذي يستحقُّ أن يُعبد، و الربُّ هو الذي يَرُبُّ عبدَه فيدبره" يُنظر: الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، دار المعرفة - بيروت،الطبعة الأولى ، ١٣٨٦،تحقيق : حسنين محمد مخلوف: ٥/ ٢٤٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾[1].

ولعلَّ ذلك لا يُعارِضُ التَّعْليلاتِ الأُخرى التي يُعَلِّلُ بها العلماءُ في هذا السِّياقِ، فكلُّ هذه التعليلاتُ تتفق في مدلالاتها العامّة، وتختلف في كلِّ موضعٍ بحسبه؛ كما في قولِ الفَخْرِ الرَّازِي، عندَ قولِه تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾[2] حيثُ يقولُ: "ولَمْ يَقُلْ (من الله)، مع أنَّ ما تَقَدَّمَ كانَ كُلُّه بذكرِ الله،كقولِه: ﴿أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ وقولِه: ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ وذلكَ لأنَّ (الرَّبّ) اسمٌ مدلُولُه الخاصُّ به الشَّفَقَةُ والرحمةُ، و(اللهُ) اسمٌ مدلُولُه الهَيْبَةُ والعَظَمَة، فعندَ النَّصْرِ ذَكَرَ اللَّفْظَ الدَّالَّ على الرَّحمةِ والعَاطِفَةِ، وعندَ العذابِ ذَكَرَ اللَّفْظَ الدَّالَّ على العظمة"[3].

ويُؤكِّدُ ذلك عندَ قولِه تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ [4] فيقول "ولَمْ يَقُلْ: (واذكر إلهَكَ) ولا سائرَ الأسماءِ، وإنَّما سمَّاه في هذا المقامِ باسمِ كونِه ربَّاً، وأضافَ نَفْسَه إليه، وكلُّ ذلك يَدُلُّ على نهايةِ الرَّحمةِ والتَّقْرِيْبِ والفَضْلِ والإحسان، والمقصودُ منه أنْ يَصِيرَ العبدُ فَرِحاً مُبتهجاً عندَ سَمَاعِ هذا الاسم؛ لأنَّ لفظَ الرَّبِّ مُشْعِرٌ بالتَّرْبِيَةِ والفَضْل.." [5].

ومن عنايةِ المؤلّفِ بذلكَ ماذكرَه عندَ قولِه تعالى: "﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾[6] حيثُ يقول: "ولَمْ يَقُلْ: (أكثرُ عملاً)؛ لأنَّ العبرةَ بالأحسنِ لا بالأكثر.."[7].

---

(١) البقرة: ٢٧٨

(٢) العنكبوت: ١٠

(٣) تفسير الرازي: ٢٥/ ٣٥.

(٤) الأعراف: ٢٠٥

(٥) تفسير الرازي ٢٩ / ٩٤، وينظر كذلك معترك الأقران للسيوطي ٢ / ١١٥

(٦) الكهف: ٧

(٧) تفسيرابن عثيمين، سورة الكهف، ص: ١٩.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ويقولُ ابنُ كثيرٍ – بعبارةٍ أكثرَ وضوحاً –: "ولَمْ يَقُلْ: (أكثرُ عملاً) ، بل ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولا يكونُ العملُ حسناً حتى يكونَ خالصاً لله عَزَّوَجَلَّ، على شريعةِ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فمتى فَقَدَ العملُ واحداً من هذينِ الشَّرطينِ حَبِطَ وبَطَل"[1]، وللزمخشريِّ كلامٌ يَحْسُنُ إيرادُه في هذا السِّياق، حيثُ يقول:" قلت: الذينَ هم أحسنُ عملاً هُمُ المتَّقونَ، وهُمُ الَّذِين استبَقُوا إلى تحصيلِ ما هو غرضُ الله من عبادِه، فَخَصَّهم بالذِّكْرِ واطَّرَحَ ذِكْرَ مَنْ وراءَهم؛ تشريفاً لهم وتنبيهاً على مكانِهم منه، وليكونَ ذلكَ لُطفاً للسَّامعين، وترغيباً في حيازةِ فضلِهم"[2].

ولعلّ في مجيءِ التمييز (عملاً) إشارةً إلى أن التَّمْييزَ بينَ العبادِ يكونُ بالعملِ لا بغيرِه، والله تعالى أعلم.

ثانياً: الاهتمامُ بإيماءاتِ اللَّفظِ بشكلٍ واضح:

من ذلك ما ذَكَرَه عندَ قولِ الله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً ﴾[3]، والآيةُ تتحدَّثُ عن قتلِ الخطأِ، يَلمحُ المؤلفُ التَّعبيرَ بالتوبةِ رغمَ أنَّ الإنسانَ قَتَلَ بغيرِ عَمْدٍ، فيقول: "وعلى القاتلِ خطأً مع الكَفَّارةِ أن يتوبَ ، لقولِ الله تعالى: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وحينئذٍ يَرِدُ على ذلك إشكالٌ ، وهو: كيفَ تَجِبُ عليه التَّوبةُ مع أنَّ فِعْلَه خطأ؟! فنقول: لأنَّ الخطأَ قد يكونُ نتيجةً للتساهلِ في عدمِ التَّحري ، مثلا: من قَتْلِ الخطأِ أن يرميَ صيداً فيصيبُ آدميّاً ، فنقول: هذا الرَّجلُ لو أنه تَأَنَّى حتى تَحَقَّقَ الأمرُ لَسَلِمَ من هذا الخطأ، فلذلكَ لَمَّا كانتِ النُّفُوسُ عظيمةً ، والعدوانُ عليها عظيماً، وكانَ الإنسانُ قد يُقَصِّرُ في بعضِ الأحيانِ أوجبَ اللهُ الكفَّارةَ

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٣٣..

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج٢، ص ٣٦١.

(٣) النساء: ٩٢

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وأوجبَ التَّوبة"[1].

وقد أَلْمَحَ بعضُ المفسرين إلى ذلكَ التَّعْبيرِ ، ومنهم صاحبُ روحِ البيانِ، حيث قال: "فإن قيل: قَتْلُ الخطأِ لا يكونُ معصيةً؛ فما معنى التوبةُ؟ قلت: إنَّ فيه نوعاً من التقصيرِ؛ لأنَّ الظاهرَ أنَّه لو بالغَ في احتياطٍ لما صَدَرَ عنه ذلك؛ فقوله: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ تنبيهٌ على أنَّه كان مُقَصِّراً في تَرْكِ الاحتياط"[2]

وقد أجابَ الرازيُّ بمثلِ هذا الجوابِ ، وأجابَ بجوابينِ آخرينِ، يجعلانِ التعبيرَ بالتوبةِ من المجازِ العقلي[3].

ومن ذلك وقوفُه عندَ قولِ الله تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[4]، حيث يقول: "﴿يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: لا يُخْطِئُكُمْ ولا تفوتونَه ، بل في آيةٍ أخرى ما هو أشدُّ ، حيثُ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[5] ولَمْ يَقُلْ فإنَّه لاحقُكم ، بل قال: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ ، وما ظنُّكَ بشيءٍ إذا فَرَرْتَ منه لاقاكَ؛ تكونُ أنت أسرعَ إليه مما لو كان يلحقُكَ ولا شك؛ لأنَّه يجتمعُ فرارُك ، والثاني ملاقاتُك فيكونُ أسرع "[6].

فقد أَلْمَحَ المؤلفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى سرِّ التعبيرِ بلفظِ الإدراكِ وهو: عدمُ الإخطاءِ والتفويتِ، وهذا الذي أشارَ إليه المؤلفُ هو مايدلّ عليه أصلُ كلمةِ (أَدْرَكَ)؛ فـ"الدَّالُ والرَّاءُ والكافُ أصلٌ واحدٌ، وهو لُحوقُ الشَّيء بالشّيء ووُصوله إليه، يقال: أدْرَكْتُ

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء: ٢/ ٨٠

(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربى، ٢/ ٢٦٠

(٣) ينظر: تفسير الرازي ١٠ / ١٨١ فما بعدها، ومباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٤٠ .

(٤) النساء: ٧٨

(٥) الجمعة: ٨

(٦) تفسير ابن عثيمين، سور النساء: ١ / ٥٥٧

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الشّيءَ أُدْرِكُه إدراكاً، ويقال: فرس دَرَكُ الطريدةِ، إذا كانت لا تَفوتُه طريدة"[1].

كما أنَّ المؤلف - أيضاً - قد أوضحَ سرَّ التعبيرِ بـ﴿مُلَٰقِيكُمْ﴾ دونَ (لاحقكم) في آيةِ الجمعةِ - كما تقدّم -، ثم إنَّ في ذِكْرِ (الإدراكِ) دونَ (اللَّحَاق) إشعاراً ببيانِ شِدَّةِ الهرب وأنَّهم في الهربِ منه وهو مجدٌّ في طلبِهم [2]، وذلكَ لأنَّ اللَّحاقَ قد يُطلقُ على الوصولِ إلى شيءٍ ليس هارباً؛ ففي حديثِ كعبِ بنِ مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي رواه البخاريُّ في قِصَّةِ توبتِه - أنَّ مَلِكَ غَسَّانَ أَرْسَلَ إلى كَعْبِ بنِ مالكٍ: "أمَّا بعدُ: فإنِّي قد بَلَغَنِي أنَّ صاحبَكَ قد جَفَاكَ، ولَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيَعَةٍ؛ فالْحَقْ بنا نُواسِكْ.... الحديث"[3]؛ فَمِنَ الواضِحِ أنَّه لايَصْلُحُ في هذا السِّياقِ أنْ يقولَ: فَأَدْرِكْنَا؛ لأنَّ قولَه: (أَدْرِكْنَا) يَدُلُّ على أنَّه إنْ تَأَخَّرَ فاتَه إدراكُهُم، ولم يكنِ الحالُ في الواقعِ كذلك[4]، والله تعالى أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[5]، يقول المؤلف: "انظر كلمة: ﴿وَأُلْقِيَ﴾ كأنّهم جاءوا وَسَجَدُوا من غيرِ عقلٍ؛ لقوّةِ ما وَرَدَ على قلوبِهم من الآياتِ التي يعرفونَ أنَّها ليست سحراً"[6].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.،مادة (درك) ٢/ ٢٩٦.

(٢) تفسير روح البيان: ٢/ ٢٦٠ .

(٣) صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، برقم (٤٤٨١) ١٠/ ٥٠٥.

(٤) يُنظر: مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٤٠.

(٥) الأعراف: ١٢٠.

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ١/ ٤٨٨.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقد وقف المفسِّرون عند سرِّ التعبيرِ بالإلقاءِ في هذه الآيةِ[1]، ومن أجمَعِ ما قيلَ في ذلك – من وجهة نظري – ما ذكَره الألوسيُّ حيثُ يقول: "والمراد من ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ أنّهم خَرُّوا ساجدين، وعبّرَ بذلك دونه تنبيهاً على أنّ الحقّ بَهَرَهم واضطرَّهم إلى السُّجُودِ بحيثُ لم يَبْقَ لهم تَمالكٌ؛ فكأنّ أحداً دَفَعَهم وألقاهُم، أو أنّ اللهَ تعالى أَلْهَمَهم ذلك وحَمَلَهم عليه؛ فالملقِي هو الله تعالى بإلهامِه لهم؛ حتّى ينكسرَ فرعونُ بالذين أرادَ بهم كَسْرَ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وينقلبَ الأمرُ عليه، ويُحتملُ أن يكونَ الكلامُ جارياً مجرى التمثيلِ مبالغةً في سرعةِ خرورِهم وشِدّتِه، وإليه يُشيرُ كلامُ الأخفش، وجوّزَ أن يكونَ التعبيرُ بذلك مُشاكلةً لما مَعَه من الإلقاءِ إلا أنّه دونَ ما تقدم"[2]، ولذلك يقول قتادة: كانُوا أوّلَ النَّهارِ كفّاراً سَحَرة، وفي آخرِه شُهداءَ بَرَرَة[3].

ومن الآياتِ التي تَوَقَّفَ عندَها المؤلفُ -في هذا الجانب- قولُه تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾[4]، حيثُ يقول: "﴿صَاحِبُكُمْ﴾ جاءَ بهذا الوصفِ لفائدتينِ: الأولى: الإشارةُ إلى أنَّهم يَعْرِفُونَه، ويَعْرِفُونَ نَسَبَه، ويَعْرِفُونَ صِدْقَه، ويَعْرِفُونَ أمانتَه، فهو ليسَ شخصاً غريباً عنهم حتىَّ يقولوا لانؤمنُ به لأَنَّنَا لانعرفُه، بل هو صاحبُهم الذي نَشَأَ فيهم؛ فكيفَ بالأمسِ يَصِفُونَه بالأمينِ والآنَ يصفونَه بالكاذبِ الخائِن.

---

(١) يُنظر: تفسير الكشاف: ٢/ ١٣٣، وتفسير البيضاوي،"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي، دار الفكر – بيروت،٣/ ٤٨، وتفسير البحر المحيط – المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي / دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م / الطبعة: الأولى / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض / شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوتي – د.أحمد النجولي الجمل ٤/ ٣٦٤.

(٢) تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٩/ ٢٦.

(٣) يُنظر: تفسير الكشاف: ٢/ ١٣٣، وتفسير البحر المحيط: ٤/ ٣٦٤.

(٤) النجم: ٢.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الثانية: أنَّه إذا كانَ صاحبَهم فَمِنْ مُقْتَضَى الصُّحْبَةِ أنْ يُصَدِّقُوه ويَنْصُرُوه لا أنْ يَكُونُوا أعداءً له؛ فهو لَمْ يَقُلْ: (ما ضَلَّ رسولُ الله) أَوْ (ما ضَلَّ محمدٌ)، بَلْ قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ والفائدةُ مِنْ هذا هو: أنَّ مُقْتَضَى الصُّحْبةِ أنْ يكونوا عارفينَ به ومُقْتَضَى الصُّحْبَةِ أن يكونوا مُنَاصِرِينَ له"[١].

وقَدْ رأى هذا الرأيَ وقريباً منه مُعْظَمُ المفسرين[٢]، ولكنْ يقولُ الشِّرْبِيْنِيُّ بعبارةٍ أكثرَ وضوحاً: "وعبَّرَ بالصُّحْبَةِ؛ لأنَّها مع كونِها أدلَّ على القَصْدِ، مُرَغِّبَةً لَهُم فيهِ، ومُقْبِلَةً بِهِمْ إليهِ، ومُقَبِّحَةً عليهم اتهامَه في إنذارِه، وهم يعرفونَ طهارةَ شمائِله"[٣].

كما أنَّ في ذلك تأكيداً لإقامةِ الحُجَّةِ عليهم[٤]؛ فيكونُ اختيارُ هذه اللَّفْظَةِ - ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ - من وجهة نظري - غايةً في التَّعْبِيْرِ عن المقصودِ ونَفْي المنسوبِ افتراءً عليه، فيقالُ لهم: هو صاحبُكم وأنتمْ بِه أعْرَفُ، والله أعلم.

ثالثا: نظرُه في الفروق:

ويمكنُ تقسيمُ نَظَرِ المؤلفِ في ذلكَ من خلالِ أمرينِ اثنين، هما:

١-التفريقُ من حيثُ المادَّة.   ٢- التفريقُ من حيثُ الهيئة.

١-التفريقُ من حيثُ المادَّة:

يَتَمَثَّلُ ذلكَ في العنايةِ بالمعنى الدَّقِيقِ للكلمةِ، والفُرُوقِ بينَ الكلماتِ التي قَدْ يَظُنُّ البعضُ ترادفَها التام؛ فالمؤلِّفُ يُولِي هذا الجانبَ اهتمامَه ومن ذلك قوله: "يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إنّه ليس في اللّغة شيءٌ مترادفٌ .. بل لا بُدّ من فَرْق، وإلا لكانَ

---

(١) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد: ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) ينظر: تفسيرإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٨/ ١٥٤ ، وتفسير روح المعاني: ٢٧/ ٤٥ فما بعدها.

(٣) تفسير السراج المنير، لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية - بيروت، ٤/ ٨٠.

(٤) تفسير روح المعاني: ٢٧ / ٤٦

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١، ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

في اللّغـةِ العربيـةِ شيءٌ مـن الحـشو، لا بُـدّ مـن فَـرْق حتّـى كلمـة (أسَـد) و(ضِرْغـام) و(غَضَنْفر)، وما أشبَه ذلك وإنْ كان مدلُولهُا واحداً، لكنْ لا بُدّ أن تكونَ كلٌّ واحدةٍ منها مشتملةً على معنىً دقيق يُفَرِّق بينها وبين الأخرى"(١).

على أنَّه في بعضِ المواضِعِ يقولُ بالتّرادفِ ويُثبته؛ ومن ذلك قولُه: "فإن الترادفَ فيـه إثـراءٌ للّغَـةِ العربيـة وسـعَةٌ للّغـة العربيـة، حيـثُ تُطلَـقُ كلمتـانِ فـأكثر عـلى معنـىً واحد"(٢)، ومن ثَمّ فإنّه لايرى في بعضِ المواضـع فرقـاً بـينَ اللفظتـين (٣)، وفي بعـضِها يقول بالتّفريق كما سيأتي، والذي يظهر لي - في توجيـه ذلـك - أنّـه لايتكلّـف التفريـق؛ فإن ظهر له الفرقُ قال به وإن لم يظهر له قال بالترادف، وفي هذا – من وجهة نظـري – جمعٌ بينَ قوليه السابقين(٤)، ومن الأمثلةِ عند المؤلف:

----

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة: ١/ ٤٧٣، والنقاط تشير إلى محذوف وهو قوله (يعني مائة بالمائة) لعدم تناسب الجملة مع البحث العلمي، و شيخ الإسلام هو (ابن تيمية) يُنظر كلامه في: أصول التفسير لـشيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد السلام الحرّاني، مع شرحها للشيخ صالح آل الـشيخ، مكتبـة دار المنهـاج، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٤هـ، ص: ٥١ – ٥٢ ، وقد نقل المؤلف قوله بتصرف، ورأي ابـن تيميـة هـو الذي ذهب إليه جماعة من أئمة اللغة - وهو الصواب بإذن الله - كما سيأتي في حاشية (٤) .

(٢) السابق، سورة النساء: ١/ ٢٧٨.

(٣) من ذلك: الفرق بين "النصيب" و"الكفل"؛ حيثُ لايرى بينهما فرقاً، كما سيأتي قريباً.

(٤) على أن الصحيح في مسألة الترادف؛ هو أنَّه لاترادفَ في اللغة العربيـة، فـضلاً عـن القـرآن الكـريم، وهـذا هو رأي جماعةٍ من أئمة اللغة، بشروطٍ وضعوها، من أمثال: ابن الأعرابي – وهو أول من قـال بـذلك – ، وثعلـب، وأبي بكـر بـن الأنبـاري، وابـن فـارس، وابـن درسـتويه، وأبي هـلال العـسكري، والراغـب الأصفهاني، رحمهم الله.

يُنظر: الترادف في اللغة، لحاكم مالك الزيادي، دار الحرية – بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، وينظر:ظاهرة الترادف في اللغة العربيـة وعـن أبي هـلال العـسكري، لفـوزي فهـيم حسين، بحـثٌ منـشور عـلى الـشبكة العنكبوتية

http://www.voiceofarabic.net/index.php?option=com_content&view=article&id=648:2010-05-24-18-36-26&Itemid=336

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ما ذكره عند تفسيره لقولِه تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾[1] حيثُ فرّقَ بين "الشَّكِّ" "والرَّيْبِ" فقال: "و"الرَّيْبُ" هو "الشَّكُّ"؛ ولكنْ ليسَ مطلقَ الشَّكِّ؛ بل الشَّكُّ المصحوبُ بقلقٍ لقوَّةِ الدَّاعِي الموجِبِ للشَّكِّ؛ أو لأنَّ النَّفْسَ لا تَطْمَئِنُّ لهذا الشَّكِّ؛ فهي قَلِقَةٌ منه، بخلافِ مطلقِ الشَّكِّ؛ ولهذا من فَسَّرَ الرَّيْبَ بالشَّكِّ فهذا تفسيرٌ تقريبيٌّ؛ لأنَّ بينهما فرقاً"[2]، وعند قولِه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[3] يُضِيفُ المؤلفُ: "والشَّكُّ يكونُ في الأمورِ الهَيِّنَةِ"[4].

وقد تعدَّدت آراءُ العلماءِ في ذلك، فمنهم من لَمْ يَرَ بينهما فرقاً؛ فجعلَ الرّيبَ بمعنى الشّك، ومنهم من يرى أنَّ هناك فرقاً؛ فجعلَ الرَّيْبَ شَكّاً يَصْحَبُه تُهْمَةٌ، أو جَعَلَه شَكّاً يَصْحَبُه قلقٌ واضطرابٌ، أو جَعَلَ الشَّكَّ سبباً للرَّيْبِ ومَبْدَأً له، وسأعرِضُ شيئاً من ذلك:

قال المَاوَرْدِيُّ: "وفي "الرّيب" تأويلان:

أحدُهما: أنَّ الرَّيْبَ هو "الشَّكُّ"، وهو قولُ ابنِ عباسٍ[5] ومنه قولُ عبدِ الله بن الزِّبَعْرَى:

لَيْسَ في الحَقِّ يَا أُمَيْمَةُ رَيْبٌ ... إِنَّمَا الرَّيْبُ مَا يَقُولُ الجَهُولُ

---

(١) البقرة: ٢

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة ١/ ٢٦

(٣) البقرة: ٢٣

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة ١/ ٨١

(٥) وذلك في مسائله مع نافع بن الأزرق ، قال له: أخبرني عن قوله عزّ وجل لا ريب فيه قال: لا شك فيه قال: وهل تعرف العرب ذلك قال: نعم: وأنشده بيت ابن الزبعريّ الآتي، ينظر الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت،١٩٩٣م / ج١ ص٦٠، وهو مروي عن قتادة ومجاهد في قوله " لا ريب فيه" قالا: لا شك فيه. ينظر الدر المنثور ١/ ٦٠. ولعلَّ في قول ابن عثيمين "لهذا من فسّر الريب بالشك فهذا تفسير تقريبي" إشارة إلى ذلك.

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١.
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

والتأويلُ الثَّاني: أنَّ الرَّيبَ هو "التهمة"(١)، ومنه قولُ جميل:

بُثَيْنَةُ قالتْ: يا جَمِيلُ أَرَبْتَنِي فَقُلْتُ: كِلاَنَا يَا بُثَيْنُ مُرِيبُ"(٢).

وهذا التَّأويلُ الثَّاني قال به من اللُغويين أبو هلالٍ العسكريِّ، حيثُ يقول: "الشَّكُّ: هو تَرَدُّدُ الذِّهْنِ بينَ أمرينِ على حدٍّ سواء، وأمَّا الرَّيْبُ: فهو شَكٌّ مع تُهْمَةٍ، ودلَّ عليهِ قولُه تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَارَيْبَۛ فِيهِ﴾"(٣).

وقال الكفوي: "الشَّكُّ سَبَبُ الرَّيْبِ،كأنَّه شَكَّ أولاً فيوقِعُه شَكُّهُ في الرَّيْبِ؛ فالشَّكُّ مبدأُ الرَّيْبِ، كما أنَّ العِلْمَ مبدأُ اليقينِ، والرَّيْبُ قد يجيءُ بمعنى القَلَقِ والاضطرابِ، والحديثُ – (دع ما يَرِيْبُك إلى ما لا يَرِيْبُكَ فإنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِيْنَةٌ والكَذِبَ رِيْبَةٌ) (٤) – منه"(٥).

أما ابنُ فارسٍ فيرى أنَّ:"الرَّاءَ والياءَ والباءَ أُصَلٌ يدلُّ على شكٍّ، أو شكٍّ وخوفٍ؛ تقولُ: رابَنِي هذا الأمرُ، إذا أدخَلَ عليك شَكّاً وخَوفا"(٦).

---

(١) ونحوه في تفسير الخازن ، فعند قوله تعالى: (وإنهم لفي شك منه مريب) قال: مريب (يعني أنهم قد وقعوا في الريب والتهمة) يُنظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م، ٣ / ٢٥٥، وهو رأي أبي هلال العسكري – كما سيأتي قريبا –.

(٢) تفسير النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان –تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ١/ ٦٧

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن العسكري، علَّق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (لونان) ٢٠٠٩،: ص١١٤.

(٤) الحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل برقم ١٧٢٣، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون:/ ٢٤٩ .

(٥) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.،تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري.

(٦) مقاييس اللغة، مادة (ريب) : ٢/ ٤٦٣ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقال ابنُ عاشور: "والرَّيْبُ: الشَّكُّ، وأصلُ الرَّيْبِ: القلقُ واضطرابُ النَّفْس... ولَمَّا كانَ الشَّكُّ يَلْزَمُه اضطرابُ النَّفْسِ وقلقُها، غلبَ عليه الريبُ؛ فصارَ حقيقةً عُرْفِيَّةً، يقالُ: رابَه الشَّيْءُ إذا شَكَّكَه أي بِجَعْلِ ما أوجبَ الشَّكَّ في حالِه"[1]، وهذا هو ما رجَّحَه المؤلفُ - كما تقدَّمَ -؛ ويكونُ المؤلّفُ - أيضاً - قد تفرَّدَ بقولِه "والشَّكُّ يكونُ في الأمورِ الهيِّنَةِ" ومفهومُه: أنَّ الرَّيْبَ يكونُ في الأمورِ العظيمةِ، وهذا ما لَمْ أَجِدْهُ عندَ غيرِه؛ فيكونُ فيه إضافةٌ إلى أقوالِ المفسرين واللُغَويين - الذين يرون أن بينَهما فرقاً- وهو قولٌ مُتَوَجِّهٌ من - وجهة نظري -؛ فكونُ الرَّيْبِ لايكونُ إلا في الأمورِ العظيمةِ؛ فقد ناسبَ ذلكَ عظمةَ القرآنِ ، وكونُه منتفياً عن القرآنِ العظيمِ فمن بابِ أولى انتفاءُ الشَّكِّ عنه، ولذلك قال الله سبحانه: ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ ولم يَقُلْ (لا شَكَّ فيه)، والله أعلم.

ومن ذلك: تفريقُه بين (**الخَشْيَةِ**) و(**الخَوْفِ**) فعندَ قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[2] حيثُ يقول: "و(الخشيةُ)، و(الخوفُ) متقاربان؛ إلا أنَّ أهلَ العلمِ يقولون: إنَّ الفرقَ أنَّ (الخشيةَ) لا تكونُ إلَّا عن علمٍ؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[3] بخلافِ (الخوف): فَقَدْ يخافُ الإنسانُ من المَخُوفِ وهو لا يعلمُ عن حالِه.

والفرقُ الثاني: أنَّ (الخشية) تكونُ لِعِظَمِ المَخْشِيِّ؛ و(الخوف) لِضَعْفِ الخائِف، وإنْ كانَ المَخُوفُ ليسَ بعظيمٍ، كما تقولُ مثلاً: الجَبَانُ يخافُ من الجَبَان، - يخافُ أن يكونَ شُجَاعاً - وعلى كلِّ حالٍ إنْ صَحَّ هذا الفرقُ فهو ظاهرٌ؛ لكنَّ الفرقَ الأَوَّلَ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: المعروف بتفسير ابن عاشور، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ١/ ٢١٩، وينظر: تفسير البحر المحيط: ١/ ١٥٥.

(٢) البقرة: ١٥٠

(٣) فاطر: ٢٨

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

واضحٌ؛ وهو أنَّ (الخشيةَ) إنَّما تكونُ عن علمٍ"[١].

وباستقراءِ أقوالِ علماءِ الُّلغَةِ والتفسير حولَ هذه التَّفْرِقَةِ نَجِدهم فريقين: فريقاً يرى أنَّه لافرقَ بينهما، وفريقاً يرى أنَّ بينهما فرقاً، وسَأَعْرِضُ شَيْئاً من أقوالِ الفريقينِ واختلافِهِم حولَ هذا المعنى:

الفريقُ الأول: من يرى أنَّ (الخشية والخوف) بمعنىً واحدٍ، وأنَّه لا فرقَ بينهما إلا على سبيلِ التَّجَوُّزِ، وعلى هذا أَئِمَّةُ الُّلغَةِ وبعضُ المفسرين.

وقَدْ عُدْتُ إلى ابنِ فارسٍ الذي كانَ له اهتمامٌ في بيانِ دِلالةِ كلِّ كلمةٍ فوجدتُّه لا يُفَرِّقُ بينهما؛ فكلاهما عنده بمعنىً واحد؛ يقول في مادةِ (خَشِي):

"الخاءُ والشِّيْنُ والحرفُ المعتلُّ يدلُّ على خَوفٍ وذُعْرٍ، ثمّ يُحْمَلُ عليه المجازُ، فالخَشيَةُ الخَوْفُ، ورجلٌ خَشْيَانُ، وخَاشَانِي فلانٌ فخشَيْتُه، أيْ كنتُ أشَدَّ خَشْيةً منه، والمجاز قولُهم خَشِيت بمعنى عَلِمت، قال الشاعر:

ولقد خَشِيت بأنَّ مَن تَبِعَ الهُدى سكَنَ الجِنَانَ مع النبيِّ محمدِ"[٢]

ومِمَّنْ مالَ إلى هذا الرأي من المفسّرين أبو حيَّانَ الأندلسيُّ، حيثُ يقول: "والذي تَدُلُّ عليه الُّلغَةُ والاستعمالُ أنَّ (الخشيةَ والخوفَ) مترادفان، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾، كما قالَ هنا: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾"[٣]، وقد ذهبَ إليه ابن عاشور – أيضا –[٤] ثم خَرَّجَ قولَه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[٥] في حقّ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قضيَّةِ تزوّجِه زينبَ بنتَ جَحْشٍ، بعد أنْ طَلَّقَهَا زيدُ بنُ حارثةَ[٦] – بأنَّها ليستْ هي خشية

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٥٦، وتفسير سورة المائدة ١/ ٤٣ .

(٢) مقاييس اللغة، مادة (خشي) ٢/ ١٨٤.

(٣) تفسير البحر المحيط:١/ ٦١٦.

(٤) تفسير التحرير: ٢ / ٣٨٩.

(٥) الأحزاب: ٣٧.

(٦) يُنظر: صحيح البخاري: برقم (٤٧٨٧) .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١- ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

خوفٍ، وإنَّما هي كراهةٌ واستشعارٌ في النَّفْسِ؛ فيقولُ:"والخَشْيَةُ هنا كراهِيَةُ ما يُرْجِفُ به المنافقونَ، والكراهَةُ من ضُرُوبِ الخشيةِ؛ إذ الخشيةُ جنسٌ مقولٌ على أفرادِه بالتَّشْكِيكِ، فليست هي خشيةَ خوفٍ؛ إذ خشيةُ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يَكُنْ يخافُ أحدٌ من ظهورِ تَزَوُّجِهِ بزينبَ، ولم تَكُنْ قد ظَهَرَتْ أراجيفُ المنافقينَ بعدُ، ولكنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يَتَوَسَّمُ من خُبْثِهم وسوءِ طَوِيَّتِهم ما كانَ منهم في قَضِيَّةِ الإفكِ، ولم تَكُنْ خشيةٌ تَبْلُغُ به مَبْلَغَ صَرْفِه عمَّا يرغبُه؛ بدليلِ أنَّه لم يَتَرَدَّدْ في تَزَوُّجِ زينبَ بعد طلاقِ زيدٍ، ولكنَّها استشعارٌ في النَّفْسِ وتقديرٌ لما سيرجفُه المنافقون"[1].

والفريقُ الثَّاني: يرى أنَّ بينهما فرقاً من حيثُ الدّلَالَةُ، وعلى ذلك جمهورُ المفسرين، وقد اختلفوا في بيانِ وجهِ الفَرْق، فقال الزَّمَخْشَرِيُّ: "الخشيةُ لا تكونُ إلا بالمعرِفَةِ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [2]"[3]، وبه قال الرازيُّ[4]، وكذلكَ الألوسيُّ حيثُ يقولُ - عندَ قولِه تعالى: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾[5] - :"وأهديكَ إلى ربِّك، أي: أُرْشِدُكَ إلى معرفتِه عَزَّوَجَلَّ فتعرفه فتخشى؛ إذ الخشيةُ لا تكونُ إلا بعدَ معرفتِه"[6]، والألوسيُّ يشيرُ إلى أنَّ في تقديمِ الهدايةِ على الخشيةِ إشارةً إلى أنَّ الخشيةَ لا تكونُ إلا بعلم[7]، وفي الأقوال مايُؤَيِّدُ ماذهبَ إليه المؤلّفُ في إيضاحِ الفرق.

ويرى المَاوَرْدِيُّ: أنَّ الخوفَ فيما ظهرت أسبابُه والخشيةَ فيما لم تظهرْ أسبابُه[8]،

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ٢١/ ٢٦٣.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) تفسير الكشاف: ٤/ ٦٩٥.

(٤) تفسير الرازي: ٢/ ٤٧.

(٥) النازعات: ١٩.

(٦) تفسير روح المعاني ٣٠/ ٢٩.

(٧) السابق: ٣٠/ ٢٩ .

(٨) تفسير النكت والعيون: ٣ / ٣٩٣.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وأما أبو السُّعُود فيرى: أنَّ أصلَ الخشيةِ الخوفُ مع التعظيم؛ ولذلك خُصَّ بها العلماء[١]، وهو كذلك قول البيضاوي[٢]، وقولُ صاحبِ السِّراج المنير[٣].

وقد فرّقَ أبو هلالٍ العسكريِّ بينَ اللفظتينِ بكلامٍ يَحْسُنُ إيرادُه؛ حيثُ يقولُ: "الفرقُ بينَ (الخوفِ والخشيةِ): أنَّ الخوفَ يتعلَّقُ بالمكروهِ وبتركِ المكروه؛ تقولُ: خِفْتُ زيداً، كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[٤] وتقولُ: خفتُ المرضَ، كما قال سبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١﴾[٥]، والخشيةَ تتعلَّقُ بمنزلِ المكروه، ولا يُسَمَّى الخوفُ مِنْ نَفْسِ المكروهِ خشيةً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١﴾ فإنْ قِيْلَ: أليسَ قد قال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٦] قُلْنَا: إنَّه خَشِيَ القولَ المؤدِّي إلى الفُرْقَةِ، والمؤدِّي إلى الشَّيءِ بمنزلةِ من يفعلُه، وقالَ بعضُ العلماءِ يُقَالُ خَشِيتُ زيداً ولا يُقَالُ خَشِيتُ ذَهَابَ زيدٍ، فإنْ قِيْلَ ذلك؛ فَلَيْسَ على الأصلِ، ولكنْ على وَضْعِ الخشيةِ مكانَ الخوفِ، وقد يُوضَعُ الشَّيءُ مكانَ الشَّيءِ إذا قَرُبَ منه"[٧].

ونَجِدُ أنَّ المؤلفَ قد مالَ إلى رأيِ الفريقِ الثَّاني؛ القائلِ بالفرقِ، ولم يلتزمْ بِذِكْرِ الاستعمالِ المساوي بينَ المعنيينِ، والذي يبدو لي: أنَّ هذا هو القولُ المتوجّه، والمتأمِّلُ فقط في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ

---

(١) تفسير أبي السعود ٦ / ٦٤.

(٢) تفسير البيضاوى: ٤/ ٩٠.

(٣) تفسير السراج المنير: ٢/ ٣٩٤.

(٤) النحل: ٥٠ .

(٥) الرعد: ٢١ .

(٦) طه: ٩٤.

(٧) الفروق اللغوية: ٢٧٠.

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿٢١﴾[1] يجدُ فروقًا دلاليَّةً بينَ الخشيةِ والخوفِ، وإلَّا لَما تَنَوَّعَ التَّعْبيرُ في آيةٍ واحدةٍ؛ فالخشيةُ حَذَرٌ من أمرٍ قد وقع، والخوفُ حذرٌ من أمرٍ لم يقع[2]، إضافة إلى توجيهِ أبي هلال السابقِ لهذه الآية ، والله أعلم .

كما توقّف المؤلف عند التفريق بين **(العِلْم)** و**(المعْرِفَةِ)** فعند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[3]، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وعبّرَ بقولِه تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾؛ لأنّ الغالب أن (العلم) يُعبَّرُ به عن الأمورِ المعقولةِ التي تُدْرَكُ بالحِسِّ الباطن، و(المعرفة) يُعبَّرُ بها عن الأمورِ المحسوسةِ المُدْرَكَةِ بالحِسِّ الظاهر؛ فأنا أقولُ لك: (أَعَرَفْتَ فلاناً)؟، ولا أقول لك: (أَعَلِمْتَ فُلاناً)؟؛ لكنْ أقول: (أَعَرَفْتَ فلاناً فَعَلِمْتَ ما فَعَل)؟؛ فهُنا جعلنَا العِلْمَ في الفعل"[4].

وقريبٌ من ذلك ما ذكره ابنُ عاشور في تفسيره، ولكنّه يُضيف: "ولهذا لا يُعدّى فعلُ العرفانِ إلى مفعولين كما تُعَدّى أفعالُ الظنّ والعلم، ولهذا يُوصَفُ اللهُ تعالى بصفةِ العلمِ فيقال: العليم، ولا يُوصَف بصفةِ المعرفةِ؛ فلا يُقال الله يعرف كذا"[5].

وقد اختلفَ أهلُ العلمِ القائلونَ بالتفريقِ بينهما، على وجوهٍ كثيرة، يقول أبو هلال العسكري: " قيل: (المعرفةُ) إدراكُ البسائطِ والجزئيات، و(العلم): إدراكُ المركّباتِ والكُليّات؛ ومن ثم يُقال: (عرفت الله)، ولا يقال (علمته)، وقيل: (المعرفة) عبارةٌ عن الإدراكِ التّصَوُّرِي، و(العلم) هو الإدراكُ التصديقيُّ، ومن ذهب إلى هذا القولِ جعلَ العِرفانَ أعظمَ رتبةً من العلم، قال: لأنَّ استنادَ هذه المحسوساتِ إلى

(١) الرعد: ٢١.

(٢) ينظر: البحر المحيط، ١/ ٦١٦.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٤١.

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٣٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

موجودٍ واجبِ الوجودِ أمرٌ معلومٌ بالضّرورة، وأما تَصَوُّرُ حقيقةِ واجبِ الوجودِ فَأَمْرٌ فوقَ الطاقةِ البشرية؛ لأنّ الشيءَ ما لم يُعرف لم تطلبْ ماهيّتُه؛ فعلى هذا كلُّ عارفٍ عالمٌ من دون عكس... وقيل: (المعرفة): إدراكُ الشّيءِ ثانياً بعد توسُّطِ نسيانِه؛ لذلك يُسمّى الحقُّ - تعالى - بالعالمِ دون العارف، وهو أشهرُ الأقوالِ في تعريف المعرفة"[١].

وقد عَقَدَ ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلاً في التفريقِ بينهما في كتابِه "مدارجُ السّالكين" خَلَصَ فيه إلى أنَّ بينهما فرقاً من حيثُ اللفظ والمعنى، أما اللّفظُ: فَفِعْلُ (المعرفة) يَقَعُ على مفعولٍ واحد؛ تقول: (عرفتُ الدارَ)، قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾[٢]، وفعلُ (العلم) يَقتضِي مفعولَيْنِ؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾[٣]، وإنْ وَقَعَ على مفعولٍ واحدٍ كانَ بمعنى المعرفة؛ كقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٤].

وأما الفرقُ المعنويُّ فقد جعله من أربعةِ وجوهٍ، وهي في الحقيقةِ ترجِعُ إلى وجهينِ أكتفي بذكرِهما: الأول: أنّ (المعرفةَ) تتعلقُ بذاتِ الشّيءِ، و(العلم) يتعلّقُ بأحوالِه فتقول: (عرفت أباك)، و(علمتُه صالحاً عالماً)؛ ولذلكَ جاء الأمرُ في القرآنِ بـ(العلمِ) دون (المعرفة)؛ كقولِه تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٥]؛ فـ(المعرفةُ) تُشبهُ التّصورَ، و(العلم) يُشبهُ التصديق.

الثاني: أن (المعرفة) في الغالبِ تكونُ لما غابَ عن القلبِ بعد إدراكِه فإذا أدركَه قيلَ عرفَه، أو تكونُ لما وُصِفَ له بصفاتٍ قامت في نفسِه، فإذا رآه وعَلِمَ أنّه الموصوفُ بها؛

---

(١) الفروق اللغوية: ٩٣.

(٢) يوسف: ٥٨.

(٣) الممتحنة: ١٠.

(٤) الأنفال: ٦٠.

(٥) محمد: ١٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

قيل عرفَه؛ قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[1]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾؛ لمّا كانت صفاتُه معلومةً عندَهم؛ فَرأَوه عَرَفُوه بتلكَ الصِّفات؛ فالمعرفةُ تُشبهُ الذِّكْرَ للشيء، وهو حضورُ ما كانَ غائباً عن الذِّكرِ؛ ولهذا كانَ ضِدَّ المعرفةِ الإنكارُ، وضدَّ العلمَ الجهلُ "[2].

ومما توقف عنده – المؤلف – التفريق بين (**العفو**) و(**الصفح**) فعند قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾[3] يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" (**العفو**) بمعنى تَرْكِ المؤاخذةِ على الذّنْبِ؛ كأنّه من عَفَا الأثرُ: إذا زَالَ لِتَقَادُمِهِ، و﴿وَٱصْفَحُواْ﴾ قيل: إنّه من بابِ عطفِ المترادفَين، كقول الشاعر:

فألفى قولها كَذِباً ومَيناً[4]

و(الكذب) و(المين) معناهما واحد، ولكنّ الصوابَ أن بين (**العَفْوِ**) و(**الصّفْحِ**) فرقاً؛ فـ(العفو) تَرْكُ المؤاخذةِ على الذنب، و(الصفحُ) الإعراضُ عنه؛ مأخوذٌ من صَفْحَةِ العُنُق، وهو أنّ الإنسانَ يلتفتُ، ولا كأنّ شيئاً صار – يُوْلِيْهِ صفحةَ عُنُقِه –؛ فـ(الصفح) معناه الإعراضُ عن هذا بالكليّةِ، وكأنه لم يكن؛ فعلى هذا يكونُ بينهما فرق؛ فـ(الصفحُ) أكملُ إذا اقترن بـ(العفْو)[5]؛ فالمؤلفُ يرى أن بينهما فرقاً، وأنّ (العفوَ) يدلُّ على التّرْكِ، و(الصفحَ) يدلُّ على الإعراضِ بالكلّيَّةِ.

---

(١) يوسف: ٥٨.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الملقب بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، ٣/ ٣٣٦، وينظر لزاماً: بيان إعجاز القرآن للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص:٢٩ فمابعدها .

(٣) البقرة: ١٠٩

(٤) البيت لابن الرومي بلفظ: (فألقى عذره كذباً ومَيْنا) وتمامه (من العذَرات يأْباها الحقين).

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣٥٨

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وعلى رأيه هذا يدلُّ أصلُ اللغة؛ قال ابنُ فارس في مادة (عفو): "العينُ والفاءُ والحرفُ المعتلُّ: أصلانِ يدلُّ أحدُهُما على تركِ الشيء، والآخرُ على طَلَبِه... فالأوّل: العَفْو: عَفْو الله تعالى عن خَلْقه، وذلك تركُه إيّاهم فلا يعاقبُهم، فَضْلاً منه"(١)، وقال في مادّة (صَفَح): "الصاد والفاء والحاء أصلٌ صحيحٌ مطَّرد يدلُّ على عَرْض وعِرَض..... فأمَّا قولهم: صَفَح عنه، وذلك إِعْراضُهُ عن ذنْبِهِ، فهو من الباب؛ لأنَّه إذا أعرضَ عنه فكأنَّه قد ولاَّه صَفْحتَه وصُفحه، أي عُرضه وجانِبَه، وهو مَثَلٌ "(٢).

وللشعراويّ كلامٌ رائعٌ حول التفريقِ بينهما؛ حيث يقول: "ما هو (العَفْو) وما هو (الصّفْح)؟.. يقال: عَفَت الريحُ الأثر؛ أي: مَسَحَتْه وأَزَالَتْه.. فالإنسانُ حين يمشي على الرّمالِ؛ تتركُ قدمُه أثراً فتأتي الريحُ وتعفو الأثر؛ أي: تُزيلُه.. ولذلكَ فإنّ (العفوَ) أن تمحوَ من نفسك أثرَ أي إساءة، وكأنه لم يحدث شيء.. و(الصفح) يعني طيَّ صفحاتِ هذا الموضوع؛ لا تجعلُه في بالِك، ولا تجعلُه يشغلُك". (٣)

وبناءً على ذلك؛ فإنّ للعلماء حول أيّهما أبلغ؛ لفتاتٍ جيدةً، لا تعارضُ ما تقدّمَ، يقول الشنقيطيُّ: "و(الصفحُ): الإعراضُ عن المؤاخذةِ بالذنب، قال بعضهم: وهو أبلغ من (العفو)"(٤)، وقال الرّاغبُ: "(الصّفح): تركُ التثريب، وهو أبلغُ من (العفو)..وقد يعفو الإنسانُ ولا يصفح"(٥)، وقال أبو هلال: "..قال البيضاوي(٦):

---

(١) مقاييس اللغة، مادة (عفو):٤/ ٥٦

(٢) السابق، مادة (صفح): ٢/ ٢٩٣

(٣) تفسير الشعراوي: ١/ ١١٣

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان / الطبعة: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥ مـ : ٧ / ١٧٠.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبي القاسم ، دار القلم – دمشق : ١ / ٥٨٣ .

(٦) **وقد ذكر المحققُ أنه أبو سعيد ناصر الدين عمر بن محمد البيضاوي، صاحب التفسير المشهور، وهذا خطأ؛** =

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

(العفو) تركُ عقوبةِ المذنب، و(الصّفح): تركُ لومُه، قلت: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾، تَرَقّياً في الأمرِ بمكارمِ الأخلاقِ من الحَسَنِ إلى الأحسن، ومن الفَضْلِ إلى الأفضل"(١)، وكأنّ أبا هلال يوردُ كلامَ البيضاويِّ، ليبيّنَ وجهَ كونِ (الصّفْحِ) أبلغَ من (العفو)؛ وذلك لأنّ الإنسانَ بالصفحِ يتركُ حتىّ مجرد اللومِ، فضلاً عن العقوبة؛ ولذلك قال في موضعٍ آخر: "والعَفْو يقتضِي إسقاطَ الّلوم"(٢).

ويُرَدُّ إليه- أيضا – قولُ الرّاغب: "والإنسانُ قد يَعْفو ولا يَصْفَح"؛ وذلك بأنه قد يتركُ العقوبة، ولا يتركُ الّلوم؛ فيكون ذلك عفواً ولا يكون صفحاً، والله أعلم.

ومن ذلك تفريقُه بين (**الحَمْدِ**) و(**الشُّكْر**) حيثُ يقول: "و(الشُّكر) يكون بالقلبِ، وباللسانِ، وبالجوارح؛ ولا يكونُ إلا في مقابلةِ نِعمة؛ فسببُه أخصُّ من سببِ (الحمد) ومتعلَّقه أعمُّ من متعلّقِ (الحمد)؛ فيختلفان إذاً من حيثُ السبب؛ ويختلفان من حيثُ المتعلق؛ سببُ (الحمد) كمالُ المحمود، وإنعامُ المحمود... أما (الشكر) فسببُه واحد؛ وهو نعمةُ المشكور، وأما متعلِّقُ (الحمد) فيكونُ باللسان فقط؛ وأما متعلّقُ (الشكر) فثلاثةٌ: يكونُ باللسان، والقلب، والجوارح؛ وعليه قول الشاعر:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلاثَةً ... يَدِي ولسانِي والضميرَ المُحَجَّبَا

فـ(يدي) هذا الشكرُ بالجوارح؛ و(لساني) هذا الشكرُ باللسان – يعني القول؛ و(الضمير المحجبا) يعني القلب"(٣).

= إذ إنّه متأخرٌ عن أبي هلال؛ فصاحب التفسير متوفى ٦٨٥هـ، وأبو هلال العسكري متوفى ٣٩٥هـ، وربّما يقصد أبوهلال محمد ابن القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي الفقيه الشافعي، روى عنه الحافظ أبو بكر الخطيب ومولده في شعبان سنة ٢٩٣، يُنظر: معجم البدان، ياقوت الحموي، دار الفكر- بيروت: ١/ ٥٢٩

(١) الفروق اللغوية: ٣٦٢.

(٢) السابق: ٢٦٤.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة ٢/ ١٦٩

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقد جزم ابنُ جرير بأنهما بمعنىً واحد؛ لأنّه يصحُّ أن يقال "الحمد لله شكرا" فصُدِّر الشكرُ من الحمد[1]، قال ابن كثير: "وهذا الذي ادّعاه ابنُ جريرٍ فيه نظر، لأنه اشتهر عند كثيرٍ من العلماء من المتأخرين أنّ "الحمدَ" هو الثناءُ بالقولِ على المحمودِ بصفاتِه اللازمةِ والمتعديّةِ، و"الشكر" لا يكونُ إلا على المتعديةِ؛ ويكونُ بالجَنَانِ واللسانِ والأركان"[2]. وعلى التفريق بينهما عامّةُ المفسرين المتأخرين، وبعضُ المتقدّمين[3]، وقد اختلفوا فيهما من جهةِ العمومِ والخصوص[4].

كما فرّق ينهما البلاغيون - أيضا - يقولُ سعدُ الدِّين التفتازني: "**(الحمدُ)** هو الثناءُ باللسانِ على قصدِ التعظيم، سواءٌ تعلّق بالنعمةِ أو بغيرِها، و**(الشُّكرُ)** فِعلٌ ينبئُ عن تعظيمِ المُنْعِم؛ لكونِه مُنعِماً، سواءٌ كان باللسانِ، أو بالجنان، أو بالأركان؛ فَمَوردُ الحمدِ لا يكونُ إلا باللسان، ومتعلّقُه يكون النعمةَ وغيرَها، ومتعلقُ الشكرِ لا يكونُ إلا النعمةُ، وموردُه يكون اللسانَ وغيرَه؛ فـ(الحمد) أعمُّ من الشكرِ باعتبارِ المتعلِّقِ، وأخصُّ منه باعتبارِ المورد، و(الشكر) بالعكس"[5].

ولعلّ مما يدلُّ على اختصاصِ (الشُّكرِ) بالنعمةِ، وعمومِ (الحَمْدِ) للنعمةِ والابتلاء؛ ما ورد عَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وقّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه

---

(١) تفسير الطبري، المسمّى (جامع البيان في تأويل القرآن) / المؤلّف: محمد بن يزيد بن جرير أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م: ١/ ١٣٨، وقد ذكر المحقق أن هذا هو مذهب المبرّد، ولم يُحِل.

(٢) تفسير ابن كثير: ١/ ٣٢

(٣) ينظر في ذلك: تفسير الكشاف: ١/ ٥٢، وتفسير ابن كثير: ١/ ٣٢، وقد ذكر ابن كثير أن القرطبيّ استدلّ لصحة مذهب الطبري، وخطّأه محقق الطبري الشيخ: أحمد شاكر، وذكر أن هذا وهم من ابن كثير، ينظر تفسير ابن جرير: ١/ ١٣٨ الحاشية.

(٤) وقد حقق ابن كثير القول فيما بينهما من عموم وخصوص تحقيقا يحسن الرجوع إليه، تفسير ابن كثير ١/ ٣٢ .

(٥) مختصر المعاني، سعد التفتازانى الناشر: دار الفكر، الطبعة: الاولى ١٤١١ هـ. ١/ ٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ ١١
Ali Fattani

قال: "عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمِدَ اللهَ وَشَكَرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَمِدَ اللهَ وَصَبَرَ، فَالْمُؤْمِنُ يُؤْجَرُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ، حَتَّى يُؤْجَرَ فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِيِّ امْرَأَتِهِ"(١)؛ ففي سياقِ العطاءِ والنّعمةِ ذُكر الحمدُ والشكرُ جميعا، وأما في سياق الابتلاءِ؛ فذُكر الحمدُ وحده، إضافةً إلى ذِكْرِهِ في سياقِ العطاءِ والنعمة؛ فكان الحمدُ أعمّ.

ومن ذلك -أيضاً- ماورد عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ قَبَضْتَ وَلَدَ عَبْدِي قَبَضْتَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا قَالَ قَالَ حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ قَالَ ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ"(٢)؛ فذَكَر (الحمدَ)؛ لعمومِه، ولم يَذْكُرِ (الشُّكْر)؛ لعدمِ اختصاصِه بغير النعمة.

وللرازي كلامٌ نفيسٌ في التفريقِ بينهما، يحسنُ إيرادُه، ولعلّه مما تفردَ به رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يقول:"وأمّا الفَرْقُ بين (الحَمْد) وبين (الشُّكر) فهو: أن (الحَمْد) يعمُّ ما إذا وَصَلَ ذلك الإنعامُ إليك، أو إلى غيرك، وأمّا (الشُّكر) فهو مُختصٌّ بالإنعامِ الواصلِ إليك....فقوله: (الحمد لله) أولى من قولِه: (الشُّكر لله)؛ لأنّ قولَه (الحمدُ لله) ثناءٌ على الله بسببِ كلِّ إنعامٍ صَدَرَ منه ووصلَ إلى غيرِه، وأما (الشكر لله) فهو ثناءٌ بسببِ إنعامٍ وصلَ إلى ذلك القائلِ، ولا شكّ أن الأولَ أفضل؛ لأن التقديرَ كأنَّ العبدَ يقول: سواءٌ أعطيتَني أو لم تعطِني؛ فإنعامُك واصلٌ إلى كلِّ العالمين، وأنتَ مستحقٌّ للحمد العظيم"(٣).

ومما توقَّفَ عنده المؤلف في - هذا السياق - التفريقُ بين (**النّصِيب**) و(**الكِفل**) حيثُ يقول عند قول الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ

---

(١) مسند الإمام أحمد: برقم : (١٤٩٢)، ٣/ ٨٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد: برقم : (١٩٧٢٥)، ٣٢/ ٥٠٠ .

(٣) تفسير الرازي: ١/ ١٧٩

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾﴾[١]، "الكفل: هو النَّصِيب، وإذا كانَ هو النّصيبُ؛ فلماذا غايرَ الله سبحانه بينَ الحسنةِ وبينَ السيئةِ، فقال في الحسنة: (نصيبٌ)، وقال: في السيئةِ: (كفل)؟

الجوابُ: قيل: إنّ (الكِفْلَ) هو النّصيبُ فيما يسوء، و(النّصيب): هو الحظُّ فيما يَنفع، وقيل: إنّما غاير بينَهما من أجلِ اختلافِ اللفظ؛ لأنّ اختلافَ الّلفظِ من أساليبِ البلاغة، حيثُ لا يتكرّرُ الّلفظُ مع الّلفْظِ الآخرِ في مكانٍ واحد.

فعلى المعنى الأول: يكونُ الخلافُ بينَ (النّصيب) و(الكِفْل) خلافاً معنوياً، وعلى الثّاني: يكونُ خلافاً لفظيّاً، لكن المعنى الأوّل يَرِدُ عليه أنّ الله سبحانه سَمّى الأجرَ والثّوابَ كفلاً، في قوله تعالى: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾[٢]، فيترجّحُ القولُ الثّاني: وهو أنه إنّما غايرَ بينهما من أجلِ اختلافِ الّلفْظِ، حتّى لا يَرِدَ لفظٌ واحدٌ في سياقٍ واحدٍ بمعنى واحد"[٣].

والذّي رجّحَه المؤلف - وهو أنّهما بمعنى واحدٍ، وأنّه إنّما غايرَ بينهما من أجْلِ اختلافِ الّلفظ، حتّى لا يَرِدَ لفظٌ واحدٌ في سياقٍ واحد بمعنى واحد - هو رأيُ بعضِ المفسّرين؛ يقول الألوسي: "﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ أي: نصيبٌ من وزرِها، وبذلك فسّره السّدّيُّ، والرّبيعُ، وابنُ زيدٍ، وكثيرٌ من أهلِ اللغة، فالتّعبيرُ بـ(النّصيب) في الشّفاعةِ الحسنة، وبـ(الكِفْلِ) في الشّفاعةِ السيئة للتفنّن"[٤]، وبذلك قال الرّازي[٥]، وهو الذي عليه كثيرٌ من أهلِ اللغة؛ يقول ابنُ منظور: "والكِفْل أَيضاً المِثْل وفي التنزيل: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ قيل: معناهُ يؤْتكم ضِعْفَين وقيل مِثْلين، وفيه ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن

---

(١) النساء: ٨٥.

(٢) الحديد: ٢٨.

(٣) تفسير ابن عثيمن، سورة النساء: ٢/ ٣٧.

(٤) تفسير روح المعاني: ٥/ ٩٨.

(٥) تفسير الرازي: ١٠/ ١٦٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ قال الفرّاء: الكِفْل الحظ، وقيل: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾ أي: حَظَّين، وقيل: ضِعْفين، وفي حديث الجُمُعة: (له كِفْلانِ مِنَ الأَجْر) (١) (الكِفْل) بالكسر: الحظُّ والنّصيب، وفي حديثِ جابر: (وعَمَدْنا إلى أَعْظَم كِفْل) (٢) وقال الزّجاج: (الكِفْل) في اللغة: النصيب، أُخِذَ من قولِهم اكْتَفَلْت البعيرَ إِذا أَدرْتَ على سَنامِه، أَو على موضع من ظهرِه كِساءً وركبت عليه، وإِنّما قيل له (كِفْل) وقيل (اكْتَفل البعيرَ)؛ لأَنّه لم يستعملِ الظّهْرَ كلَّه،؛ إِنّما استعملَ نصيباً من الظهر"(٣).

وقد فرّقَ بينهما بعضُ أهل العلمِ، مُلتمسينَ دلالةَ كلٍّ منهما، وسرّ التعبير به في هذه الآيةِ الكريمة؛ بأنّ (النّصيب) يشملُ الزّيادة، و(الكِفْل) هو المِثْلُ المساوي، فاختيارُ (النصيب) أولاً؛ لأنّ جزاءَ الحسنةِ يُضاعف؛ و(الكِفْل) ثانياً؛ لأنّ من جاءَ بالسّيئةِ لا يُجزى إلا مثلُها؛ ففي الآيةِ إشارةٌ إلى لُطْفِ الله تعالى بعبادِه، وقال بعضُهم: إنّ (الكِفْلَ) وإنْ كانَ بمعنىَ النّصيب؛ إلاّ أنّه غَلَبَ في الشّرِّ ونَدَرَ في غيرِه، والأخيرُ هو اختيارُ أبي حيّان(٤).

ويقول القاسميُّ: نكتةُ اختيارِ (النّصيب) في الحسنة، و(الكِفْل) في السيئة؛ ما أَشَرْنَا إليه، وذلك أنّ (النصيب) يشملُ الزّيادة؛ لأنّ جزاءَ الحسنات يُضَاعف، وأمّا (الكِفْل) فَأَصْلُه المركَبُ الصَّعب، ثم استعيرَ للمِثْل المساوي، فلذا اختيرَ إشارةً إلى لُطْفِه بعباده؛ إذْ لم يُضَاعِف السيئاتِ كالحسنات"(٥).

---

(١) مسند الإمام أحمد، برقم (٧١٩): ٢/ ١٢٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي: ٤/ ١٩٢.

(٣) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ،دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١١/ ٥٨٨، ويُنظر: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب، ١٠/ ١٤٠.

(٤) تفسير البحر المحيط: ٣/ ٣٢٢.

(٥) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة: الثانية: ١٣٩٨ه، دار =

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

وأمّا ما يردُ عليه في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ فقال الراغب: "الكفيل: الحظّ الذي فيه الكفاية، كأنّه تكفّلَ بأمره، نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾[(1)]، أي: اجعلني كِفْلاً لها، والكِفْل: الكَفِيل، قال: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾، أي: كفيلينِ من نعمتِه في الدّنيا والآخرة، وهما المرغوبُ إلى الله تعالى فيهما بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾[(2)]، وقِيْلَ: لَمْ يَعْنِ بقوله: ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي: نعمتينِ اثنتين؛ بل أرادَ النِّعمةَ المتواليةَ المتكفّلةَ بكفايتِه، ويكونُ تثنيتُه على حدّ ما ذكرنا في قولِهم: (لبيّك وسعديك)"[(3)].

ومما توقّف عنده المؤلفُ – في هذا السياق – التفريق بين (**الخَبَر**) و(**النَّبَأ**) وذلك عند قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾[(4)] حيث يقول: "قال: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ ولم يقل: (**أأخبرك**)؛ لأنَّ (النّبأ) إنّما يقال في الأمورِ الهامَّة[(5)]، كقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ① عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ②﴾[(6)]، ولهذا قيل للنبي: (نَبِي)، ولم يُقَل: (مُخْبِر) فهذا أمرٌ هامٌّ يحتاجُ إلى

= الفكر بيروت، ويُنظر: مفردات الراغب: (كفل) ٢/ ٣٠٩.

(١) سورة ص: ٢٣.

(٢) البقرة: ٢٠١.

(٣) مفردات الراغب (كفل): ٢/ ٣٠٩، وقال في تثنية "لبيك وسعديك" معناه: أسعدكَ اللهُ إسعاداً بعدَ إسعاد، أو ساعدَكم مساعدةً بعد مساعدة، والأوّل أولى، والإسعادُ في البكاء خاصة، وقد استسعدته فأسعدني، مادة (سعد) ١/ ٤٧٧.

(٤) آل عمران: ١٥.

(٥) يعترضُ بعضُ اللُّغويين على لفظة (هامّ) وأنّها لاتصلحُ في هذا الموضِع؛ لأنها اسمُ فاعلٍ للفعل(همّ) وإنما يقال: (مُهم)؛ لأنها من الفعل (أهمّ)؛ والصوابُ أنهما جائزتان، وإن كانت الثانيةُ أبلغ، قال صاحب القاموس: "وهَمَّه الأَمْرُ: حَزَنَه كأَهَمَّه" يُنظر: القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزُ آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص: ١١٧١.

(٦) النبأ: ١ – ٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الإنباء عنه "[1].

وَقَد وَرَدَت لفَظَة (**النّبأ**) ومشتقاتُها في آياتٍ كثيرةٍ من كتابِ الله، وبعدَ النظرِ في تلك الآياتِ،خَرَجْتُ ببعضِ الفروقِ بين اللفظين:

١ – أن (**النبأ**): هو الخبرُ العظيمُ الهائلُ ذو الأهمية ،كما في قول الله تعالى:" ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾[2] وكما في قولِه تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾[3] وهذا هو الذي ذكره المؤلف، وهو رأي عامّةِ المفسرين[4]، يقول الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[5] "وقوله: ﴿مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، من جِنْسِ الكلامِ الذي سمّاه المحدَثون البديع، وهو من محاسنِ الكلامِ الذي يتعلقُ باللفظِ، بشرط أن يَجيءَ مطبوعاً، أو بصيغةِ عالمٍ بجوهرِ الكلامِ، يحفظُ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء هنا زائداً على الصّحة، فَحَسُنَ وبَدُعَ لفظاً ومعنى، ألا ترى لو وضِعَ مكان (بنبأ) (بخبر)؛ لكان المعنى صحيحاً؟ وهو كما جاءَ أصحُّ؛ لما في (النبأ) من الزيادةِ التي يطابقُها وصفُ الحال"[6]، قال ابنُ عطيّة – معلقاً على ذلك: "والزيادةُ التي أشارَ إليها – الزمخشري – هي أنّ (النّبأ) لا يكونُ إلا الخبرُ الذي له شأنٌ، ولفظُ الخبرِ مطلقٌ، ينطلقُ على ماله شأنٌ وما ليس له شأن"[7].

٢– أن (**النّبأ**): هو الخبرُ الذي يعلمُه قائلُه، ولا يعلمُ المخبَرُ شيئًا،كما في قول الله

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ١ / ٩٥ ، ويُنظر: تفسير سورة المائدة للمؤلف: ١/ ٤٧٣ .

(٢) ص: ٦٧ .

(٣) النبأ: ١-٢ .

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤/ ١٦٣، وتفسير ابن كثير : ٤/ ٥٥٧، وتفسير أبي السّعود: ١/ ٨٥، وتفسير روح المعاني: ١/ ٢٢٥، وتفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٢٩٠.

(٥) النمل: ٢٢ .

(٦) تفسير الكشاف: ٣/ ٣٦٥ .

(٧) تفسير البحر المحيط: ٧/ ٦٤، وقد نقل الرازي القولين ولم يُحِلْ. ينظر تفسيره ٢٤/ ١٦٣.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

تعالى لآدم ﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾(1) فقال الله: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ ولم يقل (أنبئنا)؛ لأن الله تعالى يعلم والملائكة لا تعلم شيئًا، وكقولِ الهدهدُ لسليمانَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾(2) فالهُدهدُ يعلمُ حالَ أهلِ سبأ، وسليمانُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لا علمَ له بهم، ولذلكَ يقول أبو هلال العسكري: "الفرقُ بين (**النبأ**) و(**الخبر**): أنّ (**النّبأ**) لا يكونُ إلا للإخبارِ بما لا يعلمُه المخبَر، ويجوزُ أن يكونَ المخبَر بما يعلمُه وبما لا يعلمُه؛ ولهذا يقال: تُخبرني عن نفسي ولا يقال: تُنبئني عن نفسي، وكذلك تقول: تُخبّرني عمّا عندي ولا تقول: تُنبّئني عما عندي، وفي القرآن ﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦﴾(3) وإنما استهزؤا به؛ لأنّهم لم يعلموا حقيقتَه، ولو علموا ذلك لتوقّوه – يعني العذاب – قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ﴾(4)"(5).

٣- أن (**النّبأ**): هو الخبرُ الصحيحُ، فكلُّ نبأٍ هو خبرٌ صحيح، أما (الخَبَر) فقد يكون صحيحاً، وقد لا يكون صحيحا(6) وذلك؛ لأنّ كلَّ الآياتِ التي جاءَ فيها الإخبارُ عن الأممِ السابقةِ أو قَصصِ الأنبياءِ هي صحيحةٌ، صادقةٌ، ومن مصدرِ صدق، وعلى سبيلِ المثال قول الله تعالى: ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾(7) **وقوله تعالى**: ﴿**قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ**﴾(8) **وقوله تعالى**:

---

(١) البقرة: ٣٣.

(٢) النمل: ٢٢.

(٣) الشعراء: ٦

(٤) هود: ١٠٠

(٥) الفروق اللغوية: ص ٥٣.

(٦) كما في تعريف الخبر عند البلاغيين بأنه " ما يمكن أن يقال بأنه صدق أو كذب، وأخبار الله وما صح عن رسوله كلها صحيحة " ينظر: شروح التلخيص.

(٧) المائدة: ٢٧

(٨) التوبة: ٩٤

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾[1].

هذا ما تبينَ لي إضافةً إلى رأي المؤلف وعامّة المفسرين – كما تقدم – على أنِّي قد عُدتُ إلى بعضِ أهلِ اللغة كابنِ منظور[2] وابن فارس[3] فلم أجدْهم يرونَ بينهما فرقاً وإنما (النبأ) عندَهم هو (الخبر)، مع أنَّ ابنَ فارسٍ ممّن لايرون بالترادفِ كما تقدّم[4].

ب- **التفريق من حيث الهيئة:**

هذا المطلبُ يتّصل بالذي قبلَه، وهو وإن كانَ شديدَ الصِّلةِ باللّغةِ إلا أنه يَمت للبلاغةِ بشكلٍ ظاهر، وهو اختيارُ الكلمةِ ذاتِ المدلولِ المناسبِ للسّياق ممّا تختصُّ به البلاغةُ دونَ غيرِها، وسيكونُ حديثي فيه على وجه الاختصار.

وقد عُني المؤلّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشيء من ذلك، فمن ذلك: تفريقه بين **(الخَطِيْئَةِ)** و**(الخَطَاء)** وذلك عندَ تفسيرِه لقول الله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾[5] حيث يقول: "﴿خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ جمع (خَطِيَّة)، كـ(مطايا) جمع (مطية)؛ و(الخَطِيَةُ) ما يرتكبُه الإنسانُ من المعاصي عن عَمْد؛ وأما ما يرتكبُه عن غيرِ عمدٍ فيُسمّى (أخطاء)[6]؛ ولهذا يُفَرَّقُ بين (مُخطِئ)، و(خاطِئ)؛ فالخاطئُ مَلُومٌ؛ والمخطئُ معذور، كما قال الله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾[7] وقال تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[8]"[1].

---

(١) الكهف: ١٣

(٢) لسان العرب: ١/ ١٦٢.

(٣) مقاييس اللغة: ٥/ ٣٨٥.

(٤) يُنظر: الحاشية، ص: ٣٤ من هذه الرسالة.

(٥) البقرة: ٥٨ .

(٦) ولعل الصواب: "إخطاء"، قال الراغب: "فيقال: أخطأ إخطاء فهو مخطئ"، ينظر مفردات ألفاظ القرآن (خطأ) : ١/ ٣٠٤.

(٧) العلق: ١٥-١٦ .

(٨) البقرة: ٢٨٦ .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وهذا الذي ذكره المؤلفُ هو السائدُ عند أئمةِ التفسرِ واللغة؛ يقول ابن عاشور: "و(الخِطء) -بكسرِ الخاءِ وسكونِ الطّاء- مصدر خَطِئ بوزن فَرِحَ، إذا أصابَ إثماً، ولا يكونُ الإثمُ إلا عن عَمْد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾[2] وقال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾[3]، وأما (الخَطَأ) - بفتح الخاءِ والطاءِ - فهو ضدُّ العمد، وفعله: (أَخْطَأَ) واسمُ الفاعل (مُخْطِئ)، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[4] وهذه التفرقةُ هي سرُّ العربية، وعليها المحقّقون من أيمّتها"[5]؛ ولذلكَ يقولُ ابنُ فارس:" يقال أخْطَأَ إذا تعدّى الصَّواب، وخَطِئ يَخطأُ، إذا أذْنب، وهو قياسُ الباب؛ لأنه يتركُ الوجه الخَيْرَ"[6]، وقول ابنِ فارس: "إذا تعدّى حدّ الصواب" لعلّه يعني به الخطأ دون تعمُّد؛ قال الزمخشري: "أخطأَ في المسألةِ وفي الرأي، وخَطِيء خِطْأً عظيماً إذا تعمّد الذنب"[7]، ولذلك يقولُ اللهُ في الذين ستعمّدونَ قتلَ أولادِهم خشيةَ الفقر: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

ويقولُ أبو هلال العسكري - بعبارةٍ أكثرَ تفصيلاً -:"الفرقُ بين (الخَطأ) و(الخَطاء): أن (الخَطَأ): هو أن يقصدَ الشيَ فيصيبُ غيرَه، ولا يُطلقُ إلا في القبيح، فإذا قُيّدَ جازَ أن يكونَ حَسَناً، مثل أن يقصدَ القبيحَ فيصيبُ الحسَن؛ فيقال (أخطأَ ما

----

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٢٠١ .

(٢) القصص: ٨ .

(٣) العلق: ١٦ .

(٤) الأحزاب: ٥ .

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١٤/ ٧١، وينظر كذلك: النكت والعيون: ١/ ١٢٦ .

(٦) مقاييس اللغة: مادة (خطوأ)، ٢/ ١٩٨، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: (خطأ) ، ١/ ٣٠٤ .

(٧) أساس البلاغة، المؤلف:أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة – ١٩٩١م: ١/ ٢٢٨ .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

أراد) وإن لم يأتِ قبيحاً، و(الخَطَاء): تعمُّد الخطأ؛ فلا يكونُ إلا قبيحاً، والمصيبُ مثلُ المخطِئ، إذا أُطْلِقَ لم يَكُنْ إلا ممدوحاً، وإذا قُيِّدَ جاز أن يكونَ مذموماً؛كقولك: (مصيبٌ في رَمْيِهِ) وإن كان رميُه قبيحا، فالصّوابُ لا يكونُ إلا حَسَناً، والإصابةُ تكون حسنةً وقبيحة، والخاطِئ في الدِّين لا يكون إلا عاصياً؛ لأنه قد زلّ عنه لقصدِه غيرَه، والمُخطئ يخالفُه؛ لأنّه قد زلَّ عما قُصِدَ منه، وكذلك يكونُ المخطِئ من طريقِ الاجتهادِ مُطيعاً؛ لأنّه قصدَ الحقّ واجتهدَ في إصابته"[1].

ومن ذلك تفريقُه بين (**نِعْمَة**) و(**نَعْمَة**) وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾[2] حيثُ يقول:"ويقال:(**نِعمة**) بكسر النون، ويقال: (**نَعمة**) بالفتح؛ لكنّ الغالبَ في (**نِعمة**) الخيرِ أن تكونَ بالكسر؛ و(**النَّعمة**) بالفتح: التنعُّم من غيرِ شكر، كما قال تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾[4] "[5]، وهذا هو رأي صاحبِ الكشاف إذ يقول:"(النَّعمة) بالفتح من التنعُّم، وبالكسرِ من الإنعام"[6].

والحقيقةُ أن في قول المؤلّف "و(**النَّعمة**) بالفتح: التَّنَعُّم من غير شكر" إيهاماً – فيما يبدو لي –؛ فإن كانت الواو استئنافاً فيُفهم من كلامِ المؤلّف أنّ "النَّعْمة" تختص بالنِّعمة التي لا تُشكر، وهو تخصيصٌ – من وجهة نظري – لاتؤيدُه اللغة؛ إذ التنعّم عامٌّ، وقد يكون مشكورا، وقد لا يكون كذلك، بحسَب كلِّ شخص؛ قال ابن منظور: "و (النَّعْمةُ) بالفتح التَّنْعِيمُ؛ يقال: نَعَّمَه الله وناعَمه فتَنَعَّم، وفي الحديث: (كَيْفَ أَنْعَمُ

---

(١) الفروق اللغوية: ٦٦ .

(٢) البقرة: ١٥٠ .

(٣) الدخان: ٢٧ .

(٤) المزمل: ١١ .

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة : ٢/ ١٥٦ .

(٦) تفسير الكشاف: ٤/ ٢٧٩

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وصَاحِبُ القَرْنِ قد الْتَقَمه) [1]؟! أي: كيف أَتنَعَّم، من النَّعْمة – بالفتح – وهي المسرّة والفرحُ والترفُّه"[2]، وقال ابنُ فارس: "والنَّعْمة: التنعُّمُ وطيبُ العيش"[3]؛ فدلّ على أن التنعّمَ لا يختصُّ بالنِّعَمِ التي لا تُشكر، بدليلِ أنّه فرحٌ، وسرورٌ، وطِيْبُ عَيْش، وأنّه يجوزُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لولا أنه يتركُه زهداً فيه.

وإن كانت (الواو) – عاطفةً على قولِه (الغالب) فلعلّه يقصدُ بذلك الغالبَ بحسبِ ورودِه في القرآن، وأنه اقترنَ – في القرآن – بالتَّنَعُّمِ الذي لم يُشكَر؛ بدليل إيرادِه الآيتينِ اللَّتَينِ هما في سياقِ المُعذَّبين والمكذِّبين، قال تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ﴾[5]".

وللمفسّرين توجيهاتٌ لا تبتعدُ كثيراً عما ذكره المؤلّف؛ يقول الرازي: "قال القفّال: "(**النِّعمة**) – بكسر النون – المِنّة، وما يُنعمُ به الرجلُ على صاحبِه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾[6] وأما (**النَّعمة**) –بفتح النون– فهو ما يُتنعَّم به في العيش، قال تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾[7]"[8]، وقال ابنُ عاشور: " (النَّعمة): هنا بفتح النون باتفاقِ القُرّاء، وهي اسمٌ للترفُّه، وجَمْعُها (أَنعُم) بفتح الهمزةِ وضمِّ العين، وأمّا

---

(١) جزءٌ من حديثٍ رواه أبو سعيد الخدريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولفظُه: "كيف أنعم وصاحبُ الصور قد التقَمه، وأصغى سمعَه، وحنى جبهتَه، ينتظرُ متى يُؤمَر بالنَّفخ، فقالوا يا رسول الله وما تأمرُنا؟ قال: " قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل"" أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٣٠٠٨) ٥/ ١٤٤، وصحَّحه الألبانيُّ في السلسلةِ الصحيحةِ، مكتبة المعارف – الرياض، برقم (١٠٧٩).

(٢) لسان العرب، مادة (نعم) ١٢/ ٥٧٩.

(٣) مقاييس اللغة: مادة (نعم) ٥/ ٤٤٦ .

(٤) الدخان: ٢٧ .

(٥) المزمل: ١١ .

(٦) الشعراء: ٢٢ .

(٧) الدخان: ٢٧ .

(٨) تفسير الرازي: ٢/ ٧٩ .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٢/٠٦
Ali Fattani

(النِّعمة) - بكسر النون - فاسمٌ للحالةِ الملائِمةِ لرغبةِ الإنسانِ من عافيةٍ، وأَمْنٍ ورزق"[1]، وقد ذكر الماوَرْدِيُّ وجهينِ آخرَينِ؛ فيقول: "وفي الفرقِ بينهما وجهان:

أحدُهما: أنهَّا بكسرِ النُّونِ في المُلْكِ، وبفتحِها في البَدَنِ والدِّين؛ قاله النَّضْرُ بنُ شُميل.

الثاني: أنَّها بالكسرِ من المنَّةِ وهو الإفضالُ والعطيَّةُ، وبالفَتْحِ من التَّنَعُّمِ وهو سَعَةُ العَيْشِ والرَّاحة "[2].

وبهذا ينتهي ما أدرت الحديث عنه في هذا المبحث، ويليه الميحثُ الثاني، بإذن الله تعالى .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٩/ ٢٥١ .

(٢) تفسير النكت والعيون: ٥/ ٢٥٢، وينظر: تفسير بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر - بيروت ، تحقيق: د.محمود مطرجي ٤/ ١٣٤ .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المبحثُ الثاني
ملاءمةُ اللفظةِ للسياق من حيثُ الهيئة

يتَّصِل هذا المبحثُ بالذي قبلَه؛ بل قد يُعدّان مبحثاً واحداً، فبينما ينظرُ المبحثُ الأولُ إلى الكلمةِ من جهة أصلها، وما اشتُقّت منه، ينظرُ هذا المبحثُ إلى نفسِ الكلمةِ، من جهةِ وزنها الصرفيِّ، ومن جهةِ نوعِها؛ ولذلك لن أطيلَ في التقديم للمبحث، وأكتفي بالإشارة إلى أنني أرى الحاجةَ ماسّةً إلى دراسةِ الكلماتِ القرآنيةِ كلِّها، دراسةً صرفيّةً دلاليةً؛ للخروج بمُعجمٍ صرفيٍ دلاليٍ للقرآن، وهذه الدراسة ستفتح بابا واسعا لتأمّل كتاب الله عَزَّوَجَلَّ [1].

وقد اهتمّ المؤلّف ببعضٍ من جوانب هذا الباب، وسأتكلم في ذلك من خلال المعالم الرئيسية، التي دار حولها كلامُ المؤلّف وهي:

١- النظر إلى صيغ الأفعال:

ونستطيعُ أن نُقسِّمَ النظرَ إلى أنواع:

أ- **النَّظر إلى تناوب صيغ الأفعال ما بين الماضي والمضارع**: وهو باب اهتمّ به كثيرٌ من البلاغيين السابقين[2]، وهو واضحٌ في كلامِ كثيرٍ من المفسّرين، وسيأتي شيءٌ من كلامِهم بعد قليل - إن شاء الله تعالى - .

ومِن نظرِ المؤلفِ إلى التعبيرِ بالمضارعِ عن الماضي، ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[3]،

---

(١) يُنظر: مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٤٤

(٢) ينظر على سبيل المثال: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير الموصلي؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ٢/ ١٢ فما بعدها.

(٣) االبقرة: ١٢٧.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

حيثُ يقول: "﴿يَرْفَعُ﴾ فعلٌ مضارع؛ والمضارعُ للحاضر، أو للمستقبل؛ ورَفْعُ البيتِ ماضٍ؛ لكنه يعبَّر بالمضارعِ عن الماضي على حكايةِ الحال؛ كأنّ إبراهيمَ يرفعُ الآن، يعني: ذكِّرهم بهذه الحالِ التي كأنّها الآن مشاهدةً أمامهم"(١).

ويقولُ ابنُ عاشور: "وخُولفَ الأسلوبُ الذي يقتضيهِ الظّاهرُ في حكايةِ الماضي أن يكونَ بالفعلِ الماضي بأن يقولَ (وإذْ رَفَعَ) إلى كونه بالمضارع؛ لاستحضارِ الحالةِ وحكايتِها كأنّها مُشاهدةٌ؛ لأنّ المضارعَ دالٌّ على زمنِ الحال فاستعمالُه هنا استعارةٌ تبعيّةٌ؛ شبّه الماضي بالحالِ لشُهرتِه، ولتكرُّرِ الحديثِ عنه بينَهم؛ فإنّهم لحبِّهم إبراهيمَ وإجلالِهم إياه؛ لا يزالون يذكرونَ مناقبَه، وأعظمُها بناءُ الكعبة؛ فشبّه الماضي لذلك بالحال، ولأنّ ما مضى من الآياتِ في ذِكْرِ إبراهيمَ من قوله: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾(٢) إلى هُنا ممّا يُوجبُ امتلاءَ أذهانِ السّامعينَ بإبراهيمَ وشؤونِه حتّى كأنّه حاضرٌ بينَهم، وكأنّ أحوالَه حاضرةٌ مشاهدة، وكلمةُ ﴿وَإِذْ﴾ قرينةٌ على هذا التنزيل؛ لأنّ غالبَ الاستعمالِ أن يكونَ للزّمنِ الماضي، وهذا معنى قولِ النُّحاة: أنّ (إذ) تُخَلِّصُ المضارعَ إلى الماضي"(٣)، كما أنّ إخراجَه في صورة الحاضرِ دليلٌ على الأهميّة، وليقتدي الناسُ بإبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في إتيانِ الطاعاتِ الشّاقّةِ، مع الابتهالِ في قبولِها، ولِيَعْلَموا عظمةَ البيتِ المبنيِّ فيعظموه(٤)، والله أعلم.

ومن ذلك ما ذكرَه المؤلفُ عند قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾(٥) حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"ولكنه عبّرَ عن الماضي بالمضارع؛ إشارةً إلى استحضارِ هذا الشيء، وأنّه – عليه الصلاة والسلام – حين أَخبر به كأنما يراه الآن؛ لأنَّ الإنسانَ إذا حدّث عن

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٥٧.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٦٩٨.

(٤) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٨٣.

(٥) النجم: ١٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ماضٍ فربّما يقول قائل: لعلّه نسي فأخطأ، ولكن إذا عبّرَ بالمضارع صارَ كأنّه يتحدث عن شيء هو يشاهده، فالمعنى على ما رأى من قبل؛ ولكن عبر عمّا رأى من قبلُ بالمضارع؛ لحكمةٍ بالغة، والحكمةُ البالغة، حيث تكون تعبيراتُ القرآن الكريم إذا عبّر بخلاف ما يُتوقع، فلابد أن يكونَ هناك حكمةٌ تظهر للمتأمل"[1].

ولذلك يقول ابن هشام: "القاعدةُ السادسة: أنّهم يُعبِّرونَ عن الماضي والآتي كما يُعبّرون عن الشيءِ الحاضر؛ قصداً لإحضارِه في الذِّهن حتى كأنّه مُشاهدٌ حالة الإخبار"[2].

وقد قيل: المراد: أَفَتُمارونَه على ما يَرى من الصُّوَرِ، التي يظهر بها جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بعدمَا رآه قبلُ وحقّقه، بحيثُ لا يشتبهُ عليه بأي صورةٍ ظَهَر؛ وعليه فيكونُ التعبيرُ بالمضارع - هنا - على ظاهرِه، و النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قد رأى جبريلَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، في صورتِه التي خلقه الله تعالى عليها نزلةً أخرى[3]، والمضارع يدلُّ على التجدّد كما لايخفى، والله أعلم.

ب- النظر إلى عطف المضارع على الماضي:

من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ۝٨٧﴾[4] حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهنا قال تعالى: ﴿كَذَّبۡتُمۡ﴾ فعلٌ ماضٍ؛ وقال تعالى: ﴿تَقۡتُلُونَ﴾ فعلٌ مضارع؛ فأمّا كونُ الأوّلِ فعلاً ماضياً فالأَمْرُ فيه ظاهر؛ لأنّه وقعَ منهم التكذيب؛ وأما الإتيانُ بفعلٍ مضارعٍ بالنسبة للقتل؛ فهو أولاً: مراعاةٌ لفواصلِ الآية؛ لأنه لو قال: (فريقاً قتلتم) لم تتناسب مع التي قبلها،

- - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) تفسير ابن عثيمين،من الحجرات إلى الحديد، ص: ٢٠٩.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف: الإمام ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١ م : ٢ / ٧٩٧.

(٣) تفسير روح المعاني: ٢٧/ ٥٠ .

(٤) البقرة: ٨٧ .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

والتي بعدَها؛ ثم إنّ بعضَ العلماءِ أبدى فيها نُكتة، وهي: أنّ هؤلاءِ اليهودَ استمرَّ قتلُهم الرسلَ حتى آخرهم -محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإنّهم قَتَلوا الرسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسُّمِّ الذي وضعوه له في خيبر؛ فإنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما زالَ يَتَأَثَّرُ منه حتّى إنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضِ موتِه قال: (مَا زَالَتْ أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَاوِدُنِي، وَهَذا أَوانُ انقِطَاعِ الأَبْهَرِ مِنِّي)[1] قال الزُّهْرِيُّ: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات شهيداً؛ لأنّ اليهودَ تسببوا في قتلِه؛ وهذا ليس ببعيد أن يكونَ هذا من أسرارِ التعبيرِ بالمضارع في القتل، وإن كانَ قد يَرِدُ عليه أن التكذيبَ استمرّ حتى زمنِ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلماذا لم يقل: (فريقاً تُكذِّبُون وفريقاً تقتلون)؟! والجوابُ عن هذا: أنّ القتلَ أشدُّ من التكذيب؛ فعبّرَ عنه بالمضارعِ المستمرّ إلى آخر الرسل"[2].

ومما يزيدُ ذلك وضوحاً ما ذكره ابنُ الأثيرِ في سياقِ حديثه عن عطفِ المضارع على الماضي حيث يقول: "وهكذا يُفعل بكلِّ فعلٍ فيه نوعُ تمييزٍ وخصوصية كحالٍ تُستغرب أو تهمُّ المخاطبَ أو غير ذلك"[3] والخصوصيّةُ والتميز - هنا - يحتمل أن تكون؛ لأنّ اليهودَ عُرفوا بقتلِ الأنبياء؛ حتّى إنّه روي عن ابنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كانت بَنو إسرائيلَ في اليومِ تقتلُ ثَلاثَمائة نَبيٍّ، ثم تقومُ سوقُ بقَلِهم من آخرِ النهار)[4] أو لأنّ قتلَ الأنبياءِ أشدُّ من تكذيبِهم كما- قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإنْ كان قد يَرِدُ عليه أن التكذيب استمر حتى زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلماذا لم يقل: "فريقاً تكذبون وفريقاً تقتلون"؟! والجوابُ عن هذا أن القتلَ أشدُّ من التكذيب؛ فعبّر عنه بالمضارعِ المستمرِّ

---

(١) رواه البخاري معلقا: برقم (٤٤٢٨).

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة القرة، ١/ ٢٨٣.

(٣) المثل السائر: ٢/ ١٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم الرازي، ١/ ١/ ١٩٧، وقال محقق الكتاب: رجالُه ثِقات، وانظر تفسير ابن كثير: ١/ ٤٥٨، وفي طبعة دار ابن الجوزي بالدمام، قال محقق الكتاب: أبو إسحاق الحويني، سنده صحيح: ٢/ ٤٨٥.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

إلى آخر الرسل"[١]، وكأنَّ البقاعيّ أشارَ إلى ذلك عندما قال: "أي قَتلتم، ولم تَنْدَموا على قتلِهم؛ بل عزمتُم على مثلِ ذلك الفعلِ، كلَّما جاءكم أحدٌ منهم بما يخالف الهوى"[٢].

هذا، وقد أفاد تقديمُ المفعولِ (فريقا) تشويقاً لما يأتي من فعلِهم، وهذا كلُّه مع رعايةِ الفاصلة، كما ذكر المؤلّف[٣].

ج- النظر إلى الفعل المضارع بحدِّ ذاته:

ومن ذلك ما ذكرَه عند قولِه تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ ﴾[٤]، حيثُ يقول: "قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾؛ ﴿سَيَقُولُ﴾: السّين للتنفيس؛ وإذا دخلَت على المضارعِ أَخْلَصَته للمستقبل؛ والمضارع إذا دَخلتَ عليه (لم) أَخْلَصَتْه للماضي؛ وإذا دَخلَت عليه السّين أَخْلَصته للمُستقبل؛ وإذا كان مُجرّداً فهو صالحٌ للحاضرِ، والمستقبل؛ و﴿سَيَقُولُ﴾ تفيد أيضاً مع الاستقبالِ تحقيقُ وقوعِ هذا الشيء، وتفيدُ أيضاً قُرْبَ هذا الشيء؛ بخلاف (سوف) فإنّها تدلُّ على المستقبل البعيد"[٥].

وسببُ نزولِ هذه الآيةِ ما رواه البخاري، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ وَهُمْ الْيَهُودُ ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة القرة: ١/ ٢٨٤.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي / دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م / تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ج١ / ص ١٨٩ .

(٣) وينظر: تفسير روح المعاني: ١/ ٣١٨ .

(٤) البقرة: ١٤٢.

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٠٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾[1].

وعلى ذلك فهم قد قالوا كلامَهم هذا قبلَ نزولِ الآية، فما سِرُّ التعبير بالمضارعِ إذَن؟ قال بعضُ المفسرين: إنّ ﴿سَيَقُولُ﴾ هنا بمعنى (قال)؛ فهو من وضعِ المستقبلِ موضعَ الماضي[2]، ويردُّ ذلك أبو حيّان فيقول بعدَّ ذكره سببَ النزول: "فمعنى قوله: ﴿سَيَقُولُ﴾، أنّهم مُستمرِّون على هذا القول، وإن كانوا قد قالُوه، فحكمةُ الاستقبالِ أنّهم كَما صَدَرَ عنهم هذا القولُ في الماضي،فهم أيضاً يقولونه في المستقبل، وليس عندنَا من وضْعِ المستقبلِ موضعَ الماضي، وإنّ معنى ﴿سَيَقُولُ﴾: (قال) كما زعم بعضُهم؛ لأنّ ذلك لا يتأتّى مع السّين لبُعْدِ المجازِ فيه، ولو كان عارياً من السّين، لقَرُبَ ذلك وكانَ يكونُ حكايةَ حالٍ ماضية"[3].

وعند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[4]، يقول المؤلف: "﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ والضمير الهاء المفعول يعود إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وعبَّر بقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ بالفعلِ المضارع؛ لأنّ معرفتَهم به تتجدّد كُلّما تأمّلوا آياتِه وصفاتِه"[5].

وقد ورد في هذه الآيةِ سرٌّ آخر، تحسُنُ الإشارةُ إليه، وهو سِرّ التشبيه، وتخصيصِ البنينَ دونَ غيرهم في هذه الآيةِ، وفي هذا يقول ابنُ عاشور: "والتشبيهُ في قولِه ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ﴾: تشبيهٌ في جلاءِ المعرفةِ وتحقّقِها؛ فإنّ معرفةَ المرءِ

---

(١) رواه البخاري، برقم (٣٩٨).

(٢) تفسير القرطبي، المسمى (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، أعاد طبع:ه دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ٢/ ١٤٧، ويُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٧، وتفسير روح المعاني: ٢/ ٢.

(٣) تفسير البحر المحيط: ١/ ٥٩٣.

(٤) البقرة:١٤٦.

(٥) تفسير اين عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٤١.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

بعلائِقه معرفةً لا تقبلُ اللّبسَ، كما قال زهير:

فَهُنَّ وَوَادِي الرّسّ كاليَدِ لِلْفَمِ

تشبيهاً لشدَّةِ القُرْبِ البيّن، وخَصّ الأبناءَ لشدَّةِ تَعَلُّقِ الآباءِ بهم؛ فيكونُ التملّي من رؤيتِهم كثيراً فتتمكّنُ معرفتُهم؛ فمعرفةُ هذا الحقِّ ثابتةٌ لجميعِ علمائِهم"[(١)].

د- توجيه بعض المتشابهة في دلالة التعبير بـ(الماضي) و (المضارع):

فعند قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)﴾[(٢)]، يقولُ المؤلف: "ونَزَلَتْ هذه الآيةُ في أوّلِ الهجرةِ عندَ تحويلِ القبلةِ - يَعْني في السنةِ الثانية - ولا يعارضُها قولُه تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[(٣)]؛ وقَدْ نزلَتْ في يوم عَرَفة في حجّةِ الوداع؛ لأنّ المرادَ في آيةِ المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الإتمامُ العامّ في كلِّ الشريعة؛ أمّا هنا: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾: في هذه الشريعةِ الخاصّة - وهي استقبالُ الكعبةِ بدلاً عن بيتِ المقدس؛ لأنّه سَبَقَ أنّ الرسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يُقلّبُ وجهَه في السّماءِ يَنتظرُ متى يُؤْمَر بالتوجُّه إلى الكعبة؛ فلا شَكّ أنّه من نعمةِ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ أنعمَ على المسلمين، بأن يتجهوا إلى هذا البيتِ، الذي هو أوّلُ بيتٍ وضعَ للنّاس، والذي -كما قال بعضُ أهلِ العلم- هو قبلةُ جميعِ الأنبياء، كما ذَكَرَه شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، ويُحتَمَلُ وجهٌ آخرُ في الجمعِ بين الآيتين: بأنّ هذه الآيةَ جاءت بصيغةِ المضارعِ الدالِّ على الاستمرار؛ وآيةُ المائدةِ بصيغةِ الماضي الدالِّ على الانتهاء"[(٤)].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٤٠.

(٢) البقرة: ١٥٠.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٥٧.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ ١١.

Ali Fattani

ويجيبُ الألوسيُّ على ذلك فيقول: "فإنْ قِيْلَ: إنَّه تعالى أَنْزَلَ عندَ قُرْبِ وفاتِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾؛ فبيّنَ أنَّ تمامَ النِّعمةِ إنّما حصلَ ذلك اليومَ؛ فكيفَ قال قَبْلَ ذلك بسنين في هذه الآية: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ ؟ أجيبُ: بأنّ تمامَ النِّعمةِ في كلِّ وقتٍ بما يليقُ به فتدبّر"[1]، ويقول السّعديُّ بعبارةٍ أوضح: "ولمّا كانَ توليتُه لنا إلى استقبالِ القبلةِ، نعمةً عظيمةً، وكانَ لطفُه بهذه الأمةِ ورحمتُه، لم يَزلْ يتزايدُ، وكُلّما شَرَع لهم شريعةً، فهي نعمةٌ عظيمةٌ قال: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ فَأَصْلُ النعمةِ؛ الهدايةُ لدينِه، بإرسالِ رسولِه، وإنزالِ كتابِه، ثم بعد ذلك، النِّعَمُ المتمِّمَاتُ لهذا الأصل، لا تُعَدُّ كثرةً، ولا تُحصر، منذُ بعثَ اللهُ رسولَه إلى أنْ قَرُبَ رحيلُه من الدنيا، وقد أعطاه اللهُ من الأحوالِ والنِّعَم، وأعطى أمّتَه، ما أتمّ به نعمتَه عليه وعليهم، وأنزل الله عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فللهِ الحمدُ على فضلِه، الذي لا نَبْلُغُ له عَدّا، فضلاً عن القيامِ بشكره"[2]، ويدلُّ على صِحَّةِ ذلك؛ ما ذكره المؤلِّفُ من دلالة التّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ الدالِّ على الاستمرارِ في آيةِ البقرةِ، ودلالةِ التعبيرِ بالفعلِ الماضي الدالِّ على تحقُّقِ وقوع الأمرِ في آيةِ المائدة، وقد يكونُ التعبيرُ بالمضارعِ للدلالةِ على المستقبلِ؛ أي: أنّ تحويلَ القبلةِ هو تمهيدٌ لإتمام النِّعمةِ في المستقبلِ وهي دخولُ المؤمنينَ مكةَ بإذن الله آمنين، فتكونُ آيةُ البقرةِ وعداً من الله بإتمام تلكَ النِّعمة، وآيةُ المائدة إنجازاً لذلك الوعد؛ وقد كانَ ذلك فدخَلوا مكّةَ آمنينَ وعليها ظاهِرين، وحَجُّوا مطمئنينَ، لم يخالطْهُم أحدٌ من المشركين[3].

---

(١) تفسير روح المعاني: ٢/ ١٨، ويُنظر: تفسير الرازي: ٤/ ١٢٨.

(٢) تفسير السعدي: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلامِ المنان)، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص:٧٣.

(٣) يُنظر: تفسير البغوي: المسمى (معالم التنزيل)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦هـ]، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م. ٣/ ١٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقد وردَ في الآيةِ إضافةُ الكمالِ إلى الدِّينِ، الإتمامِ إلى النِّعمةِ، وفي هذا يقول ابن القيم: "وبينهما فرقٌ لطيف، يظهر عن التّأمّل، فإن الكمال أخصُّ بالصفاتِ والمعاني، ويُطلقُ على الأعيانِ والذّوات، وذلك باعتبارِ صفاتِها وخواصِّها، كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَمُلَ من الرجالِ كثيرٌ، ولم يكمُل من النساء؛ إلاَّ مريمُ بنت عمران، وآسيةُ بنتُ مزاحم، وخديجة بنت خويلد) [1]، وقال عمرُ بن عبد العزيز: (إنّ للإيمانِ حدودٌ، وفرائضُ، وسُنن، فمن استكملها فقد استكملَ الإيمان) [2].

وأمّا التّمامُ؛ فيكون في الأعيانِ والمعاني، ونعمةُ الله أعيانٌ وأوصافٌ ومعانٍ، وأمّا دينُه: فهو شرعُه المتضمّن لأمره ونهيِه ومحابِّه.

فكانت نسبةُ الكمالِ إلى الدِّين، والتّمامِ إلى النّعمة أحسنَ، كما كانت إضافةُ الدِّينِ إليهم، والنعمةِ إليه أحسنَ، والمقصود أنّ هذه النّعمة هي النّعمة المطلقة[3]، وهي التي اختصت بالمؤمنين، وإذا قيلَ ليس لله على الكافر نعمة - بهذا الاعتبار - فهو صحيح"[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس فيه ذكرُ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، والذي ورد في المسند هو عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وذلك في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) مسند الإمام أحمد : برقم (١٩٥٢٣) . وأما خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ففضائلُها حافلةٌ بها داووين السنة، وهي معروفة معلومة.

(٢) علّقه البخاريُّ في أول كتاب الإيمان .

(٣) يَقسِمُ ابن القيم النعمة إلى قسمين (النعمة المطلقة) وهي المتّصلةُ بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام، و (النعمة المقيدة) وهي نعمة الصّحة، والغنى، وعافية الجسد، وبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذا. يُنظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزّرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية، اختصره واعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ص: ٨ فما بعدها .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص: ١٠ فما بعدها .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقد يُقال: إنّ من الفروقِ: أنّ اللهَ أَخْبَرَ نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنينَ أنّه أكملَ لهم الإيمانَ فلا يحتاجونَ إلى زيادةٍ أبدا، وقد أتمّه الله فلا يُنقِصُه أبدا، وقد رضيَه الله فلا يَسْخَطُه أبدا(١)، والله أعلم.

٢- النظرُ إلى صيغةِ التفضيل:

من نظرِ المؤلفِ في ذلك ما ذكره في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾(٢) حيث يقول:"وهذا حق لكن من الأعز؟ قال الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) وهنا لم يقل: "والله الأعزُّ ورسولُه والمؤمنون"؛ لأنّه لو قال: والله أعزُّ لأثبتَ لهم عِزّة، ولكنّه قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ بصيغةٍ تقتضي الحصرَ بتقديمِ الخبر؛ من أجلِ أن يتبينَ أنَّ المنافقينَ لا عزّةَ لهم، وكيف يكون لهم عزّةٌ وهم يتقون ويداهنون ويخادعون"(٤)، وقال في موضع آخر " وهذا من بلاغاتِ القرآن ، وإلا كان المُتوقّعُ أن يقول: واللهُ الأعزُّ ورسوله والمؤمنون "(٥).

والمعنى: إن كان الأعزُّ يخرج الأذلَّ فإن المؤمنينَ هم الفريقُ الأعز، وعزتُّهم بكونِ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم وبتأييد الله رسولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأولياءَه؛ لأن عزّةَ الله هي العزّةُ الحقُّ المطلقة، وعزّةُ غيرِه ناقصة، فلا جرم أن أولياءَ الله هم الذين لا يفقهون إذا أراد الله نصرهم ووعدهم به، فإن كان إخراجٌ من المدينة فإنّما يُخْرَج منها

---

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨.

(٢) المنافقون:٨

(٣) المنافقون:٨

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء، ٢/ ٣٤٦

(٥) التعليق على السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تعليق: الشيخ محمد ابن عثيمين، طُبع بإشراف مؤسسة ابن عثيمين، مدار الوطن للنش، الطبعة الأولى : ١٤٢٧هـ، ص: ٢٦٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

أنتم يا أهل النفاق "[1].

ويقول عبد الرحمن الميداني: "المنافقون قالوا: ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ من المدينة الأذلّ إنّ رَجَعْنَا من الغزوة[2] التي نحن فيها إلى المدينة، فجاءَ البيانُ القرآنيُّ؛ تعليقاً على مقالِهم؛ بحمله على ظاهره، لكنْ على غيرِ ما قصدوا، وذلك بإثبات أنّ الأعزَّ الرسولُ والمؤمنون معه، بإمداد الله لهم بالعزّة، لأنّ العزّة أي: القوة الغالبة هي له سبحانه ولمن يُمدِّهم بالعزّة"[3][4].

كما أنّ في إعادةِ اللام في قوله: ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ مع أنّ حرفَ العطف مغنٍ عنها؛ تأكيداً لعزّةِ الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأنها بسببِ عزّةِ الله ووعدِه إياه، وإعادةُ اللام في قوله: ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هي للتأكيد - أيضا - إذ قد تَخْفَى عزّتُهم وأكثرُهم في حالِ قلّةٍ وحاجة[5]، وأختمُ بما ذكر سيد قطب في ظلالِ هذه الآية حيثُ يقول:"ويضم اللهُ سبحانه رسولَه والمؤمنين إلى جانبه، ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريمٌ هائلٌ لا يكرمُه إلا الله! وأيُّ تكريمٍ بعد أن يُوقفُ اللهُ سبحانه رسولَه والمؤمنين معه إلى جوارِه ويقول: ها نحن أولاءِ! هذا لواءُ الأعزاء، وهذا هو الصفُّ العزيز!" [6].

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٢٣ .

(٢) أي غزة بني المصطلَق.

(٣) البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) المؤلف: عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، الطبعة الثالثة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م: ١/ ٥٠١ .

(٤) هذا من حيثُ النظر إلى دلالة صيغة التفضيل، وأما من حيثُ الأسلوب فهو يسمى في عرف البلاغيين (الأسلوب الحكيم): وهو صَرْفُ كلامِ المتكلِّم، أو سؤالِ السائل عن المراد منه، وحملُه على ماهو الأولى بالقصد، أو إجابته على ما هو الأولى بالقصد، ينظر: البلاغة العربية للميداني: ١/ ٤٩٨، كما أنّ هذا الأسلوب يعرف عند الأصوليين بـ(القول بالموجَب) وقد أولعوا به حتى أفرده بعضهم بالتصنيف، منهم صلاح الدين الصفدي؛ حيث أفرده بكتابه (الهَوْل المُعْجَب في القول بالموجَب) وهو مطبوع متداول.

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٢٣

(٦) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة السابعة، ١٣٩١هـ، =

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

٣- التعرّض لصيغ المبالغة:

من الآياتِ التي توقّف عندها - المؤلفُ - قوله تعالى ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[١] حيث يقول: "قال: ﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أي: عجيب ، لكنّ كلمة **"عجاب"** أبلغ من كلمة "عجيب"؛ لأنها تدلُّ على المبالغةِ ،: أي لا شيء يتعجب من الإنسان عجبا عظيما كثيرا، ولهذا عدلوا عن "عجيب" إلى "عجاب" "[٢].

ولا شكّ أن (فُعال) من صيغِ المبالغة كما هو متقرِّرٌ في علمِ النحو[٣]، وهي كذلك أبلغُ من (فَعِيل) عندَ العرب فـ(طُوال) أبلغُ من (طويل) في قولِك (رجلٌ طُوال) و(رجلٌ طويل) فهو الطُّول يكون مثله ، فإذا زاد عن المعتاد قلت: هو طُوال ونحوه: كريمٌ كُرام ، وشجيعٌ وشُجاع"[٤]، ومن هنا كان لهذا الاختيارِ دورُه في توضيح شدة تعجُّبِهم.

وقد وردت (عجيب) في آيات أخرَ كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾[٥] وقولِه تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ

= ١٩٧١م، ٧/ ٢١٩.

(١) ص: ٥

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة ص، صفحة٢٩ .

(٣) وصيغ المبالغة هي: (١) فَعْلاَن: مثل: رحمن.(٢) فَعِيل: مثل: رَحيم.(٣) فَعَّال: مثل: توَّاب - غَفَّار - قَهَّار.(٤) فَعُول: مثل غَفُور - شَكُور - وَدُود.(٥) فَعِل: مثل: حَذِر - أَشِر - فَرِح.(٦) فُعَال: مثل: عُجَاب.(٧) فُعَّال: مثل: كُبَّار.(٨) فُعَل: مثل: لُبَد.(٩) فُعْلَى: مثل: عُلْيَا - حُسْنَى - شُورَى - سُوأَى.وتوجد صيغ أخرى، مثل: رحموت، ورهبوت، مما هو سماعي. (يُنظر: جامع الدروس، مصطفى الغلاييني، راجعه: محمد النادري، الطبعة: الثامنة والثلاثون، ١٤٢١ه، المكتبة العصرية – بيروت .

(٤) التعبير القرآني، المؤلف: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار - عمّان، الطبعة السادسة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩ م،: ص: ٣٧ .

(٥) ق: ٢ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾[1]، وهنا نتركُ المجالَ للدكتور فاضل السامرائي للحديثِ عن ذلك حيث يقول:

"فأنتَ ترى أنّه قال في سورة (ق): ﴿هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وفي (هود) ﴿هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وفي (ص) ﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ فَعَدَلَ من (عجيب) إلى (عُجاب)؛ وذلك أنَّه تَدرَّج في العُجْبِ بحسب قوّتِه، ففي سورة (ق) ذكر أنّهم عجبوا من أن يجيءَ منذرٌ منهم فقالوا: ﴿هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وفي (هود) كان العُجْبُ أكبرَ؛ لأنّه من خلافِ المُعتاد أنْ تلدَ امرأةٌ عجوزٌ عقيمٌ، وبَعْلُها شيخٌ؛ إذ كُلُّ ذلك يدعو إلى الغرابة والعُجب، فإذا اجتمع كل ذلك؛ كان أبعدَ وأبعد؛ ولذا أكَّد العُجْبَ بإنَّ واللام فقال ﴿هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ بخلاف (ق) فإنّه لم يُؤكد، أما في سورة (ص) فقد كان العُجْبُ عندَ المشركين أكبرُ وأكبر؛ إذ كيف يؤمنون بوحدانيةِ الإله ونفي الشركِ وهم غريقون فيه؟!..ولذا كان القتلُ أيسرَ عندَهم من التوحيد؛ ولذلك كان العُجْبُ عندَهم أكبرَ وأكبر؛ فجاء بإنّ واللّام وعدلَ من "عجيب" إلى "عُجاب"" [2].

٤- التعرُّضُ لاختلافِ وَزْنِ الأفعال:

ومن ذلك تعرضّه للاختلاف بين (**كسبَ**) و(**اكتسبَ**) حيث يقول: "و(**الكَسْبُ**) و(**الاكْتساب**) بمعنًى واحد؛ وقيل بينهما فرق؛ وهو أن (**الكَسْبَ**) في الخير، وطرقه أكثر؛ و(**الاكتساب**) في الشرِّ، وطرقه أضيق، والله أعلم"[3].

ويُفهَم أن المؤلّفَ يرجّحُ أنّهما بمعنىً واحد، وتحريراً للقول، فإنه بالتتبُّع والاستقراءِ لهذا الموضوع – من خلال المراجعِ التي بين يدي – يمكن أن يقال: إنَّ اللُّغويين، والمفسِّرين قد اختلفوا في توجيهِ ذلك التَّنوعِ وتلكَ المغايرةِ في مبنى الفعلين،

---

(١) هود: ٧٢.

(٢) التعبير القرآني: ٣٦ – ٣٧.

(٣) تفسير ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة: ٣/ ٤٥٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

حيث يرى بعضُهم: أنَّ (كَسَبَ) و(اكتسب) بمعنىً واحد، فهما لغتان، ومعناهما واحدٌ في كلامِ العرب، وإنَّما صارَ هذا التَّنوعُ في الاستعمال؛ تفنُّنًا وتحسينًا للكلام، وكراهيَةً لإعادةِ الكلمةِ بعينِها كما في قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾(١) وأنَّه إنّما عَدَلَ في الصِّيغة إلى (أمهل)؛ لأنَّه من أصلِ مهَّل وبمعناه؛ كراهة التَّكرار.

واستشهد بعضُهم بقول الشاعر:

ومُطْعَمُ الصَّيدِ هبَّالٌ لِبُغْيَتِهِ أَلْفَى ... أَبَاهُ بِذَاكَ الكَسْبِ يَكْتَسِبُ (٢)

بينما يرى آخرون أنَّ هناك سِرًّا بلاغيًا لطيفًا، وهو أن (الكَسْب) مختصٌّ بالخيرِ و(الاكتساب) مختصٌّ بالشرِّ – كما أشار المؤلّف – ؛ وذلك لأنّ في الاكتسابِ اعتمالاً، ولَّما كان الشَّرُّ ممَّا تشتهيه النَّفس، وهي منجذبة إليه، وأمّارة به؛ كانت في تحصيلِه أعملُ وآجد؛ فجُعِلت لذلك مكتسبةً فيه، ولّما لم تكن كذلك في بابِ الخيرِ وُصِفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال"(٣) .

وقد وردت لفظةُ (كَسَبَ) في سياقِ الشرِّ أيضاً ؛ وللشيخِ الشعراويِّ في ذلك توجيهٌ جيّدٌ؛ فبعد أن ذكرَ المعنى السابق، من أن الافتعال يكونُ في الشرِّ؛ أما الخيرُ فلا يحتاج سوى إلى فعل؛ قال: "والمصيبةُ الكبرى ألاّ يَحتاجُ الشرُّ إلى افتعال، لأن صاحبَه يصير إلى بلادةِ الحسّ الإيماني، وتكونُ الشرورُ بالنّسبةِ إليه سهلةٌ؛ لأنه تَعوّدَ عليها كثيراً، يقول الحق: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾(٤) إن الخطيئة تُحيطُ به

----

(١) الطارق: ١٧ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ: ١ / ٣٤٦ ، والبحر المحيط: ٢ / ٧٦١.، والتَّحرير والتَّنوير: ٣ / ١٣٧ ومختار الصحاح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الجديدة، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، تحقيق: محمود خاطر، ص:٥٨٦ .

(٣) تفسير الكشّاف:١/ ١٧٢، وينظر: تفسيرالبحر المحيط ٢/ ٣٨٢ وتفسير روح البيان ١/ ٣٦٦

(٤) البقرة: ٨١.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

من كلِّ ناحية، ولم يَعُدْ هناك منفذ، وهو لا يفتعل حتى صارت له مَلَكةً في الشر "[١]

وللبقاعي لفتةٌ رائعة؛ فهو يرى أن"ذِكْرَ الفعلِ مجرداً في الخير إيماء إلى أنه يكفي في الاعتدادِ به مجرّدُ وقوعِه ولو مع الكسل بل ومجرّدِ نيته"[٢]، وقال: "فشَرَطَ في الشر صيغةَ الافتعالِ الدالّةِ على الاعتمال؛إشارةً إلى أن من طَبْعِ النّفْسِ الميلَ إلى الهوى بِكُلِّيَّتِها، وإلى أنَّ الإثمَ لا يُكتبُ إلاّ مع التصميمِ والعزمِ القويِّ الذي إن كان عنه عملٌ ظاهر كان بجدٍّ ونشاطٍ ورغبةٍ وانبساط، فلذلك من همّ بسيئةٍ فلم يعملْها لم تكتب عليه[٣]، وربّما جاءت العبارةُ بخلافِ ذلك لمعنىً في ذلك السياقِ اقتضاه المقام"[٤].

ويذكر الرازيُّ وجها آخر وهو أن " الاكتسابَ أخصُّ من الكسب، لأن الكسب ينقسم إلى كسبٍ لنفسه ولغيره، والاكتسابُ لا يكون إلا لنفسِه خاصة، يقال: فلان كاسبٌ لأهله ولا يقال مكتسبٌ لأهله"[٥].

وذهبَ إلى التفريقِ بينهما بعضُ أئمَّةِ اللُّغة [٦]، يقول سيبويه: "وأمَّا كَسَب فإنَّه يقول: أصاب، وأمَّا اكتسب فهو التَّصُّرف والطَّلب، والاجتهاد بمنزلة الاضطراب"[٧]،

---

(١) تفسير الشعراوي: ٢/ ١٢٤٥.

(٢) نظم الدرر: ١/ ٥٥٧

(٣) يشير إلى حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ قَالَ إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً" أخرجه البخاري برقم: (٦٤٩١). ومسلم برقم: (٣٤٩) .

(٤) نظم الدرر ١/ ٧٩٨ .

(٥) تفسير الرازي: ٧/ ١٢٤ .

(٦) ينظر: الخصائص، المؤلف: أبي الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب - بيروت، تحقيق: محمد علي النجار: ٣/ ١٠١، وينظر لسان العرب ١/ ٧١٦.

(٧) كتاب سيبويه، المؤلف: أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ، دار =

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

وإن كان الجوهريُّ لا يرى بينهما فرقاً، فمعناهما لديه واحد[1].

وبناء على ماتقدّم فقد يَترجّحُ أن بينهما فرقا من حيث الدّلالة، كما عليه بعضُ أئمة اللغة وبعضُ المفسرين، ويمكن أن – بناءً على ما تقدّم – أن يُلخّصَ الفرقُ في ثلاثة وهي:

الأول: من جهةِ أنّ (الكَسْبِ) مُختصٌّ بالخير، و(الاكتسابَ) مُختصٌّ بالشر؛ لأنّ فيه معنى الاعتمال، كما عند بعضِ المفسرين.

وقد يردُ (الكسبُ) في سياق الخير؛ لنكتة بلاغية - ذكرها الشعراوي - وهي ألاّ يَحتاجُ الشرُّ إلى افتعال، لأن صاحبَه يصير إلى بلادةِ الحسّ الإيماني، وتكونُ الشرورُ بالنّسبةِ إليه سهلةٌ؛ لأنه تَعوّدَ عليها كثيراً، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ ولذلك قال: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ فلم يَعُد له منفذ ،عياذا بالله من حاله.

الثاني: من جهةِ أنّ (الكَسْبَ) ينقسمُ إلى كسبٍ لنفسِه وكسبٍ لغيره، و(الاكتسابَ) لا يكون إلا لنفسِه خاصّة، كما ذكر الرازي.

الثالث: أن في (كَسَبَ) بمعنى أصاب، و (اكَتَسبَ) بمعنى التصرّف والطلب كما هو عند سيبويه ، والله أعلم.

٥- التعرّض لسر التمييز:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾[2] حيث يقولُ المؤلف: "وتأمّل قولَه تعالى: ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا ﴾ ولم يَقُلْ (فجّرْنا عيونَ الأرض)، كأن الأرضَ كلَّها كانت عيوناً متفجرة، حتى التنور الذي هو أبعدُ ما يكون

= النشر: دار الجيل – بيروت: ٤ / ٧٤.

(١) مختار الصحاح: ٥٨٦ .

(٢) القمر: ١٢ .

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

عن الماءِ لحرارتِه ويبوستِه صارَ يفور، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾[1]" [2].

وهذا – الملحظ اللطيف – هو ماقرّره أئمةُ البلاغةِ وأشياخُها، وعلى رأسِهم الإمامُ عبد القاهر الجرجاني حيث قال: "ونظيرُ هذا[3] في التَّنزيلِ قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا ﴾ التفجيرُ للعيون في المعنى وأوقعُ على الأرضِ في اللفظ، كما أسندَ هناك الاشتعالَ إلى الرأس، وقد حصل بذلك من معنى الشُّمول – هاهنا – مثلُ الذي حصلَ هناك؛ وذلك أنه قد أفادَ أنَّ الأرضَ قد كانت صارتْ عيوناً كلُّها، وأنَّ الماءَ قد كان يفورُ من كلِّ مكانٍ منها، ولو أُجريَ اللفظُ على ظاهرِه فقيلَ: (وفَجَّرنا عيونَ الأرضِ) أو (العيون في الأرض) لم يُفِد ذلك ولم يَدُلَّ عليه، ولكان المفهومُ منه أنَّ الماءَ قد كان فارَ من عيونٍ متفرقةٍ في الأرض وتبجَّس من أماكنَ منها"[4]، ويقول عبد الرحمن الميداني: " ففي هذا النّص تصويرٌ بارع، يُبْرِزُ مشهدَ انصباب الماء من السماء، حتى كأنّ أبواباً فيها، هي بمثابة سُدودٍ فتحت؛ فانصبّ الماء المنحصر وراءها، ويُبْرِزُ مشهدَ تفجُّر الماء من مواضع لا تحصى من الأرض، حتّى لكأنّ الناظر إلى الأرض يرى أنّها كلّها قد صارت عيوناً يتفجّر الماء منها تفجّراً، ليلتقي في بحرٍ طامٍ خِضَمٍّ لا يُبْقِي

---

(١) هود: ٤٠ .

(٢) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد: ٢٧٠ .

(٣) أي قوله تعالى (واشتعل الرأس شيبا) مريم: ٤، وقد قال على هذه الآية " إذا قيلَ: اشتعلَ شيبُ الرأسِ أو الشيبُ في الرأس. بل لا يُوجبُ اللفظُ حينئذٍ أكثرَ من ظهورِه فيه على الجُملة. وَوِزانُ هذا أنك تقولُ: اشتعلَ البيتُ ناراً فيكون المعنى أنَّ النارَ قد وقعتْ فيه وقوعَ الشُّمول وأنها قد استولتْ عليه وأخذتْ في طرفيهِ ووسطهِ. وتقولُ: اشتعلِت النارُ في البيت. فلا يُفيدُ ذلك بل لا يَقْتضي أكثَرَ من وقوعِها فيه وإصابتها جانباً منه فأمّا الشمولُ وأنْ تكونَ قد استولتْ على البيت وابتزّته فلا يُعْقَل من اللفظ البتة "، يُنظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص: ١٠١ .

(٤) دلائل الإعجاز: ١٠٢ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ولا يذر"[1].

وهو ما قرّره كذلك أئمةُ التفسير، يقول الرازي: "وفيه من البلاغةِ ما ليس في قول القائل (وفجرنا عيون الأرض)، وهذا بيانُ التمييزِ في كثيرٍ من المواضعِ، إذا قلت: (ضاق زيد ذرعاً)، أَثْبَتّ مالا يُثبتُه قولُك: (ضاق ذَرْعُ زيد).... وأما قولُه تعالى ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ فهو أبلغُ من قولك: (وفجّرنا عيونَ الأرض)؛ لأنّه يكونُ حقيقةً لا مبالغةَ فيه" [2]، والله أعلم.

٦-التعرُّض لصيغة التَّضعيف:

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[3]، حيثُ يقول المؤلف: "قوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ بالتّشْديدِ ولَمْ يَقُلْ: ")نْ يُقْتَلُوا) كأنّه - والله أعلم - يُشِيرُ إلى شَنَاعَةِ قَتْلِهم وإلى تَعَدُّدِهم أيضاً؛ لأنّه إذا تَعَدّدَ المحَلُّ أو تَعدَّدَ الفِعْلُ صَحّ أن تَأْتِيَ الصِّيغةُ بما يَدُلُّ على الكثرة، وهنا إذا قلنا: إنّ المرادَ بقولِه: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ الجماعةُ الكثيرةُ، صار هذا لتعدُّدِ المحلّ، أنْ يُقْتَلَ زَيْدٌ وعَمْرو وبَكْرٌ وخالدٌ إلى آخرِه، وإذا قُلنا: لشناعةِ القَتْلِ معناه: أَنَّنَا نَقْتُلُهم قتلاً شنيعاً ينزجرُ به غيرهم"[4].

والقراءةُ بالتشديدِ هي قراءةُ الجمهور[5]، وهو للتّكثيرِ بالنّسبةِ إلى الّذين يُوقَعُ

(١) البلاغة العربية: ١/ ٩٥ .

(٢) تفسير الرازي: ٢٩/ ٣٤، وينظر: تفسير البحر المحيط: ٢٧/ ١٧٦ ، ، وتفسير البيضاوي: ٥/ ٢٥٦، وتفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ١٧٦

(٣) المائدة: ٣٣ -٣٤.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة: ١/ ٣٢٠.

(٥) تفسير البحر المحيط: ٣/ ٤٨٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

بهم الفعل[1]، فقال ﴿يُقَتَّلُوٓاْ﴾ مبالغةً في يُقْتلوا، كقولِ امرئ القيس:

في أعشار قَلْبٍ مُقَتَّل[2]

قُصِد من المبالغةِ هنا إيقاعُه بدونِ لينٍ ولا رِفْقٍ؛ تشديداً عليهم، وكذلك الوجْهُ في قوله ﴿يُصَلَّبُوٓاْ﴾"[3]، ويدلُّ على ذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ في آيةِ جلدِ الزناةِ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾[4]، والله أعلم.

وبهذا ينتهي المبحث الثاني، ويليه المبحثُ الثالث، وهو بعنوان: (حروف الجر).

---

(١) تفسير البحر المحيط: ٣/ ٤٨٥.

(٢) عجزُ بيتٍ من معلقة امرئ القيس وهو من قوله:

ومَا ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلا لتَضْرِبِي ** بسَهمَيكِ في أعشارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ، (ديوانه).

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٥/ ٩٣.

(٤) النور: ٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١.
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المبحثُ الثّالث
حروفُ الجر

وقد توقّف المؤلفُ عند كثيرٍ من حروفِ الجر، وأستطيعُ أن أُقسِّم نظراتِه في هذا المبحثِ إلى الأقسام التالية:

١-إيحاءات حروف الجر:

وأقصِدُ بذلك ما كان فيه حرفُ الجرِّ على أَحَدِ معانيه الأصليةِ المعروفة، وتلمَّسَ المؤلفُ إيحاءاتِ ذلك المعنى الأصلي.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ (١) حيث يقول المؤلف: "ومنها - أي من فوائد الآية - أن الإنفاق - غير الزكاة - لا يتقدَّر بشيءٍ مُعَيّنٍ؛ لإطلاقِ الآية، سواء قلنا: إن (مِن) للتبعيض؛ أو للبيان"(٢).

ويرجّح بعضُ المفسرين أن (مِن) - هنا - جاءت للتبعيض، وأنه أَدْخَلَ (مِنْ) التبعيضيةِ صيانةً لهم وكفّاً عن الإسرافِ والتبذيرِ المنهيِّ عنه"(٣)، وللنورسيِّ كلامٌ رائعٌ على هذه الجملةِ بشكلٍ عام، حيث يقول "... ثم إنَّ من شروطِ أن تَقَعَ الصّدَقَةُ موقعَها اللائق: أن لايُسرفَ المتصدق فيقعد ملوماً.. وأن لايأخذَ من هذا ويعطي لذاك؛ بل من مالِ نفسِه.. وأن لايمنَّ فيستكثر.. وأن لايخافَ من الفقر.. وأن لايقتصرَ على المالِ، بل بالعلمِ والفِكْرِ والفعلِ أيضا.. وأن لايصرفَ الآخذُ في السفاهة، بل في النفقةِ والحاجةِ الضروريّةِ، فلإحسانِ هذه النكت، وإحساس هذه الشروط تصدَّق القرآنُ على الأفهامِ بإيثار ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ على (يتصدّقون) أو (يزكّون) وغيرهما؛ إذ أشار بـ(من) التبعيض إلى ردِّ الإسراف.. وبتقديم (**ممّا**) إلى كونِه من مال نفسه.. وبـ(**رزقنا**) إلى قَطْعِ

---

(١) البقرة: ٣

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣٠.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ٣٢، وتفسير الرازي: ١/ ٢٢

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ ١١
Ali Fattani

المِنَّة، أي: أنّ اللهَ هو المعطي وأنتَ واسطة.. وبالإسنادِ إلى (نا) إلى: (لاَتَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ اِقْلاَلاً)[١]، وبالإطلاقِ إلى تعميمِ التّصُدُّقِ للعلمِ والفكرِ وغيرِهما، وبمادة: "يُنفقون" إلى شَرْطِ صَرْفِ الآخذِ في النّفَقَةِ والحاجاتِ الضرورية"[٢]

وأضيفُ أنّ في التعبيرِ بـ(ما) دون (من)، أو (الذي) تعميماً؛ لتشملَ كلَّ ما يمكنُ أن يُرزقَه الإنسانُ، وهذا يزيدُ النصّ سعة، أضف أن الإنفاقَ يدلُّ في أصلِه على انقطاعِ الشيءِ وذهابه[٣]، فكأنّ الآيةَ تُذكِّرُ أنّهم بصدقتِهم يُفنون ما في أيديهم؛ مما يدلُّ على صِدْقِ إيمانِهم، وكذلك فإنَّ التعبيرَ بالمضارعِ (ينفقون) يدلُّ على تَكَرُّرِ الإنفاق، ولعلّ في التعبيرِ بالماضي (رزقناهم) ما يلوِّح بأنّ الرِّزْقَ محسوم[٤]، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[٥] يقول المؤلف: "قوله تعالى: ﴿بِحَمۡدِكَ﴾، قال العلماء: (الباء) هنا للمصاحبة، أي: تسبيحاً مصحوباً بالحمد مقروناً به"[٦]، وهو ماذهب إليه الألوسي حيث يقول: "والباء لاستدامةِ الصحبة والمعية"[٧]، ويرى أبوحيان أن (الباء) للحال، قال:"(الباء) فيه للحال،أي نسبح ملتبسين بحمدك، كما تقول: جاءَ زيدٌ بثيابِه، وهي حالٌ متداخلة؛ لأنّها حالٌ في

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) ذكر محقّق الكتاب أن الحديث صحيحٌ لطرُقِه، وعزى إلى صحيح الجامع ص: ١٥٠٨، وصحيحِ الترغيب صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة : الخامسة، ص: ٩١٢، وغيرهما.

(٢) إشارت الإعجاز في مظانّ الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر: فرع القاهرة، الطبعة الثانية بمصر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. ص ٥٣-٥٤، ولم أتبيّن وجهَ كلامِ المؤلفِ في جملته الأخيرة.

(٣) مقاييس اللغة: ٥/ ٤٥٤.

(٤) البقرة: ٣٠ .

(٥) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٦٧ .

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة:١/ ١١٤.

(٧) تفسير روح المعاني ١/ ٢٢٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

حـال"[1]، وذلـك لأن جملـة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ جملـةٌ حاليـة، وهـو يـرى أن ﴿بِحَمْدِكَ﴾ في موضع حالٍ – أيضا –[2] فذلك معنى قوله: (حالٌ متداخلةٌ في حال).

وقيل: الباء للسببية، أي بسبب حمدك[3]، والذي يبدو لي أن القولَ الأخيرَ بعيدٌ جداً، ولم أَجِدْ من نصّ عليه، إلا أنّ أبا حيان ذكره في ثنايا حديثِه دون إسناد؛ والذي يترجّح لي – والعلم عند الله – أن القولَ الذي ذهبَ إليه المؤلّف، والذي هو رأي الألوسي؛ هو قولٌ متوجّه؛ لأن ذلك أشمل وأعمّ، فجملة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ هي دالةٌ على الحاليّة في حدِّ ذاتِها، وتكون (الباء) للمصاحبة والمعية، أي: ونحن في حالةِ كوننا نسبّح مصطحبين حمدك معنا، فيشمل الحالَ والمصاحبة.

وحول الغرضِ البلاغيِّ في قولِه سبحانه ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ يقول المؤلّف: "فتكونُ الجملةُ متضمنةً لتنزيهِ الله عن النقص، وإثبات الكمال لله بالحمد"[4]، وهذا ملحظٌ لطيف، وقد أشارَ إليه ابنُ عاشور، وجعلَه مما تحتملُه الجملةُ، وذَكر احتمالاً آخر؛ وهو أنها جاءت "للتعريضِ بأنّهم أولى بالاستخلاف؛ لأنّ الجملةَ الإسميّةَ تدلُّ على الدوام"[5].

والذي يَظهرُ لي: أنّه لا تعارضَ بين الاحتمالين؛ فالتعريضُ بأنّهم أولى بالاستخلافِ؛ جاء في صورةِ تنزيه الله وإثبات الكمال له، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[6]، يقول المؤلف:"قوله تعالى:

---

(١) تفسير االبحر المحيط: ١/ ٢٩١.

(٢) السابق: ١/ ٢٩١ .

(٣) السابق: ١/ ٢٩١ .

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة:١/ ١١٤ .

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٣٩١.

(٦) البقرة: ٢١٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ المعيةُ هنا للمصاحبة، والمعيةُ كُلّما أُطلقت فهي للمصاحبة[1]؛ لكنها في كل موضع بحسبه"[2].

وبناءً على ذلك يكون التقدير:(وَأَنزَلَ الكتابَ مصاحباً لهم) ، وهذا هو الذي مشى عليه عامّة المفسرين[3]، وكذلك جاءت(الباء) في قولِه تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي مصحوباً بالحق،وتكون حالاً مؤكدة؛ لأن كُتُبَ الله المنزّلةَ يصحبُها الحقُّ ولا يفارقُها[4]، ويبدو لي– والعلم عند الله – أنّ (مع) – أيضاً – قد تضمّنت معنى (إلى) التي تفيدُ الانتهاء[5]، أي: (وأَنْزَلَ إليهم الكتاب)؛ فَوَقْتُ الإنزالِ لم يَكُنْ الكتابُ مصاحباً لهم، لكنّه انتهى إليهم[6].

ونظيرُ ذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[7] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[8] فقد عبّر – في هاتين الآيتين– بـ(إلى) دونَ (مع) وذلك – والله أعلم – ليُشيرَ إلى أن الأنبياءَ هم

---

(١) يُنظر في ذلك: كتابُ (من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم)، د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م؛ فقد نصّ على ذلك ص١٥٤.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٢٨ .

(٣) يُنظر – على سبيل المثال – :تفسير البحر المحيط: ٢/ ١٤٤، و تفسير روح المعاني: ٢/ ١٠٠ .

(٤) ينظر تفسير البحر المحيط: ٢/ ١٤٤.

(٥) وقد ذكر بعض العلماء أن (إلى) تأتي بمعنى (مع)، كما هو مذهب بعضِ النحاة، ينظر كتاب الخضري السابق ص ٢٧٨ فما بعدها.

(٦) ينظر تفسير البحر المحيط: ٢/ ١٤٤.

(٧) البقرة: ١٣٦ .

(٨) المائدة: ٨٣ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

أوَّلُ المتّبعينَ لما ينزِّلُ اللهُ - تبارك وتعالى - وأوّل المأمورينَ والمنهيّينَ به؛ فأضافَ الخطابَ بالتنزيل إليهم، إذ كانوا متّبعيه، ومأمورين منهيّينَ به؛ فكان - وإنْ كان تنزيلاً إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - بمعنى التنزيل إليهم[1] ، كما أنّ الآيةَ - آية المبحث - مَسوقةٌ لتعليلِ إنزالِ الكتاب وهو: الحكمُ بينَ النّاسِ فيما اختلفوا فيه، ﴿لِيَحۡكُمَ﴾ وقد أجازَ الزمخشري[2]، وكذلك المؤلف[3]، أن يكونَ الفاعلُ: (النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والنبيُّ يحكمُ بالكتاب وذلك - أصلاً - يتضمّنُ الانتهاءَ إليه، والله أعلم.

٢-القولُ بالتضمين:

وذلك في بعضِ الآياتِ التي لا يكون فيها حرفُ الجرّ هو المعتادُ استخدامُه مع الفعلِ المذكور، في نفس الآية.

وقد اهتمّ به المؤلّف وبين أهميتَه حيث يقول: "والتضمينُ موجودٌ في القرآنِ الكريم، وفي اللغة العربية قال الله تعالى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦﴾[4] والمناسب ليشرب (من) كما قال تعالى: ﴿يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣﴾[5] يعني منه، وقال تعالى ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾[6] وهنا قال: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ قال العلماءُ:الحكمةُ أن "يَشْرَب" - هنا- ضُمِّنَت معنى (يَروى)، أي: يَروى بها، ومعلومٌ أنك إذا قلت: يَروى بها؛ فقد تَضَمّنَ معنى (يشرب) وزيادة، والتضمين: فَنٌّ مُهم في بابِ البلاغةِ، ينبغي لطالبِ العلمِ أن يدرسَه ويحقِّقَه، حتى يستفيدَ إذا اخْتَلَفَتِ

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ١٠٩ .

(٢) تفسير الكشاف: ١/ ٢٨٣ وينظر: تفسير البحر المحيط: ٢/ ١٤٥ .

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة:٢/ ٢٩ .

(٤) الإنسان: ٦ .

(٥) المؤمنون: ٣٣ .

(٦) البقرة: ٢٤٩

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الحروفُ مع عوامِلِها"[١].

والمؤلفُ، وإن أشارَ إلى أنّه بابٌ مُهِمٌ من أبوابِ البلاغةِ، إلا أنّ كلامَه هذا يَنصرفُ إلى التضمينِ في مفهومِ (النحاةِ) دون (البيانيين)[٢]، وهو- كما يقولُ ابنُ هشام: "أنهم يُشَرّبُون لفظاً معنى لفظٍ ويُعطونَه حُكْمَه، ويُسمى ذلك تضمينا، وفائدتُه أن تُؤدِّيَ كلمةٌ مُؤَدَّى كلمتين"[٣].

وقال المؤلّفُ في موضعٍ آخر:"إن الفعلَ إذا تعدّى إلى مفعولِه بحرفٍ جَرَت العادةُ أنّه يتعدّى به فالأمرُ واضح، وإن تعدّى الفعلُ إلى مفعولِه بحرفٍ لم تجرِ العادةُ أنّه يتعدّى به فهُنا اختلف النحويون: هل يُفَسَّر الحرفُ بما يناسبُ الفعل، أو يفسَّرُ الفعلُ بما يناسبُ الحرف، أي يُضمّن معنىً يُناسبُ الحرف...فعلى القول: بأنّ الحرفَ يكون بمعنى الحرفِ المناسبِ للفعلِ[٤]؛ نقول: **(الباء)** في قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنى **(من)**، وعلى القول الثاني: نلتمّس معنىً يناسب **(الباء)**، والفعلُ الذي يناسب **(الباء)** هو **(يروى)**، فَنُضَمِّنُ الفعلَ **(يشرب)** معنى **(يروى)**، وحينئذٍ يكون التقدير: (عيناً يروى بها عباد الله)، والثاني أبلغ؛ لأن الريّ يستلزمُ الشُّرْبَ ولا عكس، وحينئذٍ يكون التجوُّزُ بالفعلِ أقوى؛ لأنّه يتضمّنُ الفعلَ الذي يتعدّى إلى هذا الحرف وزيادة، وهذا مذهبُ نحاة البصرة[٥] وهذا الذي اختاره شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة التفسير"[٦].

---

(١) تفسير ابن عثيمين – من الحجرات إلى الحديد – ص٣٦٨ ويُنظر: تفسير سورة البقرة: ٢/ ١٤٦.

(٢) سيأتي مفهومه عن البيانيين قريبا.

(٣) مغني اللبيب: ٨٩٧، ويُنظر كتاب الخضري "من أسرار حروف الجر" ص ٢٧

(٤) وهو مذهب الكوفيين، يُنظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق، فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان –، الطبعة الاولى،١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص: ٤٦.

(٥) يُنظر: الجني الداني في حروف المعاني، ص:٤٦.

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة: ١ / ٥٦، وينظر لزاماً: أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية مع =

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

والمؤلف وإن طبّقه على مفهوم البيانيين في بعض المواضع -كما سيأتي- إلا أنّ الآيةَ التي استدلّ بها وهي قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ قد تأثّر فيها بكلامِ ابنِ القيمِ عليها، وابنُ القيِّمِ يقتصرُ على مفهومِ النّحاةِ القائلين بالتضمين، بل ويُشِيدُ به حيث يقول: "هذه طريقةُ إمامِ الصِّناعةِ سيبويهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وطريقةُ حُذَّاقِ أصحابِه، يُضَمِّنونَ الفعلَ معنى الفعل، ولا يُقيمونَ الحرفَ مقامَ الحرفِ[1]، وهذه قاعدةٌ شريفةٌ جليلةُ المقدارِ، تستدعي فطنةً ولطافةً في الذهنِ، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾، فإنهم[2] يُضمِّنونَ (**يشرب**) معنى (**يروى**)، فيُعدّونه بالباء التي تطلبها، فكون في ذلك دليل على الفعلين، أحدهما: بالتصريح به، والثاني: بالتضمُّنِ والإشارةِ إليه بالحرفِ الذي يقتضيه مع غاية الاختصار وهذا من بديع اللغة ومحاسنها "[3]

وقد علّقَ الخُضريُّ على قولِ ابن القيم هذا، وبيّنَ أن هذا المفهومَ وحده لاينهضُ لأداءِ المعنى المراد فيقول: "ومهما راقَ لابنِ القَيّمِ تضمينُ (يشرب) معنى (يروى) لإفادةِ معنى الشُّرْبِ والرّي معا؛ فإنه لايستطيعُ أن يفسِّرَ لنا ما قيمةُ الجمعِ بين الشُّرْبِ والرّي؟ ولِمَ لَمْ يقل: يروى بها، والريُّ لايكونُ إلا عن شرب؟"[4] ويواصل الخضري قائلا:" بل إنني أذهبُ إلى أن القولَ بالتضمينِ صرَفَ همَمَ حُذّاقِ العربيةِ عن استجلاءِ أسرارِ الحروفِ، وجعَلَهم يَستنيمون إليه في المواضع التي لا يظهر فيها سِرُّ وقوعِ

= شرحها للشيخ صالح آل الشيخ، ص: ٥٥ فما بعدها.

(١) وقد ذكر ابن القيّم قبل هذا "أن إقامة الحرف مقام الحرف، هو طريقة ظاهرية النحاة دون فقهائها" ويعني بهم الكوفيين كما تقدم، يُنظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة: ١٤١٨ه، ٣/ ٣٢.

(٢) أي: سيبويهِ وأصحابه.

(٣) بدائع الفوائد: ٣/ ٣٢.

(٤) من أسرار حروف الجر: ص٢٩ .

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

حرفٍ موقعَ غيرِه "[1].

ومن المواضعِ التي تكلّم عليها المؤلف – في هذا السياق – قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[2]، حيث يقول: "﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: إليها، لكنْ جاءت بلفظ ﴿فِيهَا﴾ بدل (إليها)؛ لنستفيدَ فائدتين: الفائدة الأولى: العروج يعني: (الصعود).

الفائدة الثانية: (الدخول)؛ لأن (في) يناسبها من الأفعال (**الدخول**)، تقول: دخل في المكان، أمّا (**عَرَجَ ويَعْرُج**" فالّذي يناسبُها (**إلى**)، لكنّ الله عَزَّوَجَلَّ عدل عن (**يعرج إليها**) إلى قوله ﴿يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ؛ ليُفيدَ الصعودَ والدخول، وضمّن (يعرج) معنى يدخل "[3].

فهو يرى أن فائدةَ التعدية بـ(في) دون (إلى) ليدُلَّ الفعلُ المُعبَّرُ به على المعنيين دلالةً ضمنيّة، أي: أن يتضمنَ الفعلُ معنى فعلٍ آخرَ، ولكنّ هذا لا يجلي سرَّ وقوع الحرف في غير موقعِه؛ إذ لايعدو كونَه تضمينَ فعلٍ معنى فعلٍ آخرَ، حسبَ مفهومِ بعضِ النحاةِ، وهو – كما تقدّم – لايكفي وحده لإبرازِ المعنى الجمالي، والسرِّ الذي ينطوي عليه ذلك التعبيرُ الفريدُ؛ إذ إنّ المفهومَ البيانيَّ للتضمين أوسعُ من التضمينِ في مفهومِ النحاةِ – على اختلافِهم – يقول الخضريُّ:

"وقد بَسَطَ السيّدُ الشريفُ وجهةَ نظرِ البيانيين عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[4] فقال:"والتضمينُ: أن يُقْصَدَ بلفظٍ فِعْلَ معناه الحقيقيِّ، ويُلاحظُ معه معنى فِعْلٍ آخرَ يُناسبُه، ويَدُلُّ عليه بذكرِ شيءٍ من مُتَعَلَّقَاتِه، كقولك: (أحمدُ إليك فلانا)،

---

(١) من أسرار حروف الجر: ص ٢٩

(٢) الحديد: ٤

(٣) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد:٣٦٧ – ٣٦٨.

(٤) البقرة: ٣ .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

لاحظتَ فيه مع الحمدِ معنى الانتهاءِ، ودلّلْتَ عليه بذكرِ صِلَتِه، أعني (إلى)، أي أنهى حمدَه إليك، وفائدةُ التضمينِ: إعطاءُ مجموعِ المعنيينِ، فالفعلانِ مقصودانِ معاً قصداً وتَبَعا.." [(١)].

هذا وقد تفنّن المفسرونَ في محاولةِ استجلاءِ السرِّ في التعبير بـ ﴿يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ دونَ "يعرجُ إليها"؛ قال الفخرُ الرازيُّ: "قال ﴿يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ ولم يقل: (يعرجُ إليها)؛ إشارةً إلى قبولِ الأعمالِ الصالحةِ، ومرتبةِ النفوسِ الزكيَّةِ؛ وهذا؛ لأن كلمة (إلى) للغايةِ؛ فلو قال: (وما يعرجُ إليها)؛لفُهِم الوقوفُ عندَ السمواتِ؛ فقال ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾؛ ليُفْهَم نُفُوذُها فيها، وصُعودُها منها، ولهذا قال في الكلمِ الطيبِ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[(٢)]؛ لأن الله هو المُنتهى ولا مرتبةَ فوقَ الوصولِ إليه، وأما السّماءُ فهي دُنيا، وفوقَها المنتهى"[(٣)]، ويقول ابنُ عاشور:"وتعديتُه - أي العروج - بحرفِ الانتهاءِ مفيدةٌ أن تلكَ الأمورَ المدبَّرةَ تصعدُ إلى الله تعالى؛ فالعروجُ - هنا- مستعارٌ للمصيرِ إلى تصرُّفِ الخالق دونَ شائبةِ تأثيرٍ من غيرِه ولو في الصورةِ كما في أحوالِ الدنيا من تأثيرِ الأسباب"[(٤)]، ويقول صاحبُ الوسيط: "وعدَى العروجَ بحرف (فى)؛ لتَضَمُّنِه معنى الاستقرارِ، وهو فى الأصل يُعدّى بحرف (إلى)، كما فى قوله -تعالى-: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾[(٥)]" [(٦)].

والذي يبدو لي أن كلَّ هذه اللفتاتِ وغيرَها -مما يناسبُ المقامَ- صالحةٌ لأن

---

(١) حاشية السيّد الشريف على الكشاف، نقلا عن الخضري في كتاب " أسرار حروف الجر" ص: ٣٤

(٢) فاطر: ١٠

(٣) تفسير الرازي: ٢٥/ ٢٠٨.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢١/ ١٧٤

(٥) المعارج: ٤

(٦) الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧ م: ١١/ ٢٦٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

تكونَ مرادةً، فإن القرآنَ الكريمَ بحرٌ لا يُدْرَكُ غَورُه، ولا تَنْفَدُ دُرَرُه، ولا تنقضي عجائبُه.

ومما يحسن الوقوفُ معه - في هذا السياق - تلك الجماليةُ المتمثِّلةُ في التعبيرِ بـ"(يَلِجُ) و(يَخْرُجُ) و﴿يَنزِلُ﴾ و﴿يَعْرُجُ﴾ تعبيراً يتواءَمُ مع المعنى، وقد تفطّن لها الطاهرُ ابنُ عاشور حيثُ يقول: "واعلم أنَّ كلمتي ﴿يَلِجُ﴾ و﴿يَخْرُجُ﴾ أوضح ما يُعَبَّر به عن أحوالِ جميعِ الموجوداتِ الأرضيةِ بالنسبةِ إلى اتّصالها بالأرضِ، وأن كلمتي ﴿يَنزِلُ﴾ و﴿يَعْرُجُ﴾ أوضحُ ما يُعبَّر به عن أحوالِ الموجوداتِ السماويةِ بالنِّسْبَةِ إلى اتّصالِها بالسَّماءِ من كلماتِ اللغةِ التي تَدُلُّ على المعاني الموضوعةِ للدَّلالَةِ عليها دَلالةً مُطابقيةً على الحقيقةِ دون المجازِ ودون الكنايةِ، ولذلك لم يَعْطِف السماءَ على الأرضِ في الآيةِ فلم يَقُلْ:"يعلم ما يلج في الأرض والسماء، وما يخرج منهما، ولم يُكتَفَ بإحدَى الجملتين عن الأخرى". (١)

وعند قوله تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾(٢) نجد المؤلف يطبق مفهومَ التضمينِ عند البيانيين حيث يقول:"ومعنى (تُمارونَه) أي: تُجادلونه بقصدِ الغلبة، لهذا عداها بـ(**على**) دون(**في**)، فلم يقل: (أفتُمارونَه فيما يرى) بل قال ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾، إشارةً إلى أنّ الفعلَ ضُمِّنَ معنى المغالبة، أي أفتجادلونَه تريدونَ أن تغلبوه على ما يَرى، أي: على شيء رآه "(٣) .

فقد لاحظَ المؤلفُ معنى لفظ (**تمارونه**) وهو الجدال، وعَبَّر عنه- أي الجدال- بفعلٍ آخرَ يناسبُه، وهو (**المماراة**) ودلّ عليه بذكر شيءٍ من مُتعلَّقَاتِه وهو (**الغلبة**) وعلى ذلك ينطبقُ مفهومُ البيانيينَ كما تقدم - وهذا ملحظٌ لطيف جدا - من وجهة نظري - وقد لفتَ إليه أكثرُ المفسرين أيضا، قال ابنُ عاشور: "وتعديةُ الفعلِ فيهما بحرفِ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٢/ ٩

(٢) النجم: ١٢

(٣) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد، ص:٢٠٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الاستعلاءِ لتضَمُّنِه معنى الغلبةِ، أي هَبْكُم غالبتموه على عبادتِكم الآلهةَ، وعلى الإعراضِ عن سماعِ القرآنِ ونحو ذلك أتغلبونَه على ما رأى ببصره "[1]، ولاشكّ أنَّهم قد جادلوه في كلِّ ما رأى من خبرِ السماءِ، وكذلك مما عرضَ له في طريقِ الإسراءِ؛ وذلك أنَّهم جادلوه حين أُسري به، فقالوا: صِفْ لنا بيتَ المقْدِسِ، وأَخْبِرْنا عن عِيْرِنا في الطريقِ، وغيرِ ذلك مما جادلوه به[2] وكلُّ ذلك بقصدِ غلبتِه على ما رأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لاسيّما وقد قُرِىء **(أفتَمْرُونَه)** أى أفتغلبونَه في المِراءِ من ماريتُه فمريتُه"[3]، أو هي مضارع (مَريت): أي جحدتُ قال أبوحيان: "يقال: مريتُه حقَّه، إذا جحدتُه، قال الشاعر:

لئن سَخرتَ أخا صدقٍ ومَكْرُمَةٍ لقد مريتَ أخاً ما كان يمريكا"[4]

كما أنّ في المماراة -أيضا- معنى الشّدَّةِ [5]، فلما كانت بهذا المعنى؛ عُدِّيَت -أيضاً- بـ(على) للسرِّ الذي تلمّسه المؤلفُ وغيرُه - وهو تضمُّنِها معنى المغالبة - فاتفقت اللفظةُ والتعديةُ في هذا النظمِ المعجزِ لتؤديَ المعنى الذي صيغت من أجلِه، ولو عُدِّيت بغيرِه لما أدّت المعنى المراد - والذي هو الغلبة - كما لو عُدِّيت بـ(في) - على سبيل المثال- فإنها تصبحُ بمعنى المجادَلة والمحاجّة، التي لاتقتضي المغالبة، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾[6] أي: فلا تجادلُ وتحاج [1] أو قد تصبحُ بمعنى **(الشّك)**

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ١٠٦، وينظر: تفسير البحر المحيط: ٨/ ١٥٦ ، وتفسير البيضاوي: ٥/ ٢٥٤ ، وتفسير روح المعاني: ٢٧/ ٥٠ .

(٢) تفسير البغوي: ٧/ ٤٠٤.

(٣) يُنظر: تفسير أبي السعود: ٨/ ١٥٦، وتفسير البغوي: ٧/ ٤٠٤ وقد ذكر البغويُّ أنها قرآءة (حمزة ويعقوب والكسائي).

(٤) تفسير البحر المحيط: ٨/ ١٥٧.

(٥) مقاييس اللغة: ٥/ ٣١٤.

(٦) الكهف: ٢٢

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

كما في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾(٢) فالمُماراة هنا: مُفَاعَلة، من المِرْية - بكسر الميم- وهي الشك(٣)؛ ولـذلك قـال تعـالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾(٤).

وفي التعبير بـ(**المماراة**) دونَ غيرِها من الألفاظِ -كلفظِ (الجدال) ونحوه، حيثُ لم يَقُلْ: (**أتجادلونه**)- لفتةٌ لطيفةٌ يحسنُ الوقوف معها، فثمّة فرقٌ بين المراءِ والجدالِ، من وجوه أقتصرُ على وجهين منها:

الأول: ذَكَرَ الجرجانيُّ: أن (المراءَ) فيه معنى تحقيرُ الغير، و(الجدالَ) يتعلق بإظهارِ المذاهبِ وتقريرِها(٥).

الثاني:أن (المرآءَ) مذمومٌ مطلقا، كما في الآيات السابقة وكما في الحديث: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُزَاحَةِ وَيَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا"(٦)، وكما في الحديث الآخرِ "عَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ

----

(١) تفسير السعدي: ٤٧٣.

(٢) الشورى: ١٨

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٥/ ١٣٦.

(٤) هود: ١٧

(٥) التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص: ١٠١ وص: ٢٦٦.

(٦) مسند الإمام أحمد: ١٤/ ٢٧٨، برقم ٨٦٣٠. وقد ذكر محقق الكتاب (شعيب الأرنؤوط) أنّ إسناده ضعيف.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ"[1]، بخلافِ (الجدال) فإنّه قد يكون بحقّ كما في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]، وقد يكون بباطلٍ، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[3] فإن كان الجدالُ للوقوفِ على الحقّ وتقريرِه؛كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحقّ، أو كان جدالاً بغير علم؛كان مذموماً"[4]؛ ولذلك تصحُّ مجادلةُ أهلِ الفضلِ، والعلمِ، والمقامِ الرفيعِ، بالتي هي أحسن، قال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[5] ولاتصح مماراتُهم؛ لأنّ (المماراةَ) -وإن كان (الجدالُ) أصلَها - تتضمنُ من الغلبةِ، والجحودِ، والشِّدَّةِ، ونحو ذلك، مالاتتضمنُه المجادلةُ ، والله أعلم.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢ / ٦٦٢، برقم:(٤٨٠٠). وقال الألباني "حديث حسن "يُنظر:طبعة الكتاب العربي بتحقيقه ٤/ ٤٠٠.

(٢) النحل: ١٢٥ .

(٣) غافر: ٤ .

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، لمحيي الدين النووي، تخريج:أحمد زهزة، طبعة ١٤٢٥هـ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان،ص ٢٣٨.

(٥) المجادلة: ١ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

٣- زيادة حروف الجر:

تـأتي حـروفُ الجـرِّ زائـدةٌ في المبنـى مفيـدةٌ في المعنـى، والقـولُ بالزيـادةِ - سـواءً بحروفِ الجرِّ أو غيرِها - قولٌ مُختَلفٌ فيه بين أئمةِ اللغةِ والبيانِ والتفسيرِ، وقد افترقَ أؤلئك العلماءُ بشتَّى طوائفِهم وتخصصاتِهم تجاه القولِ بالزيادةِ إلى فريقين: (فريق قال بالزيادة) و(فريق قال بالأَصَالة) وقد عُني بعضُ الباحثين بِتَتَبُّعِ أقوالِهم وحُجَجِهم ومُؤَلّفَاتِهم، كما في البحثِ الموسومِ بـ(زيادة الحروف بين التأييد والمنع)[(١)]، وقد قَسَّمَ الباحِثُ فيه العلماءَ إلى فريقينِ، والفريقينِ إلى طوائف، وذلك ما ملخصه:

أولا: الفريق الأول: (القائلون بالزيادة)، وهم ثلاثُ طوائف:

الطائفةُ الأولى: اللغويّون والنُّحاة وعلى رأسهم سيبويه. [(٢)]

الطائفة الثانية: المفسرون: وهم؛ الزمخشري، وابن عطية، وأبو حيان.

الطائفة الثالثة: علماء البلاغة والإيجاز: وهم؛ ابن قتيبة، والخطابي، وعبد القاهر.

---

(١) زيادة حروف الجرّ بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، هيفاء عثمان فدا، مكتبة القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٢) وهذا الإطلاق - من وجهة نظري - فيه نظر! فإن منهم من لايرى الزيادة وممن قال بهذا، (أبو العبّاس المبرد) حيث يقول: " وأما قولهم إنها تكون زائدة فلست أرى هذا كما قالوا، وذاك أن كلَّ كلمةٍ إذا وقعت وقعَ معها معنىً؛ فإنما حدثت لذلك المعنى، وليست بزائدة، فذلك قولهم: ما جاءني من أحد، ومارأيت من رجل، فذكروا أنها زائدة، وأن المعنى: ما رأيت رجلاً، وما جاءني أحدٌ، وليس كما قالوا وذلك؛ لأنها إذا لم تدخل؛ جاز أن يقع النفيُ بواحدٍ دونَ سائرِ جنسِه تقول: ما جاءني رجلٌ، وما جاءني عبدُ الله، إنما نفيتَ مجيءَ واحدٍ؛ وإذا قلت: ما جاءني من رجلٍ؛ فقد نفيتَ الجنسَ كلَّه، ألا ترى أنك لو قلت: ما جاءني من عبدِ الله لم يَجُزْ، لأن عبدَ الله معرفةٌ، فإنما موضعه موضع واحد" ا.ه، يُنظر: المتقضب، أبو العباس المبرِّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: ١٣٩٩م : ١ / ١٨٣ وقد نقل المحقق أن المؤلف قال بالزيادة في مواضع أخرى من كتابه.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ .   ١٤٣٥/٠٣/٠٦   Ali Fattani

ثانياً:الفريق الثاني: (القائلون بالأَصَالة) وهم طائفتان:

الطائفةُ الأولى: المفسّرون؛ وهم: ابنُ جرير الطبري، والرازي، ويلحق بهم العلائيّ المحدث.

الطائفةُ الثانية: علماءُ البلاغة والإعجاز؛ وهم: ابن الأثير، والرافعي، ومحمد درّاز[1].

والقائلون بالزيادةِ، قد اختلفوا في تحديدِ مصطلحِ الزيادةِ،: يقول الزركشيُّ: "والأكثرون ينكرونَ إطلاقَ هذه العبارةَ في كتابِ الله، ويسمونه التأكيدِ ومنهم من يسميه بالصِّلةِ، ومنهم من يسميه المُقحَم"[2]، ويقول أيضا: "واعلم أن الزيادةَ واللغوَ من عبارةِ البصريين، والصلةَ والحشوَ من عبارةِ الكوفيين، قال سيبويهِ في الكتابِ عَقِبَ قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾[3] " إن (ما) لغوٌ؛ لأنها لم تُحدث شيئاً".[4]

وقد ذكر الزركشيُّ أيضاً، أن حروفَ الزيادةِ التي ذكرَها أكثرُ علماءِ العربيةِ، وأصحابِ كتبِ حروفِ المبانِي، والمفسرون سبعة: "إنْ، أنْ، وما، مِنْ، والباء، واللام"، بمعنى أنها تأتي في بعضِ المواردِ زائدة، لا أنّها لازمةٌ للزيادة، ثم ليس المرادُ حصرَ الزوائد فيها، فقد زادوا (الكاف) وغيرَها، بل المرادُ أنَّ الأكثرَ في الزيادةِ أن تكون بها"[5]

والذي يَهُمُّنا في هذا السياقِ هو (زيادة حروف الجر) دون غيرِها، والذي يبدو لي – والعلمُ عند الله – أن القولَ بزيادتِها – إعراباً لا معنىً – قولٌ له حظٌّ من النظرِ؛

---

(١) زيادة حروف الجر: ص: ٨، فمابعدها.

(٢) البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١م ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٣ / ٧٠ –٧١.

(٣) المائدة: ١٣ .

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٧٢، وينظر كتاب سيبويه: ٤/ ٢٢١ .

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٧٥.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

لأنه لا عبثَ فيها ولا حشوَ ولا فضولَ؛ إذ زيادتُها له معنىً لا يؤديه غيرُها، وهذا ماقرَّره جلُّ علماءِ اللغةِ والبيانِ والتفسيرِ - كما تقدم - وهو مايقرِّرُه المؤلفُ إذ يقول: "تأتي حروفُ الجرِّ أحياناً زائدةً في الإعرابِ، لكنّها تفيدُ معنى التوكيدِ، ولهذا إذا اقترنَ المنفيُّ بمن الزائدةِ، أو بالباءِ الزائدةِ مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾[1] فإنه أوكدُ من النفي المجرَّدِ من حرفِ الجرِّ الزائدِ، ومثل قوله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ﴾[2] إذا جعلنا من زائدةً إعراباً، مفيدةً معنىً؛ ففائدة معناها التوكيدُ على العموم أي: أيُّ قولٍ يلفِظُه الإنسانُ لديه رقيبٌ عتيد"[3].

وعندَ قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾[4] يقول المؤلف في سياقِ حديثِه عن (ما) وأنواعِ استعمالِها في اللغة: "و (ما) تأتي زائدةٌ وتأتي مصدريَّةٌ وتأتي موصولةٌ وتأتي شرطيَّةٌ وقد جمع بعضُهم معانيها في بيتٍ واحدٍ فقال:

مَحامِلُ (ما) عَشْرٌ إذا رُمْتَ عَدَّها	فحافِظ على بيتٍ سليمٍ من الشِّعْرِ
ستَفْهَمُ شرْطَ الوصْلِ فاعجَب لنُكْرِها	بِكَفٍّ ونَفْيٍ زِيْدَ تعظيمُ مَصْدَرِ[5]

فمِن جُملةِ ما ذُكرَ من المعاني أنها زائِدةٌ كما في الآيةِ، (بِكَفٍّ ونَفْيٍ زِيْدَ) هذه الزَّائِدة، فإذا قالَ قائِلٌ: ما الفائِدةُ من الزائِدة؟ قلنا: الفائِدةُ التوكيدُ، وهكذا جميعُ حروفِ الزِّيادةِ العاملةِ وغيرِ العاملةِ[6] فائِدتُها: التوكيد"[1].

----

(١) ق: ٢٩.

(٢) ق: ١٨.

(٣) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد: ص: ٩٢.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) لم أجد لهذا البيت نسبةً في حواشي كتب اللغة، كما أنّ في عجز البيت الأول (فحافظ على بيت سليم من الشعر)؛ قلقاً موسيقيّاً؛ حيثُ لا يتّفق (الشعر) مع كلمة (مصدر) من حيث النّغَم الموسيقي.

(٦) وقد ذكر ابنُ جِنّي: " أنَّ الحرفَ العاملَ وإن كان زائداً فإنه لابُدّ عاملٌ" وذكر أمثلةً على ذلك، يُنظر: كتابُه الخصائص: ٣/ ١٠٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

هذا وربما عدلَ المؤلفُ عن إطلاقِ لفظِ (زائد)؛ مراعاةً لأحوالِ السامعينَ والمتلقينَ، وذلك ما قرَّره عندَ قولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[2] حيثُ يقول: "(الباء) حرفٌ زائدٌ للتوكيدِ؛ والأَوْلى أن نقولَ:(الباءُ) للتوكيدِ فقط، ولا نقول (زائدٌ)؛ لئلا يفهمَ السامعُ أنَّ في القرآنِ ماليسَ له معنىً"[3].

وربما ردَّ على من يقولُ بزيادتِها في بعضِ المواضعِ، ومِن ثَمَّ يتلمَّسُ لها السرَّ المناسبَ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[4] حيثُ يقول: "بعضُهم يقولُ إنَّ الباءَ هنا زائدةٌ[5]؛ أي: "لا تلقوا أيديَكم إلى التهلكةِ"؛ والصوابُ أنها أصليةٌ، وليست بزائدةٍ؛ ولكنْ ضُمِّنَتْ معنى (الإفضاء)؛ أي: "لا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة" "[6]؛ فتبينَ من ذلكَ مخالفةُ المؤلفِ للقائلينَ بزيادتِها في هذا الموضعِ، ومنهم على سبيلِ المثالِ؛ ابنُ عاشور حيثُ يقولُ "والظاهرُ أن الأيديَ هي المفعولُ؛ إذْ لمْ يُذكرْ غيرُه، وأن (الباءَ) زائدةٌ؛ لتوكيدِ اتصالِ الفِعلِ بالمفعول ،كما قالوا للمُنقادِ (أَعطى بيدِه) أي: أعطى يدَه؛ لأن المستسلمَ في الحربِ ونحوِه يُشَدُّ بيدِه؛ فزيادةُ (الباء) كزيادتِها في ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾[7] ...والمعنى: ولا تعطوا الهلاكَ أيديَكم فيأخذَكم أخذَ المُوثَقِ.."[8].

والذي يبدو لي: أن (الباء) – هنا – (زائدة) ومِن أحسنِ ماقيلَ فيها – من وجهةِ نظري – ما ذكره الدكتورُ: فضل حسن عباس، حيثُ قال:"فالآيةُ الكريمةُ إذَنْ تريدُ

---

(1) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة، ١/ ١٨٨.

(٢) البقرة: ٧٤

(٣) تفسير ابن عثيمين،سورة البقرة:٢/ ١٥٠.

(٤) البقرة: ١٩٥

(٥) ومنهم: ابن عاشور – كما سيأتي قريبا – والزمخشريُّ في تفسيره: ١/ ٢٦٤.

(٦) تفسير ابن عثيمين،سورة البقرة:٢ / ١٩٥.

(٧) مريم: ٢٥.

(٨) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٢٠٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

أن تُبيِنَ أنَّ (اليدَ) هي سببُ التهلكةِ، والمعنى إذَنْ: أنفِقُوا وجاهِدوا، ولا تُلقُوا أنفسَكم بأيدِيْكم إلى التهلكةِ؛ فتكونُ اليدُ سبباً في الهلاكِ، شتانَ بينَ هذا وبينَ أن يُقال: ولا تلقوا أيديَكم إلى التهلكةِ؛ فالباءُ هنا للتعديةِ، وقد تفيدُ السببية"[1]، وقد يقول قائل: أنتَ هنا قدّرتَ محذوفاً هو (أنفسكم) والأصلُ عدمُ الحذف؟!؛ والجوابُ: أنَّ القاعدةَ تقول: "إذا دارَ الكلامُ بينَ الإضْمارِ والزيادةِ فالإضمارُ أَوْلى"[2].

وقد حُذفَ المفعولُ (أنْفُسَكم) استغناءً عنه وقصداً إلى العمومِ؛ فإنَّه لا يجوزُ إلقاءُ أنفسِهم ولا إلقاءِ غيرِهم بأيديْهم إلى التَّهلُكةِ[3]، وقد ذكر بعضُ الباحثين: أنّ لِلَفْظَةِ (**أيْدِيْكُم**) هنا دلَالتُها من وجوه[4]:

الأول: أنّ سببَ نزولِ الآيةِ كان في قومٍ أرادوا – بعدَ أن تمّتَ الفتوحُ – التوقُّفَ عن الجهادِ، والاهتمامَ بالأموالِ والأولادِ[5] وهذا مناسبٌ للفظةِ الأيدي التي كثيراً ما يُعبَّرُ عنها بأنّها المعطيةُ أو المانعةُ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[6] – [7]، فكأنّ اللَّفظةَ تُشيرُ إشارةً خفيَّةً إلى سببِ النزولِ، وإلى أنَّ الوصولَ إلى التَّهلُكةِ أمرٌ سيحصلُ بفعلٍ له علاقةٌ باليد.

---

(١) لطائف المنّان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، د. فضل حسن عباس، دار النور للطباعة والنشر: بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ص ١٠٣-١٠٤،، وقد قال باحتمال كون "الباء" للسببية بعضُ المفسرين، يُنظر على سبيل المثال: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، تحقيق وتعليق د. حمزة النشَرْتي والشيخ عبد الحفيظ فرغلي و: د. عبد الحميد مصطفى، المكتبة القيمة: القاهرة، ٢/ ٣٠٩.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسن الحربي، دار القاسم: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. ج١ ص٣٨٥.

(٣) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١/ ١٣٩

(٤) يُنظرفي ذلك: مباحث المعاني في تفسير روح البيان ، ص: ٧٧ .

(٥) يُنظر: لطائف المنَّان، ص١٠٤، والصحيح من أسباب النزول، ٤٩ فما بعدها.

(٦) الإسراء: ٢٩

(٧) لطائف المنّان: ص١٠٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الثاني: جمعُ (الأيدي) حيثُ يقول فيه د. ناصر الخنين: "ويبدو ملمَحٌ في مدلول الجمع – وهو الأيدي المضافةُ إلى ضميرِ المخاطبين –، وهو النهيُ عن أن يكونوا جميعاً على هذه الصفةِ؛ بمعنى: لاتكونُ أيديْكُم مجتمعةً على ترك النفقةِ والجهادِ في سبيلِ الله؛ فيكون مصيركم إلى التهلكة؛ بخلاف ما إذا أنفقَ قومٌ وجاهدَ آخرونَ، وثمَّر الأموالَ طائفةٌ أخرى، والمحذورُ هو إجماعُهم على ترك أسبابِ الجهادِ ومباشرتِه".(١)

الثالث: إضافةُ الضمير إلى الأيدي، وفيه من التقريع والتنبيهِ؛ إذ كيف يمكنُ لعاقلٍ أنْ يُلقي نفسَهُ بيدِهِ إلى التَّهلُكةِ، والتعريف في التهلُكةِ يزيدُ تهويلَها؛ إذ هي التَّهلُكَةُ التي تستحقُّ أن تُسمَّى تهلُكةً.

الرابع: كأنَّ في اللَّفظةِ تذكيراً لنا بأنَّنا نملكُ قدرةً يُمكن أن ننتفع بها بدلاً من أن نسخِّرَها لإلقائنا إلى التَّهلُكةِ.

وفي موقعِ (إلى) هنا يقول الخُضريُّ: "الغرضُ في آيةِ البقرةِ هُوَ.... (٢) منْ أنَّهم صائرونَ إلى الهلكةِ، وسائرونَ في طريقٍ ينتهي بهم نهايةً مُؤلمةً تكون أموالُهم سبيلاً إلى شقائِهم، و(إلى) هي التي دلّت على اتِّجاههم إلى هذا الطريقِ، وقُربِ وصولِهم إلى نهايتِهم، وليس لحرفِ الظَّرفيَّةِ هنا مكانٌ، لأنه لَوْ جاءَ لدلَّ على أنَّهم تمكَّنوا فيها وأحاطَهم الهلاكُ واشتَمَلَهم، وهُوَ ما يتلاءَمُ مع التَّحذيرِ المبكِّرِ قبل الوقوعِ في المحذُورِ"(٣).

ولعلَّ مادّةَ الإلقاءِ تزيدُ الأمرَ شِدَّةً، ولَوْ قال (لاتضعوا) أو (لاتُوصِلوا) – مثلاً – لم يُفِد ذلك(٤)، والله أعلم.

---

(١) النَّظم القرآني في آياتِ الجهاد / د. ناصر الخنين / مكتبة التوبة: الرياض / الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م / ص٤٦، ويُشكلُ عليه ما في لسان العرب: ١٥/ ٤١٩، مما يوحي بأن "أيدي" جمعُ قلة.

(٢) حُذِفَ ماهنا؛لأن فيه نظراً جلياً، وقدحاً غيرَ مناسبٍ؛ فالآيةُ لم تنزلْ في الذينَ يكنِزُونَ الذّهبَ والفضّةَ!.

(٣) من أسرار حروفِ الجرِّ، ص: ٢٩١ – ٢٩٢.

(٤) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٧٧ ، ويُنظر: مفردات ألفاظ القرآن (ل ق ى)، والتحرير والتنوير ٢/ ٢٠٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ومـن الأمثلـةِ التـي توقّـفَ عنـدَها المؤلـفُ، قولُـه تعـالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[1] حيثُ يقولُ: " (الباءُ) حـرفُ جـرٍّ زائـدٍ للتوكيـدِ؛ أي: ولـيسَ البرُّ بإتيانِكم البيوتَ مـن ظُهُورِهـا.. " [2]، وهـذا هُـو مـا عليـه المفسـرونَ[3]، وإذا كـان المؤلفُ لم يذكرِ الغرضَ من التوكيدِ، فإن ابنَ عاشـورَ يقـولُ: "ومُقتـضَى تأكيـدِ النفـي؛ أنَّهم كانوا يَظُنُّونَ أنَّ هذا المنفيَّ من البرِّ ظناً قوياً؛ فلذلك كانَ مُقتـضَى حـالِهم أن يُؤكَّـدَ نفيُ هذا الظنِّ "[4].

وحولَ سرِّ التأكيدِ في هذه الآيةِ، دونَ التأكيدِ في نظيرتِها وسابِقتِها؛ وهي قولُ الله تعـالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[5]، فـربما يَرجِـعُ ذلـك - مـن وجهةِ نظري - إلى حالِ المخاطَبِ في كلٍّ من الآيتينِ، فمـن المتقـرِّرِ- عنـدَ البلاغيـينَ- أن إلقاءَ الخبرِ يختلـفُ بـاختلافِ حـالِ المخاطَـبِ[6]، فحـالُ المخاطَـبِ في قولِـه تعـالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ مختلـفٌ عـن حـالِ المخاطَـبِ في الآيـةِ الأخرى، فقد روى ابنُ جريرٍ بسندِه، عن ابنِ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قوله تعـالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ **قال**: يعني: الصلاةَ، يقول: ليسَ البرُّ أن تُصَلُّوا ولا تَعملوا، فهذا منذُ تحوَّلَ من مكةَ إلى المدينةِ، ونزلت الفرائضَ، وحدَّ الحـدودَ، فـأمرَ

---

(١) البقرة: ١٨٩

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة، ٢ / ٣٦٩.

(٣) يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٢/ ٧٢، وتفسير نظم الدرر: ١/ ٣٦٠، وتفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عـادل الدمـشقي، دار الكتـب العلميـة - بـيروت - لبنـان - الطبعـة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م، تحقيـق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود: ١/ ٥٨٠، وتفسير ابن عاشور: ٢/ ١٩٥.

(٤) تفسير ابن عاشور: ٢/ ١٩٥

(٥) البقرة: ١٧٧ .

(٦) يُنظـر: بغيـة الإيـضاح لتلخـيص المفتـاح في علـوم البلاغـة، لعبـد المتعـال الـصعيدي، مكتبـة المعـارف - الرياض،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج١ ص٣٤ - ٣٥.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

اللهُ بالفرائضِ والعملِ بها "[1]، ومن المعلومِ أنّه لم يتقرَّرْ عندَهم أنَّ مِنَ البرِّ تركَ العملِ، وأنَّهم لم يترددوا، ولم ينكروا ذلكَ أبداً -لاسيَّما وهم أهلُ الإيمانِ والتسليمِ - فأُلقيَ الكلامُ إليهم خالياً مِنَ المُؤكِّدات .

بينما المخاطَبُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾؛ انقدَحَ في ذِهنِه أنَّ ذلك مِنَ البرِّ، وهو ظانٌّ أو مُتردِّدٌ؛ فجاءت الآيةُ مُؤكَدةً بما يَقْتَضِي حالَ المخاطَب، ويتّضحُ ذلكَ من خلالِ سببِ نزولِ الآيةِ الكريمةِ؛ فقد روى ابنُ جريرٍ بسندِه "عن الربيعِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كانَ أهلُ المدينةِ وغيرُهم إذا أحرمُوا لم يدخلوا البيوتَ إلا مِنْ ظُهورِها، وذلك أن يَتسوَّرُوها، فكانَ إذا أحرمَ أحدُهم لايدخلُ البيتَ إلا أن يتسوّرَه مِنْ قِبَل ظَهرِه، وأنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخلَ ذاتَ يومٍ بيتاً لبعضِ الأنصارِ، فدخلَ رجلٌ على أَثَرِه ممَّن قد أحرمَ، فأنكَروا ذلكَ عليه، وقالوا: هذا رجلٌ فاجرٌ! فقالَ له النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِمَ دخلتَ من البابِ وقد أحرمتَ؟ فقال: رأيتُكَ يا رسولَ الله دخلتَ فدخلتُ على أَثَرِك! فقالَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّي أَحْمُسٌ! - وقريشٌ يومئذٍ تُدعى الحُمس - فلمّا أنْ قالَ ذلك النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الأنصاريُّ: إنَّ دينيَ دينُك! فأنزلَ اللهُ تعالى ذكرُه: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾..الآية"[2]؛ فتبينَ بذلكَ اختلافُ حالِ المخاطَبين في الآيتين، وألقي الخبرُ مراعاةً لأحوالِهم؛ فاستُحسِن التوكيدُ في الآية الثانية، كما أنَّ التوكيدَ جاء بحرفِ الجرِّ الزائدِ (الباء)، الذي يُشعرُ بتكْرارِ الجملةِ؛ وذلك لأنَّ زيادتَه بمثابةِ إعادةِ الجملةِ كلِّها، وتفيد - الجملةُ - ما يفيدُه

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٣٣٧ .

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٥٦٠ .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

تَكْرارُها بدونه[1] ، والله أعلم.

وقد ذكرَ بعضُ المفسِّرينَ أنَّ المقصودَ بالآيةِ ربَّما يكونُ حقِيْقِياً - كما تقدَّم - وربَّما يكونُ مجازياً المقصودُ به إتيانُ سائرِ الأمورِ، وقد أوْرَدَ ذلكَ الماوَرْدِيُّ في سياقِ الأقوالِ التي ساقَها حولَ المقصودِ بالآيةِ؛ حيثُ قال:

"القولُ الخامسُ: معناهُ: ليسَ البرُّ أنْ تَطلبوا الخيرَ مِنْ غيرِ أهلِه، وتأتوه من غيرِ بابِه، وهذا قولُ أبي عبيدة.

القولُ السادسُ: أنّه مثلٌ ضَربه اللهُ عَزَّوَجَلَّ لهم، بأنْ يأتوا البرَّ مِنْ وَجْهِه، ولا يأتوه من غيرِ وجهِه "[2].

ولذلكَ يقولُ البِقاعيُّ: "وأكَّدَ النفيَ بزيادةِ (الباءِ) في قولِه: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ أي: لا الحسيةُ ولا المعنويةُ"[3]؛ فيكونُ في الآيةِ عمومٌ. والله أعلم.

---

(١) النحو الوافي، عباس حسن ، دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة، ١٤١٤هـ: ١/ ٧٠.

(٢) تفسير النكت والعيون: ١/ ٢٥٠ .

(٣) نظم الدرر: ١/ ٣٦٠

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

٤- النظر إلى بعضِ مواضع المتشابه اللفظي:

ومن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾[1]، ويقول بعدها بقليل ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾[2]، وقد توقَّفَ المؤلفُ عندَ الآيتينِ، فقالَ عند الآيةِ الأولى:"وقوله: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أعطوهم رزقاً، والرِّزقُ هو العطاءُ، وقولُه: ﴿فِيهَا﴾ أي: في الأموالِ، ولم يقُلْ (**منها**)، إشارةً إلى أنَّه لا بدَّ أن يكتسبَ الوليُّ بمالِ هؤلاءِ السفهاءِ، حتى يكونَ الرزقُ فيها لا منها، وفرقٌ بين الرِّزقِ فيها والرِّزقِ منها؛ لأنَّه لو لم يتَّجِرْ فيها ويكتسبْ صارَ العطاءُ منها، فإذا قدَّرْنا أنَّها مائةُ ريالٍ فأعطاهم نفقةً عشرةَ ريالات، فإنّها تنقصُ كُلَّما أعطاهم، لكنْ حينما قال: ﴿فِيهَا﴾؛ فإنَّ المعنى: أنَّ الرِّزقَ يكونُ فيها، فيكون المالُ أوسعَ من الرِّزقِ المعطى، وهذا يتضمنُ أن يَتَّجِرَ فيها ثم يعطيَهم من الربح"[3].

وقال عند الآية الأخرى: "وقوله: ﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾ أي: أعطوهم؛ لأنّ الرِّزقَ بمعنى العطاء، وقوله: ﴿مِّنْهُ﴾ ولَمْ يَقُلْ: فيه؛ لأنَّ هؤلاءِ يُعْطَونَ مِنْ رأسِ المالِ، ومِنْ أصلِه، وأمَّا أموالُ اليتامى فقال الله تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾، وقد سبقَ أن ذَكَرْنا أنَّه قال:"**فيها**" ولَمْ يَقُلْ: (**منها**)؛ لأنَّهم يُرْزَقُونَ بعدَ الاتِّجارِ بها، فيُعطَونَ من الربحِ، وهو - أي: ما سبق - إشارةٌ إلى أنَّه ينبغي لوليِّ اليتيمِ أن يتَّجرَ في مالِه حتى يَحْصُلَ على ما يرزقُه فيه، أمَّا هنا فقال: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: من هذا المالِ الذي يُقسَمُ أمامَهم، وهذا إحسانٌ إليهم بالفعلِ"[4].

----

(١) النساء: ٥.

(٢) النساء: ٨.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء، ١/ ٣٩.

(٤) السابق، سورة النساء: ١/ ٣٩ و٥٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٢/٠٦
Ali Fattani

وما ذكره المؤلِّفُ في الآيةِ الأولى هو الذي ذهبَ إليه جمعٌ من المفسرينَ[1]، لكنَّ الطاهرَ ابنَ عاشورٍ له رأيٌ آخرُ مقاربٌ لما ذكروه حيثُ يقول: "وعدلَ عن تعديةِ **(ارْزُقُوهُمْ)** و **(اكْسُوهُمْ)** بـ(من) إلى تعديتِها بـ(في) الدالّةِ على الظرفيّةِ المجازيةِ، على طريقةِ الاستعمالِ في أمثالِه، حينَ لا يَقْصِدُ التبعيضَ الموهمَ للإنقاصِ من ذاتِ الشيءِ، مايحصلُ به الفعلُ: تارةً من عينِه، وتارةً من ثمنِه، وتارةً من نتاجِه، وأنَّ ذلكَ يحصلُ مكرَّراً مستمراً، وانظُرْ ذلكَ في قولِ سبْرةَ بنِ عمرو الفقعي:

نُحابي بِهَا أكفاءَنا ونُهينُها ونَشْرَبُ في أثمانِها ونُقامِرُ

يريدُ الإبِلَ التي سِيقَتْ إليهم في ديةِ قتيلٍ منهم، أي: نشربُ بأثمانِها أونقامرُ، فإمَّا شربْنا بجميعِها، أو ببعضِها، أو نسترجع منها القمار، وهذا معنىً بديعٌ في الاستعمالِ، لَمْ يَسبِقْ إليه المفسرون هنا، فأَهْمَلَ معظمُهم التنبيهَ على وجهِ العدولِ إلى (في)، واهتدى إليه صاحبُ الكشافِ بعضَ الاهتداءِ فقال: "أي اجعلوها مكاناً لرزقِهم بأن تَتَّجِروا فيها وتتربَّحوا؛ حتى تكونَ نفقتُهم من الربحِ لا من صُلبِ المالِ"، فقوله: "لا من صُلب المال"[2] مستدرَكٌ، ولو كان كما قالَ لاقتَضى نهياً عن الإنفاقِ من صلبِ المالِ[3].

وكأنَّ حرفَ الجرِّ هنا يحثُّ المخاطبينَ على تثميرِ الأموالِ، وتنبيهٌ أنَّهم وإن لم يُؤتوا السفهاءَ أموالَهم حتى لا تضيعَ سدىً، لكنَّها بدونِ تكثيرٍ وتثميرٍ يوشك أن تنفدَ في أيديهم[4].

---

(١) يُنظر – على سبيل المثال –: تفسير الكشاف: ١/ ٥٠٣، وتفسير نظم الدرر: ٢/ ٢١٦، وتفسير روح المعاني: ٤/ ٢٠٣.

(٢) العبارة فيها تصرُّف يسير، يُنظر: الكشاف: ١/ ٥٠٣ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٤/ ٢٧ .

(٤) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٨٠ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وأما الآيةُ الأخرى؛ فقد جاءَت على أصلِ التعديةِ؛ لأنَّها تطلب إعطاءَ الحاضرينَ للقسمةِ من نفسِ المال ، يقول الخضريُّ: "فلمّا كانت الآيةُ الأخيرةُ تدعو إلى سدِّ حاجاتِ ذوي القربى، واليتامَى، والمساكينِ، ببعضِ الأموالِ من الميراثِ، جاءت (مِن) دالةً على إعطائِهم منها مايستوجبُه البرُّ بالأرحامِ"[1] ، والله تعالى أعلم.

(١) من أسرار حروف الجر: ١٤٩.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المبحثُ الرّابع
التنكيـــــر

تظهر أهَمِّيَّةُ التنكيرِ، وكثرةِ معانيهِ، من خلالِ ماذكره الدكتورُ أبو موسى حيثُ قال: "ثُمَّ إنَّ التنكيرَ - أعني كونَ الشيءِ مَجهولاً ومنكوراً - ، معنىً شاملٌ وعميقٌ صالحٌ لأن يَتوَّلدُ منه معاني كثيرةٌ ، وذلكَ إذا أجْراهُ في التعبيرِ بصيرٌ بأحوالِ الكلماتِ خبيرٌ بسياسةِ التراكيبِ"[1] ، ويقول أحد الباحثين:"دلالةُ التنكيرِ تعني الإبْهام ، وللإبهامِ - في حدِّ ذاتِه - مذاقٌ بيانيٌّ تلوحُ منه في سِياقِه أسرارٌ جَمَّةٌ...، وسيأتي التنكيرُ لإفادةِ الجنسيةِ والوحدةِ ، وتتفرعُ منه إيحاءاتٌ عديدةٌ ، كالتعظيمِ والتكثيرِ والتحقيرِ والتقليلِ مما يوحي به السياقُ"[2]؛ إذن فالتنكيرُ - وإنْ كانَ مُحَدَّدَ الدلالةِ - إلا أنَّ لكلِّ نَكِرَةٍ دلالتَها الخاصّةَ في سياقِها[3]، ويمكن أن أتحدّثَ عن الأغراضِ الرئيسةِ، التي نَظَرَ مِنْ خلالِها المؤلفُ إلى النَّكِرَةِ، وذلك مِنْ خِلالِ النّقاطِ التالية:

١-التنكيرُ للتعميم:

وهو أكثرُ الأغراضِ التي عزى إليها المؤلف، والنماذجُ فيه كثيرةٌ ولكنْ سأكتفي بذكرِ أهمِّها: فعند قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[4] يقول المؤلف:"ونكَّرَ ﴿حَيَوٰةٍ﴾ ليُفِيدَ أنَّهم حريصونَ على أيّ حياةٍ كانت، وإنْ

---

(١) خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم العاني)، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثامنة: ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م،ص ٢١٤.

(٢) الخصائص البلاغية في سورة يوسف، محمود حسن مخلوف، رسالة ماجستير مُقدَّمةٌ لجامعةِ الأزهر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بإشراف الدكتور: محمد محمد أبو موسى.

(٣) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٨٣ .

(٤) البقرة: ٩٦ .

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

قَلَّتْ؛ حتى لو لَمْ يأتِهم إلا لحظة؛ فَهُم أحرصُ الناسِ عليها"(١).

والذي يُفهَمُ من كلامِه أنَّه أرادَ التعميمَ وهذا واضحٌ من قولِه (أي حياة)، ولعلَّ البقاعيَّ – كذلكَ – كانَ يرتكزُ على دلالةِ الإبهامِ والتعميمِ، عندما قال: "على أيِّ حالةٍ كانت، وهم قاطعونَ بأنه لا يخلو يومٌ منها عن كدر"(٢).

ويرى بعضُ العلماءِ أنَّ التنكيرَ هنا للنوعِيَّةِ، أي: نوع مِنَ الحياةِ مخصوصٌ(٣)، وهي حياتُهم التي هم فيها؛ لأنها نوعٌ من مُطلقِ الحياةِ(٤) قال ابنُ عاشور: "ونكَّرَ (الحياة) قصداً للتنويعِ أي: كيفما كانت تلكَ الحياة، وتقولُ يهودُ تونُس ما معناه: الحياةُ وكفى"(٥).

وقد لخَّصَ الألوسيُّ الأقوالَ في سرِّ تنكيرِ **(حياة)** بقولِه: "وتنكيرُ **(حياة)** لأنَّه أُريدَ بها فردٌ نوعيٌّ، وهي الحياةُ المتطاولةُ، فالتنوينُ للتعظيمِ، ويجوزُ أن يكونَ للتحقيرِ؛ فإنَّ الحياةَ الحقيقيةَ هي الأُخْرَويَّةُ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾(٦)، ويجوزُ أنْ يكونَ التنكيرُ للإبهامِ – بَلْ قِيلَ: إنَّه الأوجَه – أي: على حياةٍ مُبْهَمَةٍ غيرِ معلومةِ المقدارِ، ومنه يُعلمُ حرصُهم على الحياةِ المتطاولةِ من بابِ الأولى، وجوّزَ أبوحيَّانَ أنْ يكونَ الكلامُ على حذفِ مضافٍ أو صفةٍ، أي: طول حياةٍ أو حياة طويلة، وأنت تعلمُ أنه لا يحتاجُ إلى ذلك"(٧).

ويَستَمِدُّ بعضُ المتأخِّرينَ مِنْ دلالةِ التحقيرِ معنىً آخرَ فيقولُ: ".... أنت تَشعرُ

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣٠٩.

(٢) نظم الدرر: ١/ ٢٠١.

(٣) الإيضاح مع البغية، ١/ ٧٦.

(٤) تفسير روح البيان: ١/ ١٨٥.

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٥٩٩.

(٦) العنكبوت: ٦٤.

(٧) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٢٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

بأنَّ كلمة (**حياة**) قد عبَّرَت بِدِقَّةٍ مُرهفَةٍ عن حرصِ أولئكَ اليهودِ على أدنى قدرٍ مُمْكنٍ من الحياةِ، ومهما كانَ يسيراً خاوياً مِنْ أَيَّةِ قِيمةٍ كبيرةٍ ، فأثارَ ورودُها بالتنكيرِ معنى التحقيرِ، وأفادت بالتالي أنَّ اليهودَ أشدُّ حرصاً على الحياةِ المتطاولةِ من بابِ أولى؛ فعبَّرت كلمةُ: (**حياة**) في هذا المَورِدِ بآنٍ واحدٍ ضآلَةَ قيمةِ الحياةِ الدنيا، وشِدَّةَ تكالُبِ اليهودِ عليها"[1]، ولعلَّ التنكيرَ بما فيه من إبهامٍ يجعلُ الآيةَ تشملُ اليهودَ باختلافِ شكلِ الحياةِ التي يحرصونَ عليها[2].

وأختِمُ بما ذكرَه سيدُ قطب حيثُ قال: "﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾... أَيَّةُ حياةٍ، لا يهم أنْ تكونَ حياةً كريمةً ولا حياةً مميَّزةً على الإطلاقِ! حياةٌ فقط! حياةٌ بهذا التنكيرِ والتحقيرِ! حياةُ ديدانٍ أو حشراتٍ! حياةٌ والسلام!... "[3].

وعندَ قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يقولُ المؤلفُ:"و ﴿نَفْسٌ﴾ نكرةٌ في سياقِ النَّفْي، فيكونُ عامًّا؛ فلا تَجْزِي ولا تُغْنِي نفسٌ عن نفسٍ أبداً، حتى الرسولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُغْنِي شيئاً عن أبيه ولا أمِّه..." [4].

ويوضِّحُ الألوسيُّ دلالةَ التنكيرِ بعبارةٍ أكثرِ شُمولاً؛ فيقولُ: "وتنكيرُ الأسماءِ للتعميمِ في الشفيعِ والمشفوعِ وما فيه من الشفاعةِ"[5]، فهو يومٌ لا تُقضي فيه نفسٌ مهما كانَ قدرُها عظيماً عن نفسٍ مهما يَكُنْ ذنْبُها صغيراً شيئاً مَّا[6].

---

(١) جماليَّات المفردة القرآنيَّة في كتب الإعجازِ والتفسيرِ، أحمد ياسوف، دار المكتبي: دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص٢٤٦، نقلاً عن كتاب: بيِّنات المعجزة الخالدة، د.حسن ضياء الدين عتر، دار النصر حلب، الطبعة الأولى ١٩٧٥، ص٢٥٣.

(٢) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٨٨ .

(٣) في ظلال القرآن: ١ / ١٢٢.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة:١ / ١٧٢ .

(٥) روح المعاني: ١/ ٢٥١.

(٦) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: =

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ونلحظُ - أيضاً - أنَّ الفعلَ (تجزي) قد جاءَ مضارعاً، وهو بهذا يستغرقُ الأزمانَ كلَّها في ذلك اليوم، ولا يَخْفَى أنَّ وصفَ ذلكَ اليومَ بهذه الصفةِ بدلاً من ذكرِه باسمِه المعروفِ مما يزيدُ الأمرُ رهبةً[1]، وإذا كانَ (جزى) بمعنى: قَضَى حقًّا عن غيرِه[2]؛ فلعلَّ اللفظةَ هنا تذكِّرُ أنَّ الإنسانَ سيؤخَذُ بتَبِعَةِ حقوقٍ ضَيَّعَها في الدُّنيا، ولكنْ لن تجزيَ نفسٌ مهما كانت عنه في ذلكَ اليومِ شيئاً، ولعلَّ في إفرادِ ﴿نَفْسٌ﴾ تذكيراً أنَّ كلَّ نفسٍ ستكونُ وحدَها منفردةً عن غيرِها، وللتنبيهِ على حقارةِ المرءِ الواحدِ وقِلَّةِ دفاعِه عن نفسِه [3].

ومن الملاحظِ - أيضا - أنَّ الأمرَ جاءَ باتِّقَاءِ اليومِ مع أنَّ المقصودَ اتِّقَاءَ مافيه من هَولٍ، وذلكَ - والعلمُ عندَ الله - للتهويلِ، فكأنَّ اليومَ كلَّه تَجَسَّدَ هَولاً ورُعْبَاً؛ فأُمِرَ باتِّقَائِه كُلِّه[4]، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[5] يقول المؤلف: "وقوله ﴿لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾، أي: لومةً من أيِّ لائمٍ، أَخَذْنا العمومَ من كلمةِ (لومة) وهي واحدة، و(لائم): نكرةٌ؛ فيشملُ كلَّ مَنْ يلومُ؛ سواءً كانَ مِنَ الأقاربِ أو الأباعدِ، أو الأصحابِ، أو غيرِهم"[6].

= بيروت، الطبعة الثانية: أعيد طبعه بـ"الأوفست": ١/ ٣٠٥.

(١) يُنظر: تفسير المنار ١/ ٣٠٥.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٤٦٨.

(٣) يُنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: ٥/ ٤١٦.

(٤) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ٩٢ فما بعدها .

(٥) المائدة: ٥٤ .

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة:٢ / ٣٢.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ويقـول صـاحبُ روحِ البيـان بعبـارة أكثـر دقـة وتفـصيلا:"وفي تنكـيرِ (لائـم) مبالغتان، كأَنَّه قِيلَ لا يخافُون مِنْ شَيءٍ مِنَ اللَّوْمَاتِ الواقعةِ مِنْ أيِّ لائمٍ كان؛ فالمبالغـةُ الأولى: انتفاءُ الخوفِ مِنْ جميعِ اللَّوْمَاتِ، والثانية: انتفاءُ الخوفِ مـن جميـعِ اللُّـوَّام، كـلُّ ذلكَ لأنَّ النكرةَ في سياقِ النَّفْيِ تَعُمْ"[1].

ومن سَعَةِ النَّصِّ القرآنيِّ وثَرائِه فقد لَمَحَ بعـضُ المُفَسِّرينَ دلالاتٍ أُخـرى لـنفسِ الجملةِ؛ فذكرَ بعضُهم أنَّ فيها تعريضاً بالمنافقين[2]، ولعلِّي أضيفُ أن بدايةَ الآيةِ تـتكلمُ عن المرتدِّينَ عن دينِهم[3]، ومعلومٌ أنَّ من أسبابِ الارتِدادِ عن الحقِّ - بـشكلٍ عـام - لومَ اللائِمِين؛ ففيه تنبيهٌ للمحذَّرِينَ من الارتِدادِ إلى عدمِ الالتفاتِ إلى لَوْمِ اللاَّئِمين.

ويُلمِحُ الشيخُ الشعراوي أمراً آخرَ فيقولُ:" وكأنَّه سبحانَه يوضِّـح: تَنبَّهوا جيِّـداً عـلى أنَّ القـومَ الـذين يحبُّهم اللهُ، ويُحِبُّونَ اللهَ.... فـلا تَظُـنُّ أنَّهـم بِمَنْـأًى عـن سِـخْرِية الساخِرين وهُزْءِ المستهزئين ولَومِ اللاَّئِمِينَ ليردُّوهُم عن هذه العمليَّةِ"[4].

وقد جاء التعبيرُ بـ(اللَّـومِ) دونَ (الـذَّمِّ) أو (العِتـابِ)؛ لأنَّ (الـذَّمَّ) لا يكـونُ إلاَّ على القبيحِ، أما (اللَّومُ) فقد يكونُ عـلى الفعـلِ الحسنِ؛ فلـو قـال: (لا يخـافون ذمَّ ذامٍّ) لأَوْهَمَ أنَّهم يفعلون فِعْلاً قَبِيْحَاً، وأما (العِتابُ) فهو الخِطَاُب على تضييع حقوقِ المَودَّةِ والصَّدَاقَةِ في الإخْلالِ بالزِّيَادَةِ، وتَرْكِ المَعُونَةِ، وما يُشَاكِلُ ذلـك؛ فَهُـمْ أيـضاً لم يَفعلـوا شَيْئَاً يَستَحِقُّونَ عَلَيْه العتاب، وإنَّمَا كانَ لومُ اللاَّئِمِينَ لما يَفْعَلُونَ مِـنْ أُمُـورٍ تُقَـرِّبُهُم ممّـن يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه[5]، والله أعلم.

---

(١) تفسير روح البيان: ٢/ ٤٠٦، ويُنظر: التحرير والتنوير: ٥/ ١٣٧.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٥ / ١٣٤.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٥/ ١٣٥.

(٤) تفسير الشعراوي: ٥/ ٣٢١٦. والنِّقاط دلالة على كلامٍ حذفته اختصاراً.

(٥) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص:٩٣ فما بعدها ، ويُنظر الفروق اللغوية: ص ٣٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١.
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

٢- التنكير للتعظيم:

فعند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾(١) يقول المؤلف: " ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾: هو القرآنُ؛ ونكَّره هنا للتعظيم؛ وأكَّد تعظيمَه بقولِه تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وأضافَه اللهُ تعالى إليه؛ لأنَّه كلامُه"(٢).

وهذا ما عليه المفسرون الذي عُنُوا بتلمُّسِ سِرَّ التنكيرِ في هذه الآيةِ الكريمةِ(٣)، وأمَّا قولُه "وأكَّدَ تعظيمَه بقولِه تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ " فهو - من وجهةِ نظري - ملحظٌ دقيقٌ لطيفٌ، لحَظَه المؤلفُ ليزيدَ المعنى جمالاً وإجلالا.

كما أنَّ في مَجِيءِ قولِه تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وصفاً لقولِه تعالى ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ سِرَّاً آخرَ غيرَ ما ذكره المؤلفُ، وقد بيّنه الآلوسي بقوله: "ووصْفُه للتشريفِ، والإيذانِ بأنَّه جديرٌ بأن يُقْبَلَ ما فيه ويُتَّبَع؛ لأنَّه من خالِقِهم وإلاهِهم الناظرِ في مصالِحِهم"(٤)، وربَّما يكونُ ذلك - أيضاً - لإقامةِ الحُجَّةِ عليهم بأنَّه مِنْ عندِ الله الذي يجبُ الإذعانُ

---

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٢٨٩.

* وفي قول المؤلف: "وأَضَافَه الله تعالى إليه؛ لأنه كلامه..." ولم يقُلْ "إضافة تشريف" كما قد يتبادرُ إلى الذِّهْنِ، في ذلك توجيهٌ عَقَدِيٌّ، فلا يَصِحُّ أن يقالَ إنَّ الإضافةَ- هنا - للتشريف، وذلك لما قرَّره المؤلفُ عندَ قولِ الله تعالى - في صفةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء - ١٧١) حيثُ قال: " واعلم أنَّ المضافَ إلى الله تعالى نوعان: نوعٌ معنىً لا يَقُومُ إلا بغيرِه، وهذا يكونُ من صفاتِه، مثل: علمِ الله، وقدرةِ الله، وسَمْعِ الله، وكلامِ الله، وما أشبه ذلك، فهذه معانٍ إذا أُضيفت إلى الله فهي من صفاتِه وليست بمخلوقةٍ،ونوعٌ آخرُ يُضافُ إلى الله لكنَّه بائنٌ منه ومنفصلٌ عنه، وهذا يكون مخلوقاً، لكنْ أُضيفَ إلى الله من بابِ التشريفِ والتكريمِ، ومنه قوله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ " ا.هـ. يُنظر تفسير سورة النساء للمؤلف، ٢/ ٥١٦، وينظر: الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١/ ١١٧.

(٣) يُنظر على سبيل المثال: تفسير أبي السعود، ١/ ١٢٨، وتفسير روح المعاني: ١/ ٣٢٠.

(٤) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٢٠، ويُنظر: تفسير أبي السُّعود، ١/ ١٢٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

لحُكْمِه، والتسليمُ لأمرِه، كما أنَّه ربَّما كان لتنكُّرِ اليهودِ لكتابِ الله، وسُنَّةِ رسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سرٌّ في تنكيرِ لفظةِ ﴿كِتَٰبٌ﴾ فلما تنكَّروا له؛ أُلقِيَ إليهم الكلامُ مُنكَّراً ولَمْ يُعرَّفْ بِأَلْ؛ فـ (أل) مِنْ خصائصِها العهدُ الذِّهْنِي، وهو غيرُ معهودٍ في أذهانِهم كما يَزْعُمُون؛ يقولُ الشعراوي مُعَلَّقاً على هذِه الآيةِ: "وقد تنكَّرَ اليهودُ لرسالةِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أنَّهم على يقينٍ من صِدْقه؛ لأنَّ هذِه الرسالةِ ستَحْرِمُهُم هذه السلطةَ الزمنيَّةَ، وستقضِي على السِّيادَةِ العِلميَّةِ، والسِّيادَةِ الاقتصاديةِ، والسِّيادَةِ الحَرْبِيَّةِ، التي كانتْ لهُمْ قبلَ الإسلام".(1)

وعند قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾(2) يقول المؤلف: "ونُكِّرَت ﴿قِبْلَةً﴾ للتعظيم"(3).

وقال أبو حيان: "ونَكَّرَ القِبلةَ؛ لأنَّه لَمْ يَجْرِ قَبْلَها ما يَقْتَضِي أنْ تكونَ مَعهودةً؛ فتُعرَّفَ بالألفِ واللَّام، وليس في اللَّفْظِ ما يَدُلُّ على أنَّه كان يَطْلُبُ باللَّفْظِ قِبْلَةً مُعَيَّنَةً، ووصَفَهَا بأنَّها مَرْضِيَّةٌ له لتَقَرُّبِها من التعيينِ؛ لأنَّ مُتعَلَّقَ الرِّضا هو القلبُ، وهو كان يُؤْثِرُ أنْ تكونَ الكعبةُ، وإنْ كان لا يُصرِّحُ بذلك، قالوا: ورضاه لها، إما لميلِ السَّجِيَّةِ، أو لاشتمالِها على مصالحِ الدِّين (4)، والمعنى: لنَجْعَلَنَّك تَلِي استقبالَ قبلةٍ مَرضيةٍ لك،

---

(1) تفسير الشعراوي: ٤/ ٢٠٥٤.

(2) البقرة: ١٤٤ .

(3) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢ / ١٢٣.

(4) قال ابنُ عادل قوله: ﴿تَرْضَىٰهَا﴾ فيه وجوه: أحدها: تحبّها وتميلُ إليها؛ لأنَّ الكعبةَ كانت أحبَّ إليه من غيرِها بحسب ميل الطبع...وثانيها: تحبُّها بسبب اشتمالِها على المَصالح الدينة.. وثالثها: قال الأصم: أي: كل جهةٍ وجّهك الله إليهان فهي لك رضا لا يجوز أن تسخط كما فعل من انقلب على عقبيه من العرب الذين كانوا قد أسلموا ، فلما تحولت القبلة ارتدو. ورابعها: أي: ترضى عاقبتها؛ لأنك تعرف بها من يتبعك للإسلام ، مما يتبعك لغير ذلك من دنيا يصيبها ، أو مال يكتسبه". تفسير اللباب في علوم الكتاب: ٣/ ٣٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ .   ١٤٣٥/٠٢/٠٦
Ali Fattani

ولنُمَكِّنَنَّك من ذلك"[1].

وأرى – والله أعلم – أنَّ ذلكَ نظيرُ تنكيرِ ﴿صِرَٰطًا﴾ في قولِه تعالى في حقِّ نبيِّه أيضا: ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ۝٢﴾[2] حيثُ نَكّرَ ﴿صِرَٰطًا﴾ مع أنَّه واحدٌ ومعهودٌ في الأذهانِ وهو (الصراط المستقيم)، ولكنْ نُكِّرَ لغرضِ التعظيم[3].

ومن بلاغةِ هذه الآيةِ، أنَّه يُستفادُ منها: بيانُ مدى حُبِّ الله تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ يقولُ الرازي: "وفي الشاهدِ إذا وُصِفَ واحدٌ من النَاسِ بمحبةِ آخرَ قالوا: فلانٌ يُحَوِّلُ القِبلةَ لأجلِ فلانٍ؛ على جهةِ التمثيل، فاللهُ تعالى قد حَوَّلَ القِبلةَ لأجلِ حبيبِه[4] محمدٍ – عليه الصلاة والسلام – على جهة التحقيق "[5].

ويواصلُ الرازيُّ حديثَه مُجَلِّياً سِرَّ اختيارِ لفظةِ ﴿تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ دونَ غيرِها فيقول: "وقال: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ ولَمْ يَقُلْ (قِبلةً أرضاها)، والإشارةُ فيه كأنَّه تعالى قال: يا محمدُ كلُّ أحدٍ يطلبُ رضاي، وأنا أطلبُ رضاكَ في الدَّارَين، أمَّا في الدُّنيا فهذا الذي ذكرناه، وأمَّا في الآخرةِ فقولُه تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾[6]"[7].

---

(١) تفسير اليحر المحيط: ١/ ٦٠٣.

(٢) الفتح: ٢ .

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٦/ ١٢٥.

(٤) وقد ذكر المؤلفُ أنَّ الأبلغ –في حقِّ النبي ﷺ– استعمال (خليل الله) دون (حبيب الله) لأن الخُلّة أعلى من المحبة، واستشهد بقول الشاعر يخاطب محبوبته:

قد تخلّلتِ مسلكَ الرُّوحِ منِّي وبذا سُمِّيَ الخليلُ خليلا

بل قرَّر أن في قول: (محمد حبيب الله) تنقّصاً لحقِّ النبي ﷺ؛ لأنَّ الله يُحبُّ محمداً ويحبُّ غيرَه، أما الخُلَّةُ فليست إلا لَهُ ولإبراهيم عليهما الصلاة والسلام. ينظر: القول المفيد للمؤلف: ١/ ٣٩٩.

(٥) تفسير الرازي: ٤/ ٨٧.

(٦) الضحى: ٥ .

(٧) تفسير الرازي: ٤/ ٨٧.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وعند قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(١) يقول المؤلف: "قوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾..في هذا التَّنْكِيرِ تعظيمٌ للمسجِد، بدَليلِ قولِه: ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ أي: جُعِلَت التَّقْوى أساساً له، فقام عليه "(٢).

ولَمْ أجِد من المُفَسِّرِينَ من أَلْمَحَ إلى هذه النُّكْتَةِ اللَّطِيْفَةِ، وهو- من وجهة نظري - تأمُّلٌ في محلّه؛ إذ إنَّه يَصْلُحُ أَنْ تكونَ الآيةُ (لَلمسجِدُ الذي أُسِّس) ويشارُ به إلى المعهودِ في الأذهانِ، سواءٌ أُرِيدَ به مسجدُ قباء، أو المسجدُ النبويُّ - على اختلافِ المفسِّرين في تعيينِه-(٣)، ومع ذلك عمَد إلى التَّنْكِيرِ، فلا يكونُ ذلك إلا لِسرٍّ بلاغيٍّ، وقد اختارَ المؤلِّفُ أن يكونَ (للتعظيم) ولايَمْنَع - في نظري - أن يكونَ (التعميمُ) مراداً أيضا؛ والمعنى: (أي مسجد) فيتناولُ التعظيمُ المعهودَ من جِهةٍ، ويتناولُ أيَّ مسجدٍ بُنِي على التَّقوى من جهةٍ أخرى، لاسيَّما أنَّ ذلكَ قولٌ من أقوالِ العلماءِ في المسجِدِ المقصودِ في هذه الآية (٤).

وقد يُستفادُ وجهُ (التعميم) من قولِ الرَّازي:"...وقال القاضِي لا يَمنعُ دخولُهما جميعاً(٥) تحت هذا الذِّكْر؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ هو كقولِ القائِل:(لَرَجُلٌ صالحٌ أحقُ أن تجالسَه)؛ فلا يكونُ ذلك مقصوراً على واحد" (٦).

----

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) القول المفيد: ١/ ٢٣٣.

(٣) يُنظر تفسير الطبري: ١٤/ ٤٧٠.

(٤) يُنظر: تفسير النُّكت والعيون: ٢/ ٤٠٣؛ حيثُ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:أحدُها: أنَّه مسجدُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة.. الثاني: أنَّه مسجدُ قباء...الثالث: أنَّه كلُّ مسجدٍ بُنِي في المدينةِ وأسِّس على التَّقوى".

(٥) أي المسجدين: قباء والمدينة.

(٦) تفسير الرازي: ١٦/ ١٥٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

٣- التنكيرُ للتقليل:

من ذلك قولُه تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾(١) حيث يقول المؤلف:"وقوله تعالى: ﴿بِشَيْءٍ﴾: التنكير هنا للتقليل؛ ويُحتملُ أن يكونَ للتكثير"(٢).

وهوالذي عليه جميعُ المفسرين، فالمرادُ بـ(شيء) أي: بقليلٍ من كلِّ واحدٍ من هذه البلايا وطرفٍ منه(٣).

وأما قولُ المؤلف: "ويُحتَمَلُ أن يكونَ للتكثير" فلَمْ يُبَيِّنْ سَبَبَ ذلك الاحتمال! ولعلَّ ذلك راجِعٌ إلى فَهْمٍ خاصٍّ به، كأن يكونَ اعتمدَ على أن كثرةَ البلاءِ وصْفٌ دالٌّ على الإيمان، كما في الحديث (عن مصعبِ بنِ سعدٍ عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: يا رسولَ الله من أشدُّ النَّاسِ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ، ثُمَّ الأَمْثَلَ فالأَمْثَلَ، يُبْتَلى العَبْدُ على حَسَبِ دِينِه، فما يَبْرَحُ بالعَبْدِ حتى يَمْشِي على الأرضِ وما عليه خَطِيئَة"(٤)

والآية مَسُوقَةٌ في بيانِ أنَّ كلَّ هذا وأمثالَه مما يَخْتَبِرُ اللهُ به عبادَه، فمن رضيَ وصبرَ أثابَه ومن قَنَطَ أَحَلَّ به عِقابَه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(٥)، والـذي يتبيّنُ أنَّ التنكيرَ - هنا - للتَّقْلِيل؛ لثلاثةِ أُمُورٍ:

الأول: اتِّفَاقُ جميعِ المُفَسِّرِينَ على ذلك، حيثُ لم أَجِدْ من قالَ باحتمال التكثيرِ

---

(١) البقرة: ١٥٥.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٧٨.

(٣) تفسير الكشاف: ١/ ٢٣٢-٢٣٣، ويُنظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٦، وتفسير الرازي: ٤/ ١٣٦، وتفسير روح المعاني: ٢/ ٢٢، وتفسير فتح القدير: ١/ ٢٤٧.

(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت،الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ٧/ ١٤٣ برقم ٢٩٢١، وقال عنه المحقق: إسناده حسن .

(٥) يُنظر تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

سوى المؤلِّف.

الثـاني: أنَّ مِـنْ جُمُـوعِ التَّكسيرِ التـي وردت في الآيـةِ مـا هـو مـن جُمُـوعِ القِّلَّةكـ ﴿ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ ؛ كونها على (أَفْعَال) و (أَفْعُلْ) وهمـا وزنـان مـن أوزانِ جمـوعِ التَّكسيرِ في اللُّغةِ العربيَّة يَدُلاَّنِ على القِلَّة، قال ابنُ مالك:

أَفْعِلَـــةٌ أَفْعُــلُ ثُــمَّ فِعْلَـــهْ   ثُـمَّـتَ أَفْـعَالٌ جُمُـوعُ قِلَّـهْ[1]

الثالـث: إفـرادُ لفظـة (شيء) مـع أنَّهـا في سياقِ الجَمْعِ، قـال الـرازيُّ:"إنـما قـال بـ﴿بِشَىْءٍ﴾ على الوحدان، ولم يَقُلْ بـ(أشياء) على الجمع لوجهين:

الأول: لئلاَّ يُوهِمَ بأشياءَ من كلِّ واحدٍ، فيـدلّ عـلى ضُروبِ الخـوفِ والتقـديرِ، بشيءٍ من كذا وشيءٍ من كذا.

الثاني: معناه: بشيءٍ قليلٍ من هذه الأشياء"[2]، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[3]، يقـول المؤلـف: "و﴿أَيَّامًا﴾: نكـرة؛ والنكرةُ تُفيدُ القِلَّةَ، وتُفيدُ الكثرةَ، وتُفيدُ العَظَمَةَ، وتُفيـدُ الهُونَ - بحسب السِّياق -؛ ولَمَّا قُرِنت هنا بقولِه تعالى: ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أفادت القِلَّةَ؛ يعني: هذا الصيامُ ليس أشهراً؛ ليس سنواتٍ؛ ليس أسابيعَ؛ ولكنَّـه أيـامٌ معـدوداتٌ قليلـةٌ؛ و﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ مـن صِيَغِ جَمْعِ القِلَّةِ؛ لأنَّ جمعَ المُذَكَّر السالمِ، وجمعَ المؤنثِ السالمِ من صِيَغِ جَمْعِ القِلَّةِ؛ يعني: فهي أيامٌ قليلةٌ "[4].

وقـد ذكـر المفسرون في ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ احتمالـين أحـدُهما لايُعـارِضُ مـاذكَره المؤلـفُ، قـال الزمخشريُّ: "﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ مُوقَّتَاتٌ بعـددٍ مَعلـومٍ ، أو قلائِـل كقولـه:

---

(١) ألفية ابن مالك : البيت رقم ٧٩١.

(٢) تفسير الرازي: ٤/ ١٣٦ .

(٣) البقرة: ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة:٢ / ٣٢٠

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١.
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾[1] وأصلُه أنَّ المالَ القليلَ يُقَدَّرُ بالعددِ ويُتَحَكَّرُ فيه، والكثيرُ يُهالُ هَيْلا ويُحثى حَثْيا"[2]، وزاد الشوكانيُّ: "ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ في هذا الجمعِ[3]؛ لكونِه من جموعِ القِلَّةِ إشارةٌ إلى تقليلِ الأيام"[4]، وقولُ الشوكانيُّ - هذا - هو ما أشارَ إليه المؤلفُ، ولكنَّ الذي ينبغي البحثُ عنه هو: إذا كانَ جمعُ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ يُفِيدُ القِلَّةَ؛ فلماذا جاءَ الوصفُ به لَمَا حَقُّه أنْ يُوصَفَ بالكَثْرَةِ؛ حيثُ إنَّ أيامَ الصَّومِ ثلاثونَ يوماً وذلكَ من أعدادِ الكَثرة؟!

وقبل الجوابُ على ذلك فالمقامُ - من وجهة نظري - يحتاجُ إلى شيءٍ من التفصيل:

أولا: فلابُدَّ من العلمِ أنّه لَمْ يَتَّفِقِ النُّحَاةُ على أنَّ جمعَ المُذَكَّرِ السَّالِمِ، وجَمْعَ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ مِنْ جُمُوعِ القِلَّة، بل نَقَلَ الرَّضِيُّ في شرحِ الكافيةِ عن ابنِ خروفٍ: أنهما لمُطلقِ الجمعِ من غيرِ نَظرٍ إلى القِلَّةِ أو الكَثْرَة؛ فَيَصْلحان لكلٍّ مِنْهُما [5] .

ثانيا: على القولِ بأنَّ جمعَ المُؤَنَّث السالمِ من جموعِ القِلَّة دونَ الكَثْرَة، فإنَّ ذلك لا يتعارضُ مع الآيةِ الكريمةِ، ولكنَّه يَعْتَمِدُ على فَهْمِ المَعنى المُراد؛ حيثُ إنَّ المُفَسِّرين قد اختلفوا في تَعْيينِ الأيَّامِ المُرَادَة وذلك على قَولين:

أحدهما: أنَّها أيامُ شهرِ رمضانَ التي أبانَها من بَعدُ، وهو قولُ ابن أبي ليلى

---

(١) يوسف: ٢٠

(٢) تفسير الكشاف: ١/ ٢٥١، ويُنظر: روح المعاني ٢/ ٥٧، تفسير الرازي: ٥/ ٦٣.

(٣) أي: جمع المؤنث السالم.

(٤) تفسير فتح القدير الجامع بين فَنَّي الدراية والرواية ، محمد بن علي الشوكاني ، المكتبة العصرية – بيروت ، الطبعة الثانية: ١٤٢٥ه – ٢٠٠٥م : ١/ ٢٧٧ .

(٥) شرح الرضي على الكافية شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، رضي الدين الإستراباذي النحوي، تحقيق: د. عبد المنعم سالم مكرم، القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى: ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م : ٣/ ٣٩٧ ، ويُنظر حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان الشافعي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى: ١٤١٧ه – ١٩٩٧م : ٣/ ٦٧١.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وجمهورِ المفسرين.

الثاني: أنَّها صيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شَهْرٍ، كانت مفروضةً قبلَ صيامِ شهرِ رمضانَ، ثم نُسِخَتْ به، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ، وقَتادةَ وعطاء، وهي الأيامُ البيضُ من كلِّ شهر[1].

وللإجابةِ على التساؤلِ فقد فصّلَ القولَ في ذلك أبو حيان حيثُ يقول: "فإن كانَ ما فُرِضَ صومُه هنا هو رمضان، فيكون قولُه ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ عُنِي به رمضان.... ووصْفُها بقوله: ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ تسهيلاً على المُكَلَّف بأنَّ هذه الأيامَ يَحْصُرُها العَدُّ ليست بالكَثْيَرة التي تفوّت العَدَّ"[2].

فأبو حيان يرى أنه إنْ كانَ المقصودُ بالأيامِ رمضانَ؛ فإنما وصِفَت بما يَدُلُّ على القِلَّةِ لغرضٍ بلَاغِيٍّ، وهو التسهيلُ على المُكَلَّفِ لكونِ أيامُ رمضانَ يحصرُها العدُّ، وقد قال مقاتِل بن سليمان: "وهي دونَ الأربعين، فإذا كانت فوقَ الأربعين؛ فلا يُقال لهم (معدودات)" [3].

وتوجيهُ أبي حيان – من وجهة نظري – توجيهٌ في محلِّه؛ لأنَّه على القولِ بأنَّ جمعَ المؤنَّثِ السالمِ من جموعِ القِلَّة، فإن ذلك لا يمنعُ أن يُستعارَ للكثرةِ؛ لغرضٍ بلاغيٍّ، وقد نصَّ على ذلك بعضُ النحاةِ، يقول ابنُ عقيلٍ: " ويستعملُ كلٌ منهما[4] في مَوضِعِ

---

(١) تفسير النكت والعيون:١/ ٢٣٧.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٣٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد، ١/ ٩٦. ولعلَّ السرَّ في تحديد الأربعين؛ لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهما، إنما كانوا يعدُّونَها عدّاً، فإذا بلغت أُوقِيّةً وزنوها. والله أعلم. يُنظر: تفسير الطبري: ١٥/ ١٣.

(٤) أي: جمع القلة والكثرة.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الآخرِ مجازاً"[1]، ويقول ابنُ هشام:" وقد يُستغنى ببعضِ أبنيةِ القِلَّةِ عن بناءِ الكثرةِ كـ(أرجُل وأعناق وأفئدة) وقد يُعكس كـ(رِجَالٍ وَقُلوب وَصَرْدَان)"[2]، وكذلك نص عليه الإمامُ الرَّضِي ودلَّل على ذلك بقولِه تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[3]، مع وجودِ جمع القِلَّة (أقراء)[4]، وحتى المؤلِّفُ نفسُه أشارَ إلى مثل ذلك في مجموعِ الفتاوى حيث يقول: " والراجح: أن جموعَ القِلَّة تدلُّ على الكثرةِ بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾[5]، و(كلمات): جمعُ قِلَّة دالٌّ على الكثرة "[6].

ويواصلُ أبو حيان فيقول: "وإن كانَ مافُرِضَ صومُه هو ثلاثةُ أيامٍ من كل شهر، وقيل: هذه الثلاثةُ ويومُ عاشوراء، كما كان ذلك مفروضاً على الذين من قبلنا؛ فيكون قولُه: ﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ عُنى بها هذه الأيام، وإلى هذا ذهب ابنُ عباس، وعطاء"[7]؛ وحينئذٍ فلا إشكال؛ لأنَّها جاءَت وصفاً لأيامٍ قليلةٍ.

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه،الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م، ٤/ ١١٤.

(٢) أو ضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام جمال الدين بن هشام الأنصاري، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، طبعة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، ٤/ ٢٧٦.

(٣) البقرة: ٢٢٨.

(٤) شرح الرضي على الكافية: ٣/ ٣٠١، ويُنظر: (الاحتراس) في مبحث الإطناب في الفصل الثالث من هذه الرسالة ص: ٢٤٣ ، ففيه حديثٌ عن ذلك .

(٥) الكهف: ١٠٩.

(٦) مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن عثيمين، محمد بن صالح بن عثيمين، مصدر الكتاب: موقع الشيخ على الإنترنت www.binothaimeen.com قام بفهرسة الكتاب / ١ – أبو أيوب السليمان (من الجزء ١ إلى ٤) ٢ – أسامة بن الزهراء (من الجزء ٥ إلى ٢٠)، ٩/ ١٩٨.

(٧) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٣٦.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وبذلك يتبين أن تنكيرَ (الأيام) جاء للتقليلِ - حقيقةً أو مجازاً - وأنَّه لا مُعارَضَةَ بين كونِ المقصود بها الكثرةَ أو القلة - كما تقدم - والله تعالى أعلم.

وبهذا تنتهي المعالمُ التي أردت الحديثَ عنها في هذا المبحث، ويليه مبحث (التعريف) بإذن الله .

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

المبحثُ الخامس
التعريـــــف

التعريفُ مُتَعَدِّدُ الأَنواعِ، واسعُ الأغراضِ؛ فمنه الضميرُ، وقد يكون للمتكلمِ، أو الخطابِ، أو الغَيْبَةِ، ومنه العَلَمُ سواءٌ كانَ اسماً، أو كُنيةً، أو لَقَباً، ومنه اسمُ الإشارةِ قريباً كان أو بعيداً، ومنه الاسمُ الموصولُ الذي يقتضي صلةً يَتَفَنَّنُ المتكلمُ في التعبيرِ عن مرادِه من خلالِها، ومن التعريفِ ما يكونُ بالإضافةِ، ومنه ما يكونُ بـ(أل)التي تفيدُ العهدَ، أو الجِنْسَ، وكلاهُما يَتَفَرَّعُ منه أقسامٌ تؤدي أغراضاً محدَّدةً، وِفْقَ مُرادِ المُتَحَدِّثُ، وعلى حَسَبِ غَرَضِه من الحديثِ، ومَحَلُّ تلكَ التقسيماتِ والتَّحْدِيداتِ هو كتبُ النَّحْوِ التي عُنِيَت بذلك، واشتَغَلَتْ بأمثلتِه، وإنَّما الذي يَعنِي دارسَ البلاغةِ منها الأسرارُ البيانِيَّةُ، والنِّكاتُ التعبيريَّةُ التي تصاحبُ التعبيرَ بها، بالوقوفِ على الغَرَضِ من اختيارِ أداةٍ دونَ أداةٍ، وتفضيلُها على غيرِها، وما ذا يَحْدُثُ لو تَرَكَهَا إلى سِواها مما هو من نوعِها؟.(١)

وقد تحدّثَ المؤلِّفُ عن آياتِ التعريفِ في مواضعَ مُتَعَدِّدةٍ، وسأتَحَدَّثُ في هذا المبحثِ من خلالِ بعضِ أنواعِ التعريفِ التي ركّزَ عليها المؤلّفُ وهي:

أولاً: التعريفُ بالإشارة:

وقفَ المؤلفُ مع التعريفِ باسمِ الإشارةِ في مواضعَ متعدِّدةٍ؛ وأهمُّ ما تكلَّمَ فيه المؤلفُ غَرضانِ من أغراضِ التعريفِ بالإشارةِ:

١ - التعظيمُ وعلو المرتبة:

ومن ذلكَ قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾(٢)، حيثُ قال

---

(١) النظم القرآني في آيات الجهاد: من ص ٩٠.

(٢) البقرة: ٢ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المؤلفُ: "من فوائِدِ الآيةِ: بيانُ عُلوّ القرآنِ؛ لقولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ فالإشارةُ بالبُعْدِ تُفِيدُ عُلُوَّ مرتبتِه؛ وإذا كان القرآنُ عالي المكانةِ والمنزِلةِ، فلابُدَّ أنْ يعودَ ذلك على المُتمسِّكِ به بالعُلوِّ والرِّفعَة... "[1].

وهذا على أن المشارَ إليه هو القرآنُ، خلافاً لبعضِ المُفَسِّرين في تأويلِ ذلك، قالَ المَاوَرْدِيُّ:"فيه ثلاثةُ تأويلاتٍ:

أحدُها: يعني التوراةَ والإنجيلَ، ليكونَ إخباراً عن ماضٍ.

الثاني: يعني به ما نزلَ من القرآنِ قبلَ هذا بمكةَ والمدينةَ، وهذا قولُ الأَصمِّ.

الثالث: يعني هذا الكتاب، وقد يُستعملُ ذلك في الإشارةِ إلى حاضرٍ، وإنْ كان موضوعاً للإشارةِ إلى غائبٍ، قال خُفَافُ بن ندبة:

أقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ خُفَافاً إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا"[2]

والذي عليه جمهورُ المُفَسِّرِينَ أَنَّه القرآنَ[3]، ثُمَّ إنَّهم اخْتَلفوا، لِمَ عبَّر باسمِ الإشارةِ الدالِّ على البعيدِ الغائبِ (**ذلك**)، دون (**هذا**) مع أنَّه قريبٌ مَتلوٌ حاضِر؟ فمِنْهُم من رأى أنَّ ذلكَ من قَبِيْلِ مُراعاةِ انقضاءِ الخَبَرِ من عَدَمِه، ولابنِ جَريرٍ في هذا كلامٌ يَحْسُنُ نَقْلُه في هذا السِّياق،حيثُ يقول: "فإنْ قال قائِلٌ: وكيفَ يجوزُ أن يكونَ (**ذلك**) بمعنى (**هذا**)؟ و(**هذا**) – لا شكّ – إشارةٌ إلى حاضِرٍ مُعايَن، و(**ذلك**) إشارةٌ إلى غائبٍ غيرِ حاضرٍ ولا مُعايَن؟ قيل: جازَ ذلك؛ لأنَّ كلَّ ما تَقضَّى، بقُرْبِ تَقضِّيه من

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٢٨.

(٢) تفسير النكت والعيون: ١/ ٦٧. ويُنظر: الطبري: ١/ ٢٢٥ فما بعدها، وتفسير الرازي: ٢/ ١٢ فما بعدها.

(٣) كما نقل ذلك الشوكانيُّ في فتح القدير قال:"وبه قال مجاهدٌ وعِكرمةُ وسعيدُ بنُ جُبيرٍ والسُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ وزيدُ بنُ أسلم وابنُ جريج وحكاه البخاريُّ عن أبي عبيدة "، فتح القدير: ١/ ٥٢. وكما رجح ذلك الطبريُّ في تفسيره ١/ ٢٢٧ فمابعدها، والألوسي في روح المعاني ١/ ١٠٦ وابن كثير في تفسيره ١/ ٥٤، وغيرهم.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الإخبارِ[1]، فهو – وإن صارَ بمعنى غيرِ الحاضر – فكالحاضرِ عند المُخاطَب، وذلك كالرَّجُلِ يُحدِّثُ الرَّجُلَ الحديثَ فيقولُ السَّامِعُ: (إن ذلكَ والله لكمَا قلتَ)، و(هذا والله كما قلتَ)، و(هو والله كما ذكرتَ)، فيخبرُ عنه مَرَّةً بمعنى الغَائبِ؛ إذْ كان قد تَقضَّى ومضى، ومرَّةً بمعنى الحاضِرِ، لقُرْبِ جوابِه من كلامِ مُخْبِرِه، كأنَّه غيرُ مُنْقَضٍ. فكذلك (ذلك) في قولِه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ لأنَّه جلَّ ذِكرُه لَمَّا قَدَّمَ قبلَ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ قال لِنَبيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا محمدُ، هذا الذي ذكرتُه وبيَّنْتُه لك، الكتابُ؛ ولذلكَ حَسُنَ وضْعُ "ذلك" في مكانِ (هذا)؛ لأنَّه أُشِيرَ به إلى الخَبَرِ عما تضمَّنهُ قولُه: ﴿الٓمٓ﴾ من المعاني، بعد تَقَضِّي الخبرِ عنه بـ﴿الٓمٓ﴾[2].

ومنهم من جعلَه للدّلالةِ على علوِّ منزلةِ القرآنِ وعَظَمَتِه – كما هو رأي المؤلف – وعلى ذلك بعضُ المفسرين، قال الألوسيُّ:"والإشارةُ بذلك للتعظيم وتنزيلِ البُعْدِ الرُّتبي منزلةَ البُعْدِ الحَقِيْقِيِّ كما في قولِه تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى﴾[3] كما اختارَه في المفتاح[4]"[5].

وهو كذلك رأيُ كثيرٍ من البلاغيين، فقد ذكرَ السكاكيُّ أنَّه ربَّما جُعلَ البعدُ ذريعةً إلى التعظيمِ كقولِه تعالى: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ذهابًا إلى بعد درجته"[6]

---

(١) قال محقِّقُ الكتاب: يريد: أن ذكر ما انقضى، وانقضاؤه قريب من إخبارك عنه.

(٢) تفسير الطبري: ١/ ٢٢٦.

(٣) يوسف: ٣٢

(٤) يشير إلى قول السكاكي الآتي قريبا.

(٥) تفسير الألوسي: ١/ ١٠٥، ويُنظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ١/ ١٩.

(٦) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، تحقيق: زرزور، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ه، دار الكتب العلمية – بيروت .ص ٨٠ ، وينظر : مختصر المعاني للسعد : ١/ ٤٦

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ . ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ويقولُ الدكتور عبدالرحمن الميدانيُّ مُتأمِّلاً ذلك: "جاءَ في هذا النَّصِّ استخدامُ اسمِ الإشارةِ الموضوعِ للمُشَارِ إليه البعيدِ، مع أنَّ المُشَارَ إليه متْلُوٌّ على المُتَلَقِّينَ قريبٌ منهم؛ للإشعارِ بأنَّه جليلٌ رفيعُ المنزلةِ، جديرٌ لارتفاعِ منزلتِه أن يُشَارَ إليه باسمِ الإشارةِ الموضوعِ للبعيد"(١).

وبذلك تتآزَرُ أقوالُ أئمةِ التفسيرِ، وأئمَّةِ البيانِ، على أنَّ المقصودَ بذلك هو الذكرُ الحكيم، والقرآنُ العظيم، عليُّ البيانِ رفيعُ الميزانِ، الذي يستحِقُّ أن يُشَارَ إليه بما يَدُلُّ عليه، وما أجملَ ما ختمَ به الإمامُ الألوسيُّ بحثَه في هذه المسألةِ حيثُ يقول: "والقولُ بأنَّ الإشارةَ إلى التوراةِ والإنجيلِ - كما نُقل عن عِكرمة - إن كانَ قد ورد فيه حديثٌ صحيحٌ قبلناه، وتكلَّفْنا له، وإلا ضَرَبْنا به الحائط، وما كلُّ احتمالٍ يليق، وأغربُ ما رأيناه في توجيهِ الإشارةِ، أنها إلى الصِّراطِ المستقيمِ في الفاتحةِ؛ كأنَّهم لما سَألوا الهدايةَ لذلك قيلَ لهم ذلك الصراطُ الذي سألتم الهدايةَ إليه هو الكتاب!.... والذي تنفتِحُ له الآذانُ أنَّه إشارةٌ إلى القُرآنِ، ووجهُ البُعدِ ما ذكره صاحبُ المفتاح(٢)، ونورُ القَرِيبِ يلوحُ عليه" (٣) والله تعالى أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾(٤)، يقول المؤلف: "قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾، المشارُ إليه ما تقدَّم ممن اتَّصفوا بالصِّفاتِ الخَمْسِ؛ وأشارَ إليهم بصيغةِ البُعْدِ لعُلُوِّ مرتَبَتِهم"(٥).

فوصْفُ الهُدى بأنَّه من ربِّهم؛ هو للتنويهِ بذلكَ الهُدى وتشريفِه، مع الإشارةِ

---

(١) البلاغة العربيّة: ١/ ٤٢٣.

(٢) يشير إلى قول السكاكي المتقدِّم.

(٣) تفسير روح المعاني: ١/ ١٠٥.

(٤) البقرة: ٥ .

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣١.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

بأنَّهُم بمحلِّ العنايةِ مِن الله[1]؛ فأشارَ إليهم باسمِ الإشارةِ الموضوعِ للمشارِ إليه البعيدِ؛ إشعاراً بارتفاعِ منزلتِهم فوْقَ الناس؛ إذْ منزلتُهم الرَّفِيعةُ جديرةٌ بأن يُشَارَ إليهم فيها بهذهِ الصِّيْغَةِ من أسماءِ الإشارة[2]، ويرى بعضُ البلاغيينَ أنَّ اسمَ الإشارةِ أفاد – هنا – زيادةَ الدلالةِ على المقصودِ من اختصاصِ المذكورين قبلَه، باستحقاقِ الهُدى من ربِّهم والفلاحِ؛ لأنَّه ذُكِرَ قبلَ المُسْنَدِ إليه مذكورٌ، وعُقِّبَ بأوصافٍ، على أنَّ ما يَرِدُ بعدَ اسمِ الإشارةِ فالمذكورُ جديرٌ باكتسابِه من أجْلِ تلكَ الأوصافِ[3].

والمؤلّفُ يرى أنّ اسم الإشارةِ في قولِه تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أُعِيدَ تأكيداً لما يفيدُه اسمُ الإشارةِ الأوَّلِ من عُلوِّ المرتبةِ، والعِنايةِ التَّامَّةِ بهم" [4]؛ قال ابنُ عاشورَ: "ومرجِعُ الإشارةِ الثَّانيةِ عينُ مرجِعِ الأُولى، ووجهُ تكريرِ اسمِ الإشارةِ التنبيهُ على أن كلتا الأثَرَتَين جديرةٌ بالاعتناءِ والتنويهِ، فلا تُذْكَرُ إحداهُما تَبَعَاً للأُخْرى بل تُخَصُّ بِجُمْلَةٍ وإشارةٍ خاصَّةٍ؛ ليكونَ اشتهارُهم بذلك اشتهاراً بكلتا الجُملتين وأنَّهم ممن يُقَالُ فيه كلا القولين"[5].

ويرى الرازيُّ: أنّ في تكريرِ ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ تنبيهاً على أنَّهم كما ثَبَتَ لهم الاختصاصُ بالهُدى، ثَبَتَ لهم الاختصاصُ بالفلاحِ أيضاً، فقد تميزوا عن غيرِهم بهذين الاختصاصين[6].

ومن بابِ إثراء النصِّ القرآني فإنَّ في هذه الآيةِ أسراراً أخرى يحسُنُ الوقوفُ معها ومن ذلك: التعريفُ في ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يقولُ أبو حيان: "والألفُ واللَّام في

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٤٢ .

(٢) البلاغة العربية للميداني: ١/ ٤٢٣.

(٣) الإيضاح مع البغية: ١/ ٦٩ فما بعدها، ويُنظر: خصائص التراكيب: ٦٩.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣٢.

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٤٢.

(٦) تفسير الرازي: ٢/ ٣٢.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ لتعريفِ العَهْدِ في الخارجِ أو في الذِّهْنِ، وذلكَ أنَّك إذا قلتَ: "زيدٌ المنطلقُ"، فالمخاطَبُ يَعرفُ وجودَ ذاتٍ صَدَرَ منها انطلاقٌ، ويَعْرِفُ زيداً ويجهلُ نِسْبَةَ الانطلاقِ إليه، وأنتَ تعرفُ كلَّ ذلك فتقولُ له: (زيدٌ المنطلقُ)، فتفيدُه معرفةَ النِّسْبَةِ التي كان يجهلُها، ودَخَلَتْ (هو) فيه إذا قلت: (زيدٌ هو المنطلق)، لتأكيدِ النِّسْبَةِ، وإنَّما تُؤَكِّدُ النِّسْبَةَ عِنْدَ تَوَهُّمِ أنَّ المُخَاطَبَ يَشُكُّ فيه، أو يُنَازِعُ أو يتوهَّمُ الشَّركة"[1].

ويرى الزمخشريُّ، وتَبِعَه الرّازيُّ، أنَّها إمّا للعَهْدِ، أو للحقيقةِ؛ للدّلالةِ على أنهَّم الذينَ إن حَصَلَتْ صفةُ المفلحين، وتحقَّقوا ماهم، وتصوَّروا بصورتِهم الحقيقيَّةِ، فَهُمْ هُمْ لا يَعْدُونَ تلكَ الحقيقة،كما تقول لصاحبك: هل عرفتَ الأسدَ، وما جُبِلَ عليه من فَرْطِ الإقدام، إنَّ زيداً هو هو"[2].

ومن ذلك: ضميرُ الفَصْلِ ﴿هُمُ﴾ الدالِّ على الحَصْر، يقول الرازيُّ: "﴿هُمُ﴾ فصلٌ وله فائدتان:

إحداهُما: الدَّلاَلَةُ على أن الواردَ بعدَه خَبَرٌ لا صِفَةٌ.

ثانيتهما: حصرُ الخبرِ في المبتدأ، فإنَّك لو قُلْتَ: (الإنسانُ ضاحكٌ) فهذا لا يُفِيدُ أنَّ الضَّاحِكِيَّةَ لا تَحْصُلُ إلا في الإنسانِ، أمَّا لو قلتَ: (الإنسانُ هو الضَّاحكُ) فهذا يُفيدُ أنَّ الضَّاحِكِيَّةَ لا تَحْصُل إلا في الإنسان"[3]؛ وفائدةُ الحصرِ توكيدُ صفةِ الفلاحِ لهم، وإظهارُ قدرِهم والترغيبُ في اقتفاءِ أَثَرِهم[4]، كما نلحظُ - أيضاً - التعريفَ

---

(١) تفسير البحر المحيط: ١/ ١٧٠.

(٢) تفسير الكشّاف:١/ ٨٦، وتفسير الرازي: ٢/ ٣٢.

(٣) تفسير الرازي: ٢/ ٣٢.

(٤) تفسير البيضاوي: ١/ ١٣٤.

*ملحوظة: ذكر الرازيُّ وغيرُه:" أنَّ هذه الآياتِ يتمسَّكُ الوعيديَّةُ بها من وجهٍ، والمرجئةُ من وجهٍ آخر. أما الوعيديةُ فأن قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يقتضي الحصر، فوجب فيمن أخَلَّ بالصَّلاة والزكاة أن لا يكون مفلحا، وذلك يوجبُ القطعَ على وعيدِ تاركِ الصلاة والزكاة.. والجواب بأنَّ المرادَ بالمفلحين =

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

بالجُملةِ الاسميَّةِ، وممَّا لا شكَّ فيه أن تعريفَ طرفي الجُمْلَةِ دالٌّ على الحصر.

وهكذا نرى أنّ هذه الآيةَ - على إيجازِ لفظِها - قد اشتملت على كثيرٍ من الخصائصِ البلاغيَّةِ، الدّالَّةِ على إعجازِ وعظمةِ هذا الكتابِ العزيزِ، وقدرتِه الباهرةِ على التعبيرِ عن المقصودِ، في أوضحِ بيانٍ وأوجزِ عبارة، وما أجملَ ما خَتَمَ به الزمخشريُّ هذا المبحثَ حيثُ يقولُ: "فانظرْ كيفَ كرَّر اللهُ التنبيهَ على اختصاصِ المتَّقينَ بنيلِ ما لا ينالُه أحدٌ على طُرُقٍ شَتَّى، وهي: ذكرُ اسمِ الإشارةِ، وتكريرُه، وتعريفُ المفلحين، وتوسيطُ ضميرِ الفَصْلِ بينه وبين أولئك، لِيُبَصِّرُكَ مَرْتَبَاتِهم، ويُرَغِّبُكَ في طلبِ ما طلبوا، ويُنَشِّطُكَ لتقديمِ ما قَدَّموا، ويُثَبِّطُك عن الطَّمعِ الفارغِ، والرَّجاءِ الكاذبِ، والتمنِّي على الله ما لا تقتضيه حكمتُه ولم تَسْبِقْ به كلمتُه "[1]، وربَّما يكونُ في قولِ الزمخشري: ".. لِيبصرُك مرتبَاتِهم. "إشارةٌ لما يراه المؤلفُ وغيره من المفسرين، من أن تعريفَ اسمَ الإشارةِ جاءَ للعنايةِ بهم وبيانِ عُلوِّ مرتبتِهم، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[2] يقولُ المؤلف: "الإشارة إلى ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[3] وجاءت بلفظِ الإشارةِ للبعيدِ؛ للدَّلالَةِ على عُلُوِّ مَرْتَبَتِهم، ومنزلَتِهم، ومَقَامِهم"[4]، وقد أشار إلى ذلك أبو حيَّان بقوله: " ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ، اسمُ الإشارةِ

= الكاملون في الفلاح، ويلزمه عدمُ كمالِ الفلاحِ لمن ليس على صفتِهم، لا عدمُ الفلاحِ له رأساً.

وأمَّا المرجئةُ: فقد احتجوا بأن الله حكمَ بالفلاحِ على الموصوفين بالصفاتِ المذكورةِ في هذه الآيةِ فوجبَ أن يكونَ الموصوفُ بهذه الأشياءِ مفلحاً وإن زنى وسرق وشرب الخمر، والجواب عن هذا: أن وصفَهم بالتقوى يكفي في نيلِ الثواب؛ لأنه يتضمنُ اتِّقاء المعاصي واتِّقاءَ تركِ الواجبات والله أعلم. يُنظر: تفسير الرازي: ٢/ ٣٣ وتفسير البيضاوي: ١/ ١٣٤.

(١) تفسير الكشاف: ١/ ٨٦.

(٢) البقرة: ١٥٧ .

(٣) البقرة: ١٥٦ .

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٨٢ .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الموضوعُ للبُعْدِ دَلَالَةً على بُعْدِ هـذه الرُّتْبَـةِ، كـما جـاءَ في: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[1]"[2]، ويرى ابنُ عاشور أنَّ الإتيانَ باسمِ الإشارةِ في هذه الآيةِ، هو - كذلك - مثلُ مَجِيْئِه في قولِه تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ - كما تقدَّم - وذلك للتَّنْبيه على أنَّ المشارَ إليه هو ذلك الموصوفُ بجميعِ الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ على اسمِ الإشارةِ، وأنَّ الحُكْمَ الذي يَرِدُ بعدَ اسمِ الإشارةِ مترتِّبٌ على تلك الأوصافِ، وهذا بيانٌ لجزاءِ صبرِهم[3]، والذي يتوجّه - والعلم عند الله - أن التعريفَ بالإشارةِ في هذه الآيةِ يحتملُ جميعَ ما تقدَّم، والآيةُ تتَّسِعُ لذلك ومثلِه، ويُلاحَظُ أنَّ اسمَ الإشارةِ قد تكرَّر - أيضاً - في هذه الآيةِ، وقد عزا الألوسيُّ ذلك إلى أنَّه لإظهارِ كمالِ العنايةِ بهم[4].

ومن اللَّطائفِ التي يَحْسُنُ الوقوفُ معها في هذه الآيةِ: الإتيانُ بحرفِ الجرِّ (على) دونَ غيرِه كاللاَّمِ ونحوِه، فلم يَقُلْ (لهم صلواتٌ) وإنَّما جاءَ التَّعْبِيرُ بـ(عليهم) وذلك إشارةً إلى أنَّهم مُنْغَمِسون في ذلك، قد غشيتهم وتجلَّلتهم، وهو أبلغُ من لو قيل "لهم"[5].

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾[6]، يقول المؤلفُ: "وأتى ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ بالدالِّ على البُعْدِ مع قُرْبِ ذِكْرِهم فلَمْ يَقُلْ: (هؤلاء) بل قال: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ تعظيماً لشأنِهم وبياناً لعُلُوِّ مَرْتَبَتِهم، والإشارةُ بالبعيد تأتي لتَعْلِيَةِ الشَّأْنِ وتعظيمِه، كما قال الفرزدقُ يُخَاطِبُ جريراً:

أولئِـكَ آبـائِي فَجِئْنِـي بِمِـثْلِهِم ... إذا جَمَعَتْنَـا يـا جريـرُ المَجَـامِعُ

---

(١) البقرة: ٥.

(٢) تفسير البحر المحيط: ١/ ٦٢٥.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٥٦.

(٤) تفسير روح المعاني: ٢/ ٢٤.

(٥) تفسير البحر المحيط: ١/ ٦٢٥، وتفسير روح المعاني: ٢/ ٢٤.

(٦) الصافات: ٤٠ - ٤١.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

قال: (أولئك آبائي) أشارَ إليهم بإشارةِ البعيد، تعظيماً لشأنِهم وتَعْلِيةً لهم"[1].

ونجدُ الألوسيَّ يتَلَمَّسُ السرَّ ذاتَه حيثُ يقول: " ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أي: العبادُ المذكورون، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم ممتازون بما اتَّصَفُوا به من الإخلاصِ في عبادتِه تعالى عمَّن عداهم امتيازاً بالغاً، وما فيه من معنى البُعد مع قُرْبِ العَهْدِ بالمُشَارِ إليه؛ للإشعارِ بِعُلُوِّ طَبَقَتِهم وبُعْدِ مَنْزِلَتِهم في الفضل"[2]، ونجدُ ابنَ عاشور، يعزو ذلكَ إلى قَصْدِ التَّنْبيه على أنَّهم اسْتَحَقُّوا ما بَعْدَ اسمِ الإشارةِ؛ لأجْلِ مما أثبتَ لهم من صِفَةِ الإخلاصِ، كما ذلك من مُقْتَضَيَاتِ تَعْرِيفِ المُسْنَدِ إليه بالإِشَارَة[3]، وهو ذاتُ المُقْتَضَى، الذي عَزا إليه التَّعْرِيفَ بالإشارةِ، في الآياتِ السَّابِقة.

وحولَ ورودِ (المخلَصين) بالفَتْحِ يقولُ الرَّازيُّ مبيناً الفَرْقَ بينَ كَسْرِ اللَّامِ وفَتْحِها: "ذكرنا في فَتْحِ اللَّامِ وكَسْرِها من (المخلصين) قراءتين فـ (الفَتْح) أنَّ الله تعالى أَخْلَصَهُم بِلُطْفِه، واصطفاهم بِفَضْلِه، و(الكسر) هو أنَّهم أَخْلَصُوا الطَّاعَةَ لله تعالى"[4].

ومما يَجْدُرُ بنا الوقوفُ معه – هنا – استشهادُ المُؤَلِّفِ بقولِ الفرزدقِ يخاطِبُ جريراً، وقوله: (أولئك آبائي) أشارَ إليهم بإشارةِ البعيدِ، تعظيماً لشأنِهم وتَعْلِيةً لهم"؛ فإن مُعْظَمَ البلاغيينَ يوردونَ هذا البيتَ في مواضع تعريفِ المسندِ إليه للتَّعريضِ بغباوة السّامع[5]؛ يقول الميدانيُّ: "وقد مثَّلوا لهذا الدّاعي – أي إرادة التعريض بغباوة السامع – ببيتِ الفرزدقِ وأرى أنّه من قبيلِ الدّاعي الرَّابع"[6] والدّاعي الرابعُ عنده

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة الصافات: ص:٩٤.

(٢) تفسير روح المعاني: ٢٣/ ٨٥.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٣/ ٣٠.

(٤) تفسير الرازي: ٢٦ / ١١٩.

(٥) يُنظر – على سبيل المثال – الإيضاح مع البغية: ١/ ٦٨ .

(٦) البلاغة العربية للميداني: ١/ ٤٢٢.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

هو: إرادةُ تكريمِ المُتَحَدَّثِ عنه والتَّعبيرُ عن ارتفاعِ منزلتِه[(١)]، غَيْرَ أَنَّنا نجِدُ الشيخَ أبا موسى يُقَرِّرُ قاعدةً مُهِمَّةً في هذا السِّياقِ فيقولُ: "إنَّ معنى البُعْدِ والقُرْبِ الكامِنِ في أسماءِ الإشارةِ معنىً طَيِّعٌ خاضِعٌ لسياقِ الكلامِ، ما دامَ الذي يَصُوغُ الأُسْلُوبَ من ذوي البَصَرِ في رياضَةِ التَّراكِيْبِ، نَجِدُ البُعْدَ يُعْطِي ألواناً مُتَعَدِّدَةً وكذلكَ القُرب... وتَجِدُ مِثْلَه كثيرًا، فالفرزدقُ حينما يخاطِبُ جريرًا بقوله:

أولئِكَ آبائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِم إذا جَمَعَتْنَا يا جريرُ المَجَامِعُ

نجدُ البُعْدَ في المُسْنَدِ إليه مُشيرًا إلى بُعْدِ منزلتِهم، من أن يَتَطاولَ مِثْلُ جريرٍ، فيأتي بمثلِهم "[(٢)].

وعلى ذلكَ فيكونُ استشهادُ المُؤَلِّفِ بالبيتِ، استشهاداً في مَحَلِّه، والله أعلم.

٢- التحقيرُ وانحطاطُ المرتبة:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾[(٣)] يقول المؤلف: " (أولاء) اسمُ إشارة؛ والمشارُ إليهم المنافقون؛ وجاءَت الإشارةُ بصيغةِ البُعد لبُعد منزلةِ المنافقِ سُفُولاً.. "[(٤)].

ويقولُ الألوسيُّ بعبارةٍ أكثرُ وضوحاً: "ولبُعْدِ منزلتِهم في الشَّرِّ وسُوءِ الحالِ أشارَ إليهم بما يَدُلُّ على البُعْدِ، والكلامُ هنا يُمْكِنُ أن يكونَ واقعاً مَوْقِعَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾[(5)]، فإن السَّامِعَ بعد سَماعِ ذكرِهم، وإجراءِ تلك الأوصافِ عليهم، كأنَّه يسألُ مِنْ أينَ دَخَلَت على هؤلاءِ هذه الهيئات؟ فيُجاب بأنَّ أولئك المُسْتَبْعَدِين إنَّما جَسَرُوا

---

(١) البلاغة العربية للميداني: ١/ ٤٢٣.

(٢) خصائص التراكيب: ٢٣٩.

(٣) البقرة: ١٦.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة:١ / ٦٠.

(٥) البقرة: ٥

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

عليها؛ لأنَّهم اشتروا الضَّلالَة بالهُدى حتى خَسِرَت صفقتُهم، وفَقَدوا الاهتداءَ للطَّرِيق المُسْتَقيمِ ووقعوا في تِيْهِ الحَيْرَةِ والضَّلال"[1].

وهذا يَتَأَتَّى إذا كانَ اسمُ الإشارةِ عائداً إلى ذواتِ المُنافِقين كما هو رأيُ المؤلفِ وكما هو رأيُ أكثرِ المفسرين أيضا[2]، ولكنْ يرى ابنُ عاشورَ أنَّ اسمَ الإشارةِ هنا غيرُ مُشَارٍ به إلى ذواتٍ؛ ولكنْ إلى صِنْفٍ اجتمعت فيهم الصِّفَاتُ الماضيةُ، فانكشَفَتْ أحوالُهم حتىَّ صاروا كالحاضرينَ تُجَاه السَّامع[3]؛ ومِنْ ثَمَّ ردّ - ابنُ عاشور - على القائِلين بأنَّ التَّعْبِيرَ باسمِ الإشارةِ - في هذه الآية - دالٌّ على تحقيرٍ أو بُعْدِ مَنْزِلةٍ، فقال: "وليس في هذه الإشارةِ إشعارٌ بِبُعْدٍ أو قُرْبٍ؛ حتَّى تُفِيدَ تحقيراً ناشِئاً عن البُعْدِ؛ لأنَّ هذا من أسماءِ الإشارةِ الغالبةِ في كلامِ العربِ؛ فلا عُدُول فيها حتَّى يكونَ العُدُولُ لِقَصْدٍ كما تَقَدَّم في قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[4]؛ ولأنَّ المُشَارَ إليه هُنَا غيرُ مَحْسُوسٍ حتَّى يكونَ له مَرْتَبَةٌ مُعَيَّنَةٌ، فيكونُ العدولُ عن لفظِها لِقَصْدِ معنىً ثانٍ فإنَّ قولَه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ مع قُرْبِ الكتابِ للنَّاطِقِ بآياتِه، عدولٌ عن إشارةِ القريبِ إلى البعيدِ فأفادَ التعظيم، وعكسُ هذا قولُ قَيْسِ بنِ الخَطِيم:

متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حاجةً ... لِنَفْسِيَ إلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَها

فإنَّ الموتَ بعيدٌ عنه؛ فَحَقُّهُ أن يُشِيرَ إليه باسمِ البعيدِ، وعَدَلَ عنه إلى إشارةِ القريبِ لإظهارِ استخفافِه به"[5]، وللنورسيِّ كلامٌ يَحْسُنُ إيرادُه في هذا السِّياق، حيثُ يقول: " فلفظ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ موضوعٌ لإحضارِ المحسوسِ البعيدِ: أما الإحضارُ فإشارةٌ إلى

---

(١) تفسير الألوسي: ١/ ١٦٠.

(٢) قال الألوسيُّ: " وما ذكرناه من أن ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارةٌ إلى المنافقين هو الذي ذهبَ إليه أكثرُ المُفسرين والمرويُّ عن مجاهد، وهو الذي يقتضيه النَّظمُ الكريمُ وبه أقول. تفسير الألوسي: ١/ ١٦١.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٩٣.

(٤) البقرة: ٢

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٩٣.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

أنَّ مِنْ شأن كلِّ سامعٍ إذا سَمِعَ تلك الجناياتِ المذكورةَ؛ أنْ يَحْصُلَ شيئاً فشيئاً في قلبِه نُفْرَةٌ، وغَيْظٌ، يَتَشَدَّدُ تدريجاً، بحيثُ يريدُ أن يراهم ليَتَشَفَّى الغيظَ منهم، ويقابلُهم بالنُّفْرَةِ والتَّحْقِيرِ.. وأما المحسُوسِيَّةُ فَرَمْزٌ إلى أنَّ الاتِّصَافَ بهذه الأوصافِ العجيبةِ، يُجَسِّمُهم في الذِّهْنِ؛ حتى صاروا محسوسينَ نُصْبَ الخَيَال، ومن المحسوسيةِ رمزٌ إلى عِلَّةِ الحُكْمِ بِسِرِّ انجرارِ المعصيةِ إلى المعصيةِ.. وأمَّا البُعْدِيَّةُ فإشارةٌ إلى شِدَّةِ بُعْدِهم عن الطَّريق الحَقِّ، ذهبوا إلى حيثُ لا يرجعون، فالذَّهابُ في أَيْدِيهِم دُونَ الإِيَاب"[1].

والذي يترجَّحُ لي - والعلمُ عند الله - أنَّ الصوابَ هو ما ذهبَ إليه المؤلِّفُ وأكثرُ المفسِّرين، مِن أنَّ المقصودَ ذواتُ المنافقينَ، وأنَّ الغرضَ هو الإشارةُ إلى تحقيرِهم، وانحطاطِ منزلتِهم وبُعْدِها؛ وذلك تَمَشِّياً مع القولِ الأكثَرِ، ووقوفاً عندَ ظاهرِ الآيةِ وسياقاتِها، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾[2] يقولُ المُؤَلِّفُ: "والإشارةُ للبعيدِ لبُعْدِ مَرْتَبَتِهم، وانحطاطِها، والتَّنْفِيرِ منها"[3].

ويرى ابنُ عاشور أنَّه إنَّما جيء باسمِ الإشارةِ لإشهارِهم؛ لئلاَّ يَخْفَى أمرُهم على النَّاسِ، وللتَّنْبيه على أنَّ ما يُخْبَر به عن اسمِ الإشارةِ استحقُّوه بسببِ ما ذُكِر قبلَ اسمِ الإشارةِ، كما تقدَّم في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾[4]"[5].

والذي يبدو لي -والعلمُ عند الله- أنّ الآيةَ تحتملُ كلا الوجهين، فيكون

---

(١) إشارات الإعجاز: ١١٤.

(٢) البقرة: ١٧٤.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٢٦١.

(٤) البقرة: ٥

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٢٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١:٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الغرضُ الإشهارَ بهم، وتحقيرَهم، والحطَّ من شأنِهم[(١)].

ومن بابِ إثراءِ النَّصِّ القُرآني، الذي لا يَنْضُبُ مَعِينُه، فإنَّ للعلماءِ في سِرِّ التَّعْبِيْرِ بقولِه تعالى: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، تأويلاتٍ، ولَمَسَاتٍ بيانيةٍ، تزيدُ المعنى رونقا وجمالاً، وسأكتفي - هنا - بما ذكرَه أبو حيَّان، كونُه - من وجهة نظري - أجمعَ الأقوال وأقربَها، إذ يقول: "وأكثرُ العلماءِ على تأويلِ قولِه: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ على معنى: أنَّهم يُجازَونَ على ما اقترفوه من كَتْمِ ما أنزلَ اللهُ، والاشتراءِ به الثَّمَنَ القليلَ، بالنَّارِ، وأنَّ ما اكتسبوه بهذه الأوصافِ الذَّمِيمةِ مآله إلى النار، وعبَّر بـ(الأكل)؛ لأنَّه أعظمُ منافعِ ما تُصْرَفُ فيه الأموالُ، وذَكَرَ (في بطونهم)، أما على سبيلِ التوكيدِ، إذ معلومٌ أنَّ الأكلَ لا يكونُ إلا في البطنِ، فصارَ نظيرَ: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[(٢)]، أو كنايةً عن مَلْءِ البَطْنِ؛ لأنَّه يُقَال: فلانٌ أَكَلَ في بطنِه، وفلانٌ أَكَلَ في بعضِ بطنِه، أو لِرَفْعِ تَوَهُّمِ المجازِ، إذْ يُقَال: أَكَلَ فلانٌ مالَه إذا بَذَرَه، وإنْ لم يَأْكُلْه، وجَعَلَ المأكولَ النار تسميةً له بما يؤولُ إليه؛ لأنَّه سَبَبُ النَّار، وذلكَ كما يقولون: (أكل فلانٌ الدَّمَ)، يريدون الدِّيَةَ؛ لأنَّها بَدَلٌ مِنَ الدَّم، قال الشاعر:

أَكَلْتُ دماً إنْ لم أَرُعْكَ بِضَرْبَةٍ بَعِيْدَةِ مَهْوى القُرْطِ طَيِّبَةُ النَّشْرِ"[(٣)]

وعند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾[(٤)]، يقول المؤلف: "﴿أُولَٰئِكَ﴾: أي المشارُ إليهم، وهم الَّذِين كَفَروا بعد إيمانِهم، وشَهِدوا أنَّ الرَّسولَ حقٌّ، وجاءهم البَيِّنَاتُ، وأتى بصيغةِ الإشارةِ على وجْهِ البُعْدِ إشارةً إلى انحطاطِ مرتبتِهم؛ لأنَّ الإشارةَ إلى القريبِ

(١) وقد تقدّمت قاعدة الشيخ أبي موسى قريبا.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) تفسير البحر المحيط: ١/ ٦٦٧.

(٤) آل عمران: ٨٧

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

بصيغةِ البُعْدِ قد تكونُ إشارةً إلى عُلُوِّ المرتبةِ، وهنا إشارةٌ إلى انحطاطِ مرتبتِهم، فهم لانحطاطِ مرتبتِهم بعيدون، يشارُ إليهم إشارةَ البُعْد"[١]، ويرى ابنُ عاشور أنَّ الإشارةَ للتَّنْبيه على أنهَّم أحْرِياءُ بما يَردُ بعدَ اسمِ الإشارةِ من الحُكمِ عليهم[٢] كما هو رأيُه في الآياتِ السابقة، والذي يبدو لي أنَّه لاتعارضَ بين القولينِ، والله أعلم.

ولعلي أن أشيرَ -في هذا السياق- إلى سرِّ التعريف بـ(أل) في (النَّاس)، فاللَّعنةُ من الله معلومٌ أنَّها الطَّرْدُ والإبعادُ، ومِنَ الملائِكَةِ بالقولِ[٣]، ولكنْ كيفَ تكونُ مِنَ النَّاسِ ومِنْهُم المؤمنُ والكافرُ، ومِنْهُم مَنْ يُوافِقُه أيضاً؟! خصوصاً وقد أُكِّدَت بالمؤَكِّد المعنوي ﴿أَجْمَعِينَ﴾؛ فرُبَّما يتبادرُ إلى الأذهانِ أنَّ (أل) للاستغراقِ فتشملُ كلَّ النَّاس! وقد وجَّه الفَخْرُ الرَّازِيُّ ذلك بأنَّ جميعَ الخَلْقِ يَلعنونَ المُبْطِلَ والكافرَ، ولكنَّه يعتقدُ في نفسِه أنَّه ليس بِمُبْطِلٍ ولا بكافِرٍ، فإذا لَعَنَ الكافرُ وكانَ هو في علمِ الله كافراً، فقد لَعَنَ نفسَه وإنْ كانَ لا يعلمُ ذلك"[٤].

والذي يبدو لي أنَّ (أل) ليست للاستغراقِ، بل هي للمعهودِ الذِّهني، وأنَّ المرادَ بـ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ (المؤمنون)، وقد نَقَلَ الرَّازِيُّ عن بعضِهم أنَّه قال: "وكأنَّ النَّاسَ هم المؤمنون، والكفَّارَ ليسوا من الناسِ، ثم لما ذَكَرَ لَعْنَ الثَّلاثِ قال: ﴿أَجْمَعِينَ﴾[٥]، فيكونُ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ غيرَ مُخْتَصٍّ بتوكيدِ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ وإنَّما لجميعِ اللَّاعنين في الآية، وقد ورد في الذِّكْرِ الحكيمِ ما يشبهُ ذلك، كما في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[٦]، والمقصودُ

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ١ / ٥٠٥.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٣/ ١٤٨.

(٣) تفسير الرازي: ٨/ ١١٣.

(٤) تفسير الرازي: ٨/ ١١٣.

(٥) تفسير الرازي: ٨/ ١١٣.

(٦) آل عمران: ١٧٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

بـ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ - هنا- كفارُ قريشٍ، أي إنَّ قُريشاً قد جمعوا لكم، لاسيما وقد رجّح بعض المفسرين أن الآية مستأنفة[1]، كما أن لفظ (النّاس) من ألفاظِ الجَمْعِ، التي قد تُطْلَق ويُرادُ بها الواحدُ، قال ابنُ عاشور مُعَلِّقاً على آيةِ قريشٍ السابقةِ: "وقال بعضُ المُفسّرين وأهلِ العربيةِ: إنّ لفظَ ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ هُنا أُطْلِقَ على نُعيم بنِ مسعودٍ، وأبي سفيانَ، وجعلوه شاهداً على استعمالِ النَّاسِ بمعنى الواحدِ، والآيةُ تحتملُه، وإطلاقُ لفظِ (النّاسِ) مراداً به واحدٌ أو نحوه؛ مُستعملٌ لقصدِ الإبهامِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2] قال المفسّرون: يَعْنِي بـ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[3].

ثانيا: التعريف بأل:

هذا البحثُ، بحثٌ لطيفٌ يعينُ المُتكلِّمَ البليغَ على اختيارِ كلامِه؛ للدَّلالةِ على معنىً يقصِدُه بأوضحِ عبارةٍ، وأحسنِ صورة، وكلّما كان المتكلِّمُ أكثرَ إحساساً بفروق المعاني، وأكثرَ تذوقاً بفروقِ العناصر الجماليَّةِ في الكلام، وأكثرَ إدراكاً لمطابقةِ الكلام لمقتضى الحالِ، كانَ أحسنَ اختياراً من البدائِلِ التي يصلحُ كلٌّ منها لإداء أصل المعنى المقصودِ بوجهٍ عامٍ؛ وبسبب ذلك تتفاوتُ مراتبُ الكلامِ البليغِ، ودرجاتِ كلِّ مرتبةٍ منها، وتتفاضلُ مراتبُ البُلغاءِ، ودرجاتِهم في إنشاء الكلامِ البليغِ والإبداعِ فيه، والاسمُ المعرّفُ بـ(أل) تدخلُ عليه أداةُ التَّعريف هذه؛ فتدُلُّ على مَعَانٍ متعدّدة، تختلفُ باختلافِ المُرادِ منها، الذي تكشفُه القرائنُ اللَّفْظِيَّةِ أو غيرِ اللَّفْظِيَّةِ، وقد أحْصَى النُّحاةُ وتَبِعَهُم البلاغيون المعانيَ التي يُمْكنُ أن تُسْتَفَادَ من هذِه الأداةِ مِنْ أدواتِ التَّعريف[4].

وقد اختلفَ النُّحاةُ، هل المعرِّفُ هو (أل) أو (اللَّام) فقال الخليلُ: المعرِّف هو

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٢٨٥.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٢٨٥.

(٤) يُنظر: البلاغة العربية للميداني: ١/ ٤٣٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(أل) وقال سيبويهِ: هو (اللَّام) وحدَها؛ فالهمزةُ عندَ الخليلِ همزةُ قَطْعٍ، وعند سيبويهِ همزةُ وصلٍ اجْتُلِبَتْ للنُّطْقِ بالسَّاكِنِ[1]، ولذلك يقولُ ابنُ مالكٍ في الألفيَّة:

(أَلْ) حَرْفُ تَعْرِيْفٍ أَوِ (اللَّامُ) فَقَطْ   فَنَمَطٌ عَرَفْتَ قُلْ فِيْهِ النَّمَطْ[2]

ثم إنَّ لاختلافِ صِيَغِ التَّعريف بـ(أل) والتَّنْكِيرِ دلالاتٌ لَمْ تُعْنَ بها كتبُ النَّحْوِ، بل اكْتَفَتْ بالإشارةِ إلى أنواعِ (أل) ولَخَّصَتِ القَوْلَ فيها إلى حَدٍّ يُؤدِّي إلى الارتباكِ في فَهْمِها[3]؛ ولذلك نَجِدُها مبسوطةً في كُتُبِ البلاغةِ وفي مُقَدَّمِتِها (دلائل الإعجاز) لعبدِ القاهرِ الجرجاني[4].

ويُقَسِّمُ العلماءُ (أل) إلى قسمينِ: فهي إمَّا للعَهْدِ، وإما للجنسِ.

أمّا العهدية: فهي ثلاثة أنواعٍ:عهدٌ ذِكْرِيّ، وعهدٌ ذهنيٌّ، وعهدٌ حضوريٌّ.

وأما التي للجنسِ -وقد تُسمَّى عند البلاغيين (أل) الحقيقة- فهي ثلاثةُ أنواعٍ أيضاً: التي لبيانِ الحقيقةِ والماهيَّةِ، والتي لاستغراقِ أفرادِ الجنْسِ كلِّهم حقيقةً أَوْ عرفاً، والتي لاستغراقِ صفاتِ الجنْسِ مجازاً على سبيلِ المبالغة[5].

والمؤلفُ لم يُهْمِلْ هذا التَّقْسِيمَ، فقد تكلَّم على أنواعِها وأقسامِها؛ حيثُ يقولُ عند قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[6] " (والرسول)،

----

(١) شرح الألفيَّة لابن عقيل: ١/ ١٧٧.

(٢) ألفيَّة ابن مالك: البيت رقم: ١٠٦.

(٣) علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبيَّة المُحدَثين، د. طالب محمد إسماعيل الزَّوبعي، منشورات جامعة قاز يونس بنغازي، الطبعة الأولى: ١٩٩٧ م، ص ١٥٤.

(٤) يُنظر: علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبيَّة المُحدِّثين: ص ١٥٤.

(٥) يُنظر كتب البلاغة – على سبيل المثال – الإيضاح مع البغية: ١/ ٧١، البلاغة العربية للميداني: ١/ ٤٣٧ فما بعدها.

(٦) آل عمران: ١٣٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

(أل) فيه للعهد؛ لأنَّ هذا الخطابَ موجَّه لهذه الأُمَّةِ، وهذه الأُمَّة رسولُها واحدٌ وهو محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فتكون (أل) – هنا – للعهدِ الذِّهْنِي؛ وذلك أنَّ العهدَ ثلاثةُ أنواعٍ: (ذهني، وذكري، وحضوري)، فإنْ كانت (أل) تُشِيرُ إلى شيءٍ مذكورٍ فهي للعهدِ الذِّكْرِي مثل قولِه تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾(١) وإنْ كانت تشيرُ إلى شيءٍ حاضرٍ؛ فهي للعهدِ الحُضُوريِّ مثل قوله تعال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٢) وهكذا كلُّ (أل) تأتي بعدَ اسمِ الإشارةِ؛ فهي للعهدِ الحضوريِّ مثل: (هذا الرجلُ)، (هذا الإنسانُ) وما أشبهه، والثالثُ العهدُ الذِّهْنِيِّ الذي يكونُ معلوماً بالذِّهْنِ، فهنا الرسولُ هو محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو معهودٌ ذهناً"(٣).

وقال في موضعٍ آخر: "وقسيمةُ (أل) العهديَّةِ هي (أل) الجنسية و(أل) الجنسيّة تكونُ لبيانِ الحقيقةِ، ولبيانِ استغراقِ الحقيقةِ؛ فإذا قلت: (الرجالُ أكملُ من النساء) فهذه لبيانِ الحقيقةِ (الجنس)؛أي:جنسُ الرجالِ أفضلُ من جنسِ النِّساء، ولا يعني أنَّ كلَّ واحدٍ من الرِّجالِ أكملُ من كلِّ امرأةٍ من النِّساءِ، ففي النساءِ من هي خيرٌ من كثيرٍ من الرِّجال، وتكونُ للعموم(٤) مثل قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾(٥) يعني كلّ إنسانٍ، وهذه علامتُها أن يَحُلَّ محلَّها (كلّ) بتشديد اللام"(٦).

وقد توقَّفَ المؤلفُ عندَ كثيرٍ من الآياتِ التي تندرجُ تحتَ هذا البحثِ؛ ومن ذلك ماذكره عند قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾(٧)، حيثُ يقولُ: "و(أل)

---

(١) المزّمل: ١٥ – ١٦.

(٢) المائدة: ٣

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ٢ / ١٦٣ فما بعدها. وينظر أيضاً: ١/ ٥٠٣. من السورة نفسها.

(٤) أي: الاستغراق.

(٥) العصر: ٢.

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ١/ ٥٠٤.

(٧) الفاتحة: ١.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ للاستغراق أي: استغراقُ جميعِ المحامد"[1].

وقد أنكرَ الزمخشريُّ كونَها للاستغراقِ، وجَعَلَ ذلكَ وهماً من قائِليه[2]، وتَبِعَه في ذلك ابنُ عاشورٍ وذَكَرَ تعليلاتٍ يطولُ ذِكْرُها، وخُلاصةُ ما قال: "فلا يُفِيدُ هذا التعريفُ - أعني تعريفَ الجنس - إلا توكيدَ اللَّفظِ، وتقريرَه، وإيضاحَه للسَّامع.....وليسَتْ لامُ التَّعريفِ هنا للاستغراقِ؛ لِمَا عَلِمْتَ أنَّها لامُ الجنسِ؛ ولذلك قال صاحبُ الكشاف: "والاستغراقُ الَّذي تَوَهَّمَه كثيرٌ من النَّاسِ وَهْمٌ مِنْهُم"، والتَّعريفُ فيه بالألفِ واللَّامِ تعريفُ الجِنْس"[3] إلَّا أنَّه خالفَ الزمخشريَّ فأثبتَ الاستغراقَ بالمثال حيث يقول:"غيرَ أنَّ معنى الاستغراقِ حاصلٌ هنا بالمثالِ؛ لأنَّ الحُكْمَ باختصاصِ جنسِ الحمدِ به تعالى؛ لوجودِ لامِ تعريفِ الجنسِ في قولِه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ ولامِ الاختصاصِ في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ يستلزمُ انحصارَ أفرادِ الحمدِ في التَّعَلُّقِ باسمِ اللهِ تعالى؛ لأنَّه إذا اختَصّ الجنسُ اختصت الأفراد"[4].

وقد عاب كثيرٌ من المفسرين على الزمخشريِّ كلامَه هذا فقالوا: "إنَّ ذلك منه نزعةً اعتزاليَّةً، بناءً على أنَّ العبدَ مُوْجِدٌ لأفعالِه بالاستقلالِ، فيَسْتَحِقُّ بذلك بعضَ الحمدِ، فلا يكونُ كلُّ الحَمْدِ لله[5]، وحاولَ ابنُ عادل أن يُوجِّهَ كلامَ الزمخشريِّ فقال: "ومنعَ الزمخشريُّ كونَها للاستغراقِ ، ولم يُبَيِّنْ وجهةَ ذلك ، ويشبهُ أن يُقالَ: إنَّ المطلوبَ من العبدِ إنشاءُ الحَمْدِ، لا الإخبارُ به؛ وحينئذٍ يَسْتَحيلُ كونُها للاستغراقِ، إذْ

---

(١) تفسير ابن عثيمين، الفاتحة والبقرة: ١/ ٩.

(٢) تفسير الكشاف: ١/ ٥٣.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١٥٨.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١٥٨.

(٥) يُنظر: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين (٣) رسائل دكتوراة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م: ١/ ١٧٣ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

لا يمكنُ للعبدِ أن ينشىءَ جميعَ المَحَامِدِ منه ومن غيرِه، بخلاف كونِها للجِنسِ"[1].

وقال أبوحيّانَ: "والحمدُ مَصْدَرٌ مُعَرَّفٌ بـ(أل) إمَّا للعهدِ أي: الحمدُ المعروفُ بينكم لله، أو لتعريفِ الماهيَّةِ كـ(الدِّينارُ خيرٌ من الدِّرهم) أي: أيُّ دينارٍ كان؛ فهو خيرٌ من أيِّ درهمٍ كان؛ فيستلزمُ إذْ ذاكَ الأَحْمِدَةَ[2] كلَّها، أو لتعريفِ الجنسِ فيدلُّ على استغراقِ الأَحْمِدَةِ كلِّها بالمُطَابَقَة"[3].

وعلى القولِ بأنَّها للعهدِ فإنَّه حينئذٍ عهدٌ ذهنيٌّ أي: الحمدُ المعروفُ بينكم.

والذي يبدو لي أنَّ التعريفَ في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ للاستغراقِ- كما هو رأيُ المؤلف - وذلك لأمرين:

أولاً: للحديثِ الذي استدلَّ به ابنُ كثرٍ في سياقِ قولِه: "الألفُ واللَّامُ في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ لاستغراقِ جميعِ أجناسِ الحمدِ، وصنوفِه لله تعالى، كما جاءَ في الحديث: "اللهم لكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ المُلْكُ كُلُّهُ، وبِيَدِكَ الخَيْرُ كُلُّهُ، وإِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّه"...الحديث"[4]، ففي الحديثِ عمومٌ، واستغراقٌ لجميعِ المحامدِ، وذلك بدليلِ لفظةِ (كلّ) الدَّالَّةِ على العُمُومِ.

ثانياً: لأنَّ ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ حقيقةٌ يقتضي المقامُ كونُها للاستغراقِ، قال السكاكيُّ: " ثُمَّ إنَّ الحقيقةَ لكونِها مِنْ حيثُ هِيَ هِيَ لا مُتَعَدِّدَةً؛ لتَحَقُّقِها مع التَّوحُّدِ، ولا مُتَعَدِّدَةً

---

(١) تفسير اللباب في علوم الكتاب: ١/ ١٧٠

(٢) فائدة:والأصلُ في " الحَمْدِ " المصدريّة؛ فلذلك لا يُثَنَّى، ولا يُجْمَعُ، قال ابنُ عادل: وحكى ابنُ الأَعرَابِيُّ جَمْعَهُ على " أَفْعُل "؛ وأنشد:

وَأَبْيَضَ مَحْمُودِ الثَّناءِ خَصَصْتُهُ بأَفْضَلِ أَقْوَالِي وَأَفْضَلِ أَحْمُدِي

اللباب في علوم الكتاب ١/ ١٧٠.

(٣) تفسير البحر المحيط: ١/ ١٣١.

(٤) تفسير ابن كثير: ١/ ٣٣.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

لتَحَقُّقِها مَعَ التَّكَثُّرِ، وإنْ كَانَتْ لا تَنْفَكُّ في الوجودِ عن أحدِهما، صالحةً للتَّوَحُّدِ والتَّكَثُّرِ؛ فيكونُ الحُكْمُ استغراقاً أو غيرَ استغراقٍ على مقتضى المقام"(١). والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(٢)؛ يقول المؤلف: " ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: للنَّاس عُموماً – المؤمنُ والكافر –؛ فإنَّ اللهَ تعالى بيَّنَ الحقَّ لعمومِ النَّاسِ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾(٣)؛ فكُلُّ النَّاس قد بَيَّنَ اللهُ لهم الحقَّ؛ لكنْ منهم من اهتدى؛ ومنهم من بَقِي على ضلالِه"(٤).

وهو يُشِير بقولِه (عموما) وقولِه (فكُلُّ النَّاس قد بَيَّنَ اللهُ لهم الحقَّ) إلى (أل) الاستغراقِيَّة؛ لأنَّه يرى أنَّ الآيةَ عامَّةٌ، وعلى ذلك جمعٌ من المفسرين(٥)، وعلى هذا فيكونُ التعريفُ للعمومِ، لكنْ ذَكَرَ المُفسِّرون أنَّ الآيةَ تعني علماءَ اليهود وأحبارَها، وعلماءَ النصارى، لكتمانِهم الناسَ أمرَ محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَرْكِهم اتِّبَاعَه، وهُمْ يجدونه مكتوبًا عندَهم في التَّوراةِ والإنجيل(٦)؛ وذلك يقتضي أن تكون (أل) في ﴿لِلنَّاسِ﴾ للاستغراقِ – كما يرى المؤلف – لكنَّه (استغراقٌ عرفيٌّ) أي: النَّاسُ المشَرَّعُ لهم(٧)، ويكونُ سرُّ التعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَكْتُمُونَ﴾ – كما يقول ابن عاشور – "للدَّلالةِ على أنَّهم في الحالِ كاتمون للبيِّنات والهُدى، ولو وقَعَ بلفظِ الماضي لتوَهَّمَ السَّامعُ أنَّ المَعْنِيَّ به قومٌ مَضَوا، مع أنَّ المقصودَ إقامةَ الحُجَّةِ على الحاضرين، ويُعْلَمُ حكمُ الماضِيْنَ

---

(١) مفتاح العلوم: **٩٣/١ .**

(٢) البقرة: ١٥٩.

(٣) فصلت: ١٧

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٨٩.

(٥) يُنظر: تفسير البحر المحيط: ١/ ٦٣٣، وتفسير القرطبي:٢/ ١٨٧.

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٢٤٩، ويُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٦٤.

(٧) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٦٦، ويُنظر: تفسير روح المعاني: ٢/ ٢٧.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

والآتِيْنَ بدَلالَةِ لَحْنِ الخِطَابِ لمساواتِهم في ذلك"[1].

ويقفُ المؤلِّفُ - أيضاً - مع نوعِ التَّعريفِ في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيقول:"المرادُ به جميعَ الكتب؛ فهو للجنس؛ فما من نَبيٍّ أرسلَه اللهُ إلاَّ ومَعَه كتابٌ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾[2]"[3]، ويقولُ في فوائدِ الآية ".. أن الكُتُبَ السَّماوِيَّةَ كُلَّها بيانٌ للنَّاس؛ لأنَّ قولَه تعالى: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ المرادُ به الجِنْس لا العهد؛ فالله تعالى بَيَّنَ الحقَّ في كلِّ كتابٍ أنزله؛ لم يَتْرُكِ الحقَّ غامضاً" [4].

وقد اختلفَ المفسرونَ في المرادِ بـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وذلك تبعاً لاختلافِهم في المقصودِ بالآية - كما تقدّم - قال أبو حيّان:" وفي المرادِ بـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا أقوال: أحدها: أنه التوراة، فيكونُ الكاتمون أحبارَ اليهودِ، كتموا صفةَ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغَيَّرُوها، وكتموا آياتٍ في التَّوراةِ، كآيةِ الرَّجْمِ[5] وشِبْهِ ذلك، وقيل: التوراةُ والإنجيلُ، ووحَّدَ اللَّفْظَ على المكتوبِ، ويكونُ الكاتمون اليهودَ والنصارى.....وقيل: الكتابُ: المكتوبُ، وهو أعمُّ من التوراةِ والإنجيلِ، فيتناولُ كلَّ من كَتَمَ ما أنزل اللهُ، مما يتعلقُ بالأحكامِ قديماً وحديثاً، وكلَّ كاتمٍ لحقٍّ وساترٍ لأمرٍ مشروع"[6].

والمؤلِّفُ يرى أنَّ (أل) - هنا - للعمومِ؛ وذلك على رأيه أن الآيةَ عامَّةٌ وليست مخصوصةً بعلماءِ اليهودِ والنَّصارى، وهو في ذلك موافِقٌ لبعضِ المُفَسِّرين وأنّ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ اسمُ جِنْسٍ، المرادُ بِهِ جميعُ الكتبِ المُنزلة[7].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٦٥.

(٢) الحديد: ٢٥.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٨٩

(٤) السابق، سورة البقرة: ٢/ ١٩٢.

(٥) يُنظر في إنكارهم آيةَ الرجم: صحيح البخاري (٣٦٣٥) ومسلم (٤٥٣٣) .

(٦) تفسير البحر المحيط: ١/ ٦٦٦.

(٧) تفسير القرطبي: ٢/ ١٨٨. ويُنظر: تفسير روح المعاني: ٢/ ٢٧.

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وقال أبو حيّان: " والأظهرُ عمومُ الآيةِ في الكاتمين، وفي الناسِ، وفي الكتاب"[1]؛ وعلى ذلك فتكون (أل) للاستغراقِ الحقيقي، وأما إذا كانَ المقصودُ بها (التوراة)[2]؛ فتكون (أل) للعهد الذّهني، والله أعلم.

وعندَ قولِه تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[3] يقولُ المؤلفُ: "وهل المرادُ بـ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ الجنس فيشملَ بعضَه؛ أو المرادُ به العموم، فيشملَ كُلَّه؟ قال بعضُ أهلِ العلم: إنَّ **(أل)** للعمومِ فيشملُ كلَّ القرآنِ؛ وهذا هو المشهورُ عندَ كثيرٍ من المُفَسِّرينَ المُتَأَخِّرينَ؛ وعلى هذا القَوْلِ يُشْكِلُ الواقعُ؛ لأنَّ الواقعَ أنَّ القرآنَ نزلَ في رمضانَ، وفي شَوَّالَ، وفي ذي القعدةِ، وفي ذي الحِجَّةِ وفي جميعِ الشُّهُورِ؛ ولكنْ أجابُوا عن ذلكَ بأنَّه روي عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ القُرآنَ نَزَلَ من اللَّوحِ المَحْفُوظِ إلى بيتِ العِزَّةِ في رمضان، وصارَ جبريلُ يأخذُه من هذا البيتِ، فينزلُ به على رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكنَّ هذا الأثرَ ضعيفٌ[4]؛ ولهذا فالصَّحِيحُ أن **(أل)** هنا للجنس؛ وليست للعمومِ؛

---

(١) تفسير البحر المحيط: ١/ ٦٣٣.

(٢) وهو الذي يراه الزمخشريُّ والبيضاوي، يُنظر: تفسير الكشّاف: ١/ ٢٣٥، وتفسير البيضاوي: ١/ ٤٣٣.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) وبناء على ضعف الأثر؛ فقد علّق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ على هذه المقولة، وقال: هذه المقالة مبنية على أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه هي مقالة الجهمية،والمعتزلة، ومن نحى نحوهم، وهذه المقالة الخاطئة، حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلمًا حقيقة. يُنظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي الديار السعودية سابقا، تحقيق: محمد عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة:الحكومة بمكة المكرمة: ١/ ٢٥.

والصحيح عند أهل السنّة والجماعة، أنّ للقرآن نزولان: الأول: من الله إلى بيت العزة جملةً واحدة، والثاني: من الله مباشرة إلى جبريل، يتكلم به سبحانه ويلقيه على جبريل منجّما على الأحداثِ والوقائع في

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وأنَّ معنى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ **أي**: ابْتُدِئَ فيه إنزالُه، كقولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾(١)، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾(٢) أي: ابتدَأْنَا إنزالَه"(٣).

وهذا هو الذي عليه أكثرُ المفسرين، وأنَّ المرادَ بإنزالِ القرآنِ ابتداءُ إنزالِه على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال ابنُ عاشور: "فعبَّرَ عن إنزالِ أولِه باسمِ جميعِه"(٤).

والذي يبدو لي - والعلم عند الله - أنَّ التعريفَ في هذا الموضعِ - لايفيدُ العمومَ والاستغراقَ، وإنَّما هو لتعريفِ الماهيَّةِ؛ كما تقول: (أَكَلْتُ اللَّحْمَ)، لا تريد استغراقَ الأفرادِ، إنما تريدُ تعريفَ الماهيَّة (٥).

ومن الأَلفاظِ التي أشارَ المؤلفُ إلى نوعِ التعريفِ فيها، في هذه الآيةِ: لفظةُ ﴿لِّلنَّاسِ﴾ حيثُ أشارَ إلى أنَّ التعريفَ فيها (للاستغراق) حيثُ يقول: "﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي: كلُّ الناسِ يهتدونَ به - المؤمن والكافر"(٦)؛ فيكونُ الاستغراقُ هنا - استغراقاً حقيقياً؛ إذ ما مِنْ شَكٍّ أنَّ القرآنَ هدىً لجميعِ النَّاسِ عربِهم، وعجمِهم، ومؤمنِهم، وكافرِهم، قال المؤلّفُ: "أي كلُّ النَّاسِ يهتدونَ به - المؤمن والكافر - الهدايةَ العلميَّة؛ أما الهدايةُ العَمَليَّةُ فإنَّه هدًى للمتَّقين، كما في أوَّلِ السُّورة؛ فهو للمتَّقِين هدايةٌ علميَّةٌ وعمليَّةٌ؛ وللنَّاسِ عُموماً هدايةٌ علميَّة"(٧).

= ثلاثٍ وعشرين سنة ، يُنظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الجراني، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: ١١/ ٢٠٥ فما بعدها .

(١) الدخان: ٣ .

(٢) القدر: ١ .

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٣٣٢.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٧٠، ويُنظر: تفسير الطبري: ٣/ ٤٤٥، وتفسير الكشَّاف: ١/ ٢٥٣.

(٥) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٤٦.

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٣٣٣

(٧) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٣٣٣

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

والفرقُ بينَ الاستغراقينِ في لفظةِ ﴿لِلنَّاسِ﴾ في هذه الآيةِ وفي الآيةِ التي قبلَها وهي ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾: أنَّ الاستغراقَ في هذه الآيةِ (استغراقٌ حقيقيٌّ)، وهو في الآيةِ السَّابقةِ (استغراقٌ عُرفيٌّ)؛ لأنَّ تلكَ الكتبَ هدايةٌ للنَّاس المشرَّعِ لهم[1] بخلافِ القُرآنِ فهو هدىً للنّاسِ أجمعين، وهذا مما يتميَّزُ به القرآنُ عن سائرِ الكُتُبِ السَّماويَّةِ الأُخرى.

ومن بابِ إثراءِ النَّصِّ القُرآني، فلعلّي أُشيرُ إلى بعضِ أسرارِ التَّعْريفِ في بعضِ الألفاظِ الواردةِ في الآيةِ – مما لم يتعرّضْ له المؤلّف – ومن ذلكَ التَّعريفُ في لفظةِ ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ والتّعريفُ هنا للعهد الذّكْريِّ، حيثُ أتى به مُنكَّراً أولاً، ثم أتى به مُعرَّفاً ثانياً، فدلَّ على أنَّه الأول كقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾[2].[3]

ومن ذلك – أيضا – التعريفُ في لفظةِ ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ قال الرازيُّ: " الألفُ واللّامُ في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ﴾ للمعهودِ السَّابقِ وهو شهرُ رمضان، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾[4]، أي: فإذْ لَمْ يأتُوا بالشُّهَدَاءِ الأربعة[5]، ويتلّمسُ أبوحيَّانَ السِّرَّ ذاتَه ويُضِيفُ قائلاً: "ولذلكَ ينوبُ عنه الضَّمِير، ولو جاءَ (فَمَنْ شَهِدَ منكم فَلْيَصُمْه) لكان صحيحاً، وإنَّما أَبْرَزَه ظاهراً للتَّنْويهِ به والتَّعْظِيم له، وحَسُنَ له – أيضاً – كونُه من جملةٍ ثانية"[6]؛ وعليه فالعهدُ في هذه اللفظة عهدٌ ذِكْرِيٌّ أيضا.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٦٦ .

(٢) المزمل: ١٦.

(٣) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٤٧.

(٤) النور: ١٣

(٥) تفسير الرازي: ٥/ ٧٦.

(٦) تفسير البحر المحيط: ١/ ٤٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ومن ذلك: التَّعْريفُ الواردُ في قولِه تعالى: ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ قال أبو حيّان:"والألفُ واللَّامُ في قولِه: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ الظَّاهِرُ أنَّها للعهدِ، فيكونُ ذلك راجعاً إلى قولِه: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي: ولْيُكْمِلْ مَنْ أَفْطَرَ في مرضِه، أو سَفَرِه، عِدَّةَ الأيامِ التي أفطرَ فيها؛ بأنْ يصومَ مثلَها، وقيلْ: عِدَّةُ الهلالِ، سواءٌ كانت تسعةً وعشرين يوماً أم كانَت ثلاثين، فتكونُ العِدَّةُ راجعةٌ إذ ذاكَ إلى شهرِ رمضانَ المأمورِ بصومِه"[1]، وعلى كلا الوجهينِ فالعهدُ ذكريٌ لتقدُّمِ معهودِه في الآية التي قبلها.

ويتَلَمَّسُ الرازيُّ سِرًّا بديعيًّاً آخرَ، وهو سرُّ اختيارِ التَّعبيرِ بلفظةِ ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ دونَ غيرِها، حيثُ يقول: "إنَّما قال: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ ولَمْ يَقُلْ: (ولِتُكْمِلوا الشَّهْرَ)؛ لأنَّه لما قال: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ دخلَ تحتَه عِدَّةَ أيَّامِ الشَّهْرِ وأيَّامِ القَضَاءِ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِهِمَا جميعاً؛ ولذلكَ يجبُ أن يكونَ عددُ القضاءِ مثلاً لعددِ الْمَقْضِيِّ، ولو قال تعالى: (ولِتُكْمِلوا الشَّهْرَ) لدلَّ ذلكَ على حُكْمِ الأداءِ فَقَطْ ولَمْ يَدْخُلْ حُكْمُ القضاء"[2]، ولكان الفضلُ محصوراً على من أكمل الشهر، دون أهلِ الأعذار، وهذا من بلاغة القرآن، التي بيّنت سعةَ رحمة الله تبارك وتعالى؛ فالهدفُ هو العِدّة وليس الشهر، وبالتالي يدخلُ أهلُ الأعذارِ الذين لم يتمكّنوا من صيام الشهر كاملاً في فضل إدراك رمضان، والله أعلم.

وعندَ قولِه تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾[3] يقول المؤلفُ: "النجمُ: اسمُ جنسٍ يُرادُ به جميعُ النُّجُوم"[4].

وهذا على اعتبارِ أنَّ المرادَ به جماعةُ النُّجُومِ، وعُبِّرَ عنها بلفظِ الواحدِ؛ قال

---

(١) تفسير السابق: ٢/ ٥١.

(٢) تفسير الرازي: ٥/ ٧٩، ولعلّ في ذلك دليلاً لمن أوجب القضاء قبل صيام ستّ من شوّال؛ لأنّ عِدّة صومه لم تكتمل بعدُ، والله أعلم .

(٣) النجم: ١

(٤) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد،: ص: ٢٠٥:.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المَاوَردي: "وليسَ بِمُمْتَنِعٍ أن يُعَبَّرَ عنها بلفظِ الواحدِ كما قالَ عُمَرُ بنُ أبي ربيعة:

أحسنُ النَّجمِ في السَّماءِ الثُّريا والثُّريا في الأرضِ زينُ النِّساءِ"(١)

وقد اختارَ ذلكَ جمعٌ من المفسرين، قال الألوسيُّ: "وأظهرُ الأقوالِ، القولُ بأنَّ المرادَ بالنَّجْمِ، جنسُ النَّجْمِ المعروفِ، فإنَّ أصلَه اسمُ جنسٍ لكلِّ كوكب"(٢).

ولكنْ من المفسرينَ من يرى أنَّ المرادَ به نوعاً مُعيَّناً من أنواعِ النُّجُوم، فمنهم من قالَ: المرادُ بها (الثريا) قال الزمخشريُّ: "وهو اسمٌ غالبٌ لها قال الشاعر:

إذَا طَلَعَ النَّجْمُ عِشَاءَ ابْتَغَى الرَّاعِي كِسَاءَ"(٣)

ولأنَّ العربَ كانوا يخافونَ الأمراضَ عند طلوعِها(٤)، ومنهم من قالَ المرادُ بها (الزهرة)؛ لأنَّ قوماً من العرب كانوا يعبدونُها(٥)، وعلى هذا فيكونُ التَّعريفُ للعهدِ(٦)، ويكون عهداً ذهنيّاً.

والذي يظهرُ أنَّ التعريفَ للجنسِ- كما يرى المؤلف - وليس للعهد، لأنَّ النجومَ التي في السماءِ أظهرُ عندَ السَّامِعِ وقولُه ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أدلُّ عليه(٧) ، والله أعلم.

وعند قولِه تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣﴾(٨)، يقول المؤلف: "المرادُ بالإنسان

---

(١) تفسير النكت والعيون: ٥/ ٣٨٩، ويُنظر: تفسير الطبري: ٢٢/ ٤٩٥ وتفسير الكشاف ٤/ ٤١٨.

(٢) تفسير روح المعاني: ٢٧/ ٤٥.

(٣) تفسير الكشاف: ٤/ ٤١٨

(٤) تفسير النكت والعيون: ٥/ ٣٨٩ .

(٥) تفسير النكت والعيون: ٥/ ٣٨٩، وللاستزادة في المراد بالنجم، يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٨/ ١٥٤.

(٦) تفسير الرازي: ٢٨ / ٤١.

(٧) تفسير الرازي: ٢٨ / ٤١.

(٨) الرحمن: ٣

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الجنس، فيشملُ آدمَ وذريَّته"[1].

وهذا هو اختيارُ جَمْعٍ من المفسرين[2]؛ وعلى ذلك فيكونُ التَّعريفُ للاستغراق، وقد أشارَ المؤلفُ إلى ذلك بلفظ الشُّمُوليَّةِ، ويكونُ الاستغراقُ حَقِيْقياً أي: كل إنسان، وإنَّما وُحِّدَ في اللَّفْظِ لأدائِه عن جنسِه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾[3]"[4]، وقال بعضُهم إن المرادَ بالإنسانِ هاهنا محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال بعضُهم: المُرادُ به آدمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[5]؛ وعلى ذلك فيكونُ التعريفُ للعهدِ الذِّهني.

ولكن الذي يبدو لي أنَّ التعريفَ للجنسِ - كما هو رأي المؤلف - وليس للعهدِ؛ وذلك تمشيًّاً مع رأي أكثرِ المفسرين، وكذلك لعمُومِ اللفظِ؛ فيدخلُ فيه آدم والنبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجميعُ بني آدم، قال الرازي: "المسألةُ الثالثة: ما المرادُ من الإنسان؟ نقولُ: هو الجنس، وقد قيلَ: المرادُ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: المرادُ آدمُ، والأوَّلُ أصحُّ؛ نظراً إلى اللَّفظِ في ﴿خَلَقَ﴾ ويدخلُ فيه محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغيرُهما من الأنبياء"[6]؛ وعلى ذلك يكون التعريفُ للاستغراقِ الحقيقي - كما تقدَّم - والله أعلم.

وبهذا ينتهي الكلامُ في هذا الفصلِ، ويليه الفصلُ الثاني بإذن الله.

---

(١) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد، ص: ٣٠١.

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٧٦، وتفسير روح المعاني ٢٧/ ٩٨.

(٣) العصر: ٢

(٤) يُنظر تفسير الطبري: ٢٢/ ٧.

(٥) يُنظر: تفسير الطبري: ٢٢/ ٧، وتفسير الرازي: ٢٩ / ٧٦.

(٦) تفسير الرازي:٢٩/ ٧٦.

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الفصل الثاني

الفصل الثاني

النَّظْمُ في الجُمْلَةِ القُرآنيَّة

وفيه ستة مباحث :

۞ **المبحث الأول : التوكيد .**

۞ **المبحث الثاني : التقديم والتأخير .**

۞ **المبحث الثالث : أساليب الإنشاء .**

۞ **المبحث الرابع : القصر .**

۞ **المبحث الخامس : الحذف والذكر .**

۞ **المبحث السادس : خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .**

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المبحثُ الأوَّلُ
التَّوكيــــد

التَّوكيدُ بابٌ جليلُ القَدْرِ، عظيمُ الفائدةِ، فهو يُقوِّي المعنى ويُجَلِّي الفروق[1]، يقولُ الإمامُ عبدُ القاهرِ الجُرجاني: "واعلمْ أنَّ ممَّا أغمضَ الطريقَ إلى معرفةِ ما نحنُ بصَددِه، أنَّ هاهنا فروقاً خفيَةً تَجْهلُها العامَّةُ وكثيرٌ من الخاصَّةِ، ليس أنَّهم يجهلونَها في موضعٍ ويعرفونَها في آخَرَ، بل لا يدرون أنَّها هي، ولا يعلمونَها في جُملةٍ ولا تفصيلٍ، رُوي عن ابنِ الأَنباري أنَّه قال: رَكِبَ الكِنْدي المتفلسِفُ إلى أبي العبَّاس وقال له: إني لأَجِدُ في كلامِ العرب حَشْواً: فقال له أبو العبَّاس[2]: في أيِّ موضعٍ وجدتَ ذلك فقال: أَجِدُ العربَ يقولون: (عبدُ الله قائمٌ)، ثم يقولون: (إنَّ عبدَ الله قائمٌ)، ثم يقولونَ: "إنَّ عبدَ الله لقائمٌ"؛ فالألفاظُ متكرِّرةٌ والمعنى واحدٌ، فقال أبو العبَّاس: بل المعاني مختلِفةٌ لاختلافِ الألفاظِ فقولُهم: (عبدُ الله قائمٌ) إخبارٌ عن قيامِه وقولُهم: إنَّ عبدَ الله قائمٌ" جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ، وقولُهم: (إنَّ عبدَ الله لقائمٌ) جوابٌ عن إنكارِ منكرٍ قيامَه، فقد تكرَّرتِ الألفاظُ لتكرُّرِ المعاني، قال: فما أَحَارَ المتفلسفُ جواباً، وإذا كان الكنديُّ يذهبُ هذا عليه حتى يركَبَ فيه ركوبَ مُستفهمٍ أو معترِضٍ فما ظنُّك بالعامةِ ومَن هو في عِدادِ العامَّة ممن لا يخطُر شِبْهُ هذا بباله"[3].

والمُتأمِّلُ في تفسيرِ المؤلفِ لآي الذكرِ الحكيمِ، يجدُ أنَّه قد أولى هذا الجانبَ عِنايةً كبيرةً وقد قرَّرَ المؤلفُ ذلك حيث يقول:

"والشيءُ الذي يُنْكَرُ يجبُ أنْ يُؤَكَّدَ بما يَدُلُّ على ثبوتِه، سواءً كانَ ذلك عن

---

(١) فيُفرّق بين به بين أحوال المخاطَبين، (الشاكّ والمتردّد والمُنكر) كما سيأتي .

(٢) أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرد الثّمالي، من جهابذة اللغة، من كتبه (المقتضب ، والكامل) ت:٢٨٦ .

(٣) دلائل الإعجاز: ٣١٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

طريقِ التَّأكيدِ اللَّفظيِّ بأدواتٍ مُؤَكِّدَاتٍ، أو عن طريقِ التَّأكيدِ المعنويِّ بذكرِ الآياتِ والشواهدِ الدالَّةِ على ثبوتِه"[1]، ويقول في موضعٍ آخرَ:

"ينبغي تأكيدُ الشيءِ المُسْتَبْعَد أمامَ المُخَاطَبِ من أجلِ اطمئنانِ نفسِه وإقرارِه به، ولهذا ذكرَ علماءُ البلاغةِ[2]: أنَّ المخاطبَ له ثلاثُ حالات:

١- ابتداءٌ ٢- شَكٌّ ٣- إنكارٌ

١-ففي الابتداءِ لا يَحْسُنُ أنْ تؤكِّدَ له الخبرُ، بل تُلقيه إليه غيرَ مُؤكَّد؛ لأنَّك إذا أكَّدتَه بدون سببٍ للتَّأكيدِ فقد يَشُكُّ، ويقولُ لولا أنَّ هذا الرَّجلَ كاذبٌ ما ذهبَ يُؤكِّدُ الخبرَ بدونِ سببٍ؛ فالفصاحةُ أن تلقيَه مُجرداً من التَّأكيد، فمثلاً: إذا أردتَ أنَّ تُخْبِرَ بقدومِ زيدٍ، تقول: "قدم زيد"، إذا كنتَ تخاطبُ رجلاً خطابَ ابتداء، ليس عندَه شَكٌّ في قدومِه ولا إنكار.

٢- أن يكون عند المخاطَبِ شكٌّ في الأمرِ فهنا يَحْسُن أن يؤكد ولكن لا يجب، فهذا الرَّجُلُ الذي تخشى أن يكونَ شاكَّاً بقدومِ زيدٍ لاستبعادِه إياه، فيحسُنُ عندما تخبره أنَّه قادم أن تؤكِّدَ له، فتقول: (قدم زيد) أو (إن زيداً قادم).

٣- أن يكونَ مُنكراً ففي هذه الحالِ يجبُ أن يُؤكَّدَ له الخبرُ من أجل أن يزولَ عنه الإنكارُ ويطمئنَّ إلى مدلولِ الخبرِ، كما لو كُنتَ تخاطبُ شخصاً ينكرُ أن يكون فلانٌ قَدِمَ البلدَ فتقولُ له: (لقد قدم)، وإن رأيتَ أنَّه يحتاجُ إلى زيادةٍ قلتَ: (والله لقد قدم).

وهذا باعتبارِ حال المُخَاطَب أي: أنَّه يَحْسُنُ توكيدُ الخبرِ أو تجريدُه من التَّأكيد، أو وجوبُ تأكيدِه باعتبارِ حال المخاطب"[3].

وقد ذكرَ المؤلفُ أنَّ التأكيدَ لا يكونُ باعتبارِ حالِ المخاطَبِ فَحَسْب، بل قد

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة الصافات،:١٥٢.

(٢) وذلك مبسوطٌ في كتبِ البلاغة،يُنظر- على سبيل المثال - البغية مع الإيضاح: ١/ ٣٤ - ٣٤.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة الصافات: ١٥٢ فما بعدها.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

يكونُ باعتبارِ (حال مدلول الخبر) – أيضا – فقال:

"وقد يكونُ التأكيدُ وعدمُه باعتبارِ حالِ مدلولِ الخبرِ، فإذا كان المدلولُ أمراً هامَّاً؛ فإنَّه يُؤكَّدُ حتى وإن كنتَ تخاطبُ من لاينكرُ؛ مثل قولِه تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[1]، وأشباهُ ذلك مما أقسمَ اللهُ به على البعثِ وهو يخاطبُ المؤمنين، فهنا نقولُ: تأكيدُ هذا الخبرِ مع إقرارِ المُخاطَبِ به يُقْصَدُ بذلك بيانُ أهميتِه، وأنَّه أمرٌ يجبُ أن يتأكَّدَ في قلبِ الإنسان، وأن يَثْبُتَ فيه ويَرْسَخ؛ قال أهلُ العلم: وقد يُنَزَّلُ المُقِرُّ منزلةَ المُنْكِرِ لفعلِه فعلَ المُنْكِرِ؛ مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾[2] وهل الموتُ مُتَرَدَّدٌ فيه أو مُنْكَرٌ؟ أبداً، لا يَتَرَدَّدُ فيه ولا يُنْكِرُه أيُّ أحدٍ من النَّاس، إذاً فلماذا يُؤكَّد؟ لأنَّ المُخَاطَبَ قد تكونُ حالتُه حالَ المُنْكِرِ؛ لعدمِ استعدادِه للموتِ فيُؤكَّدُ له الخبر"[3]، وهذا هو ما يُسمَّى عند البلاغيينَ بتخريجِ الكلامِ على خلافِ مقتضى الظاهر، وكثيرا ما يخرج على خلافه[4]، كما أنَّ هذا بابٌ من البلاغةِ أوقعُ في النفسِ من تخريجِ الكلامِ على مقتضى الظَّاهرِ؛ لدقَّةِ مسلكِهِ، وحسنِ موقعِه في النَّفس[5].

وقد توقَّفَ المؤلف عندَ كثيرٍ من الآياتِ في هذا السّياق، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾[6]، حيثُ يقولُ: "قولُه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾؛ ﴿أَلَآ﴾: أداةٌ تفيدُ التَّنْبيهِ، والتَّأْكِيدِ، و﴿إِنَّهُمۡ﴾: توكيدٌ أيضاً، و﴿هُمُ﴾: ضميرُ فَصْلٍ

---

(١) القيامة: ١-٢.

(٢) المؤمنون: ١٥.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة الصافات، ١٥٤:، وينظر: الإيضاح مع البغية: ١/ ٣٨

(٤) الإيضاح مع البغية: ١/ ٣٦.

(٥) بغية الإيضاح: ٣٦

(٦) البقرة: ١١ – ١٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

يفيدُ التَّوكيدَ أيضاً؛ فالجملةُ مُؤَكَّدَةٌ بثلاثةِ مُؤَكِّداتٍ: (ألا) و(إنَّ)، و(هُم) وهذا من أبلغِ صيغِ التَّوكيد"(١).

ويقول ابنُ عاشور بعبارةٍ أكثرَ وضوحاً: "وحرفُ (ألاَ) للتنبيه إعلاناً لوصفِهم بالإفساد، وقد أكَّد قَصْرَ الفسادِ عليهم بضميرِ الفصلِ أيضاً، كما أكَّدَ به القصرَ في قولِه: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾(٢) -كما تقدَّم قريبا-(٣) ودخولُ (إنَّ) على الجملة وقَرْنِها بـ(ألاَ) المفيدةِ للتنبيه، وذلك من الاهتمامِ بالخبرِ وتقويتِه دلالةً على سَخَطِ الله تعالى عليهم؛ فإنَّ أدواتِ الاستفتاحِ مثل (ألا وأمَا) لَمَّا كانَ شأنُها أن يُنَبَّه بها السامعونَ دلَّتْ على الاهتمامِ بالخبرِ وإشاعتِه وإعلانِه، فلا جَرَمَ أنْ تَدُلَّ على أبلغيَّةِ ما تضمَّنَه الخبرُ من مدحٍ أو ذمٍّ أو غيرِهما، ويدلُّ ذلك أيضاً على كمالِ ظهورِ مضمونِ الجملةِ للعَيانِ؛ لأنَّ أدواتِ التنبيهِ شارَكَت أسماءَ الإشارةِ في تنبيهِ المُخَاطَب..و(إنَّ) هنا لتوكيد الخبر"(٤).

وللسِّعْدِيِّ لفتةٌ أُخرى حولَ سِرِّ توكيدِ الخبرِ بهذه المُؤَكِّدات؛ وذلك حيثُ يقول: "فإنَّه لَمَّا كان في قولِهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ حَصْرٌ للإصلاحِ في جانبِهم - وفي ضِمْنِه أنَّ المؤمنينَ ليسوا من أهلِ الإصلاحِ - قَلَبَ اللهُ عليهم دعواهم بقولِه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ فإنَّه لا أعظمَ فساداً ممن كَفَرَ بآياتِ الله، وصدَّ عن سبيلِ الله، وخادَعَ اللهَ وأولياءَه، ووالى المحاربينَ لله ورسولِه، وزَعَمَ مع ذلك أنَّ هذا إصلاحٌ، فهل بعدَ هذا الفسادِ فساد؟"(٥).

فلذلكَ كان الرَّدُّ عليهم أقوى من قولِهم، ليَدْحَضَ كَذِبَهُم وُيبطِلَ شُبْهَتَهم، بما يقتضي الحال، وذلكَ قمَّةُ البلاغةِ وغايتُها، والله أعلم.

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٤٦ - ٤٧.

(٢) البقرة: ٥ .

(٣) يُنظر: مبحث التعريف باسم الإشارة في الفصل الأول من هذه الرسالة، ص:١٢٠ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٨٢، ويُنظر: تفسير البحر المحيط: ١/ ٢٠٠.

(٥) تفسيرالسعدي: ٤٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وعند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾[1]، يقول المؤلف: "قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: جملةٌ اسميَّةٌ مؤكَّدَةٌ بضميرِ الفَصْلِ: ﴿هُمُ﴾؛ لأنَّ ضميرَ الفَصْلِ له ثلاثُ فوائد؛ الفائدةُ الأولى: التوكيد، والفائدةُ الثانية: الحصر، والفائدة الثالثة: إزالة اللبس بين الصفة والخبر"[2].

ويقول الألوسيُّ: "و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[3] باعتبارِ ما فصّل من صفاتِهم القبيحةِ، وفيه رمزٌ إلى أنَّهم في المرتبةِ البعيدةِ من الذَّمِّ وحصرِ الخاسرين عليهم باعتبارِ كمالِهم في الخسرانِ؛ حيثُ أهملوا العقلَ عن النَّظَرِ ولم يَقْتُنصُوا المعرفةَ المفيدةَ للحياةِ الأبديَّةِ والمسرَّةِ السرمديَّةِ، واشتروا النَّقْضَ بالوفاءِ، والفسادَ بالصَّلاحِ، والقطيعةَ بالصِّلةِ، والثَّوابَ بالعقابِ فضاعَ منهم الطلبتان: رأسُ المالِ والرِّبحُ، وحصل لهم الضَّرَرُ الجسيمُ وهذا هو الخسرانُ العظيم"[4].

وللنورسي كلامٌ لطيفٌ يحسُنُ إيرادُه في هذا السِّياق، وذلك حيثُ يقول: "وأما جملةُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: فاعلم! أن حقَّ العبارةِ "هم خاسرونَ في عدمِ الهدايةِ به" فلفظ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ولفظ﴿هُمُ﴾والتعريفُ والاطلاقُ لنكت: أما ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: فلأنَّ وضْعَه لإحضارِ محسوسٍ، فالإحضارُ المستفادُ منه إشارةٌ الى أنَّ السَّامعَ إذا سمعَ حالَهم الخبيثةَ من شأنِه أن يَحْصُلَ له حِدَّةٌ عليهم ونُفْرَةٌ منهم...والمحسوسيَّةُ إشارةٌ الى أن أوصافَهم الرذيلةَ تكثرت بدرجةِ تَجَسُّمِهم محسوسين نُصْبَ نَظَرِ النفرة، فمنَ الإشارةِ إيماءٌ إلى علَّةِ الحُكْمِ بالخسارة...و ﴿هُمُ﴾: إشارة إلى أنَّ الخسارةَ مُنْحَصِرَةٌ عليهم حتى إنَّ خساراتِ المؤمنين لبعضِ اللذائذِ الدُّنْيَوِيَّةِ ليست خسارة، وكذا

---

(١) البقرة: ٢٧.

(٢) تفسير ابن عثيمين: سورة البقرة ١/ ١٠٢.

(٣) وذلك في قوله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ البقرة: ٢٦.

(٤) تفسير روح المعاني: ١/ ٢١٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

خساراتُ أهلِ الدُّنيا في تجاراتِهم ليست خسارةً بالنِّسبَةِ إلى خساراتِهم.. و(الألف واللام): إشارةٌ الى تصويرِ الحقيقةِ أي: من أرادَ أن يرى حقيقةَ الخاسرين فلينظرْ إليهم.. وكذا إيماءٌ الى أنَّ مسلكَهم محضُ خسارةٍ لا كالخساراتِ الأُخَر التي فيها وجوهٌ من النَّفعِ لكن الضَّر أكثر؛ فالتعريفُ إمَّا للكمالِ أو للبَداهةِ أو لتصويرِ الحقيقةِ.. وإطلاقُ الخسارةِ إشارةٌ بإعانةِ المقامِ الخطابيّ إلى عمومِ أنواعِ الخسارات، أي: خسروا في وفاءِ العهدِ بالنَّقْضِ، وفي صلةِ الرَّحِمِ بالقطيعةِ، وفي الإصلاحِ بالإفسادِ، وفي الإيمانِ بالكفر، وبالشَّقَاوةِ خسروا السعادةَ الأبدية.." (١)

ويرى ابنُ عاشور أن في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ - أيضا - قصرَ قلبٍ؛ لأنَّهم ظنوا أنفسَهم رابحين، وهو استعارةٌ مَكْنِيَّةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ كما في قولِه تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾(٢)"(٣)، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾(٤) يقول المؤلف: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: هذه الجملةُ مُؤَكَّدةٌ بـ(إن)، وضمير الفصل ﴿أَنتَ﴾ "(٥).

ولم يذكر المؤلفُ السرَّ في توكيد الملائِكَةِ هذه الجملة، والذي يبدو أنَّ التَّوكيدَ - هنا - للاهتمام؛ يقول ابنُ عاشور: "﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ ساقوه مساقَ التَّعليلِ لقولهم ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾... والذي دلَّ على أنَّ هذا القولَ مَسُوقٌ للتَّعليلِ وليس مجرَّدَ ثناءٍ هو تصديرُه بـ(إنَّ) في غيرِ مقامِ ردِّ إنكارٍ ولا تردُّدٍ؛ قال الشيخُ(٦) في

(١) إشارات الإعجاز: ١/ ٢٣٩.

(٢) البقرة: ١٦.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٣٦٧.

(٤) البقرة: ٣٢.

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ١٢٠.

(٦) يعني: عبد القاهر الجرجاني.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

(دلائل الإعجاز): ومن شأنِ (إنَّ) إذا جاءت على هذا الوجه - أي أن تَقَعَ إثْرَ كلامٍ وتكونَ لمجرَّدِ الاهتمام - أنْ تُغْنِيَ غناءَ الفاءِ العاطفةِ - مثلاً - وأنْ تُفِيدَ من رَبْطِ الجُمْلَةِ بما قبلَها أمراً عجيباً؛ فأنتَ ترى الكلامَ بها مقطوعاً موصولاً، وأنشدَ قولَ بشَّار:

بَكِّرا صاحبيَّ قبلَ الهجيرِ إنَّ ذاك النَّجاحَ في التَّبْكِيرِ

وقولَ بعضِ العربِ:

فغنِّها وهي لكَ الفِداءُ إنَّ غِناءَ الإبلِ الحُداءُ

فإنَّهما استغنيا بذكرِ (إنَّ) عن (الفاء)، وإنَّ خلفاً الأحمرَ لَمَّا سألَ بشَّاراً لماذا لم يَقُلْ: (بكرا فالنجاحُ في التبكير) أجابَه بشَّارُ بأنَّه أتى بها عربيَّةً بدويَّةً ولو قال: (فالنَّجاح) لصارت من كلام المولَّدين - أي أجابَه جواباً أحالَه فيه على الذَّوق- وقد بين الشيخ عبد القاهر سبَبَه"[1].

وقد جاءت (إنّ) في قول الملائكة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ مغنيةً غِناءَ الفاءِ العاطفة، فلم يقولوا (فأنت العزيز الحكيم) فدلّ على أن التوكيد للاهتمام.

ويرى ابنُ عاشور -أيضا- أنَّ توسيطِ ضمير الفصل ﴿أَنتَ﴾ من صيغ القصرِ؛ فالمعنى قَصْرُ العلمِ والحكمةِ على الله قصرَ قلبٍ؛ لردِّهم اعتقادَهم أنفسَهم أنَّهم على جانبٍ من علمٍ وحكمةٍ ،حين راجعوا بقولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾[2] أو تنزيلِهم منزلةَ من يعتقدُ ذلك... أو هو قَصْرٌ حقيقيٌّ ادِّعَائِيٌّ مرادٌ منه قصرُ كمالِ العلمِ والحكمةِ عليه تعالى"[3]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٤٠٠، وينظر كلام عبد القاهر في دلائل الإعجاز: ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٤٠٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وقد ختمَ -سبحانه- الآيةَ بذكرِ هذينِ الاسمينِ الحَسَنَيْنِ من أسمائِه الحُسنى وهما: ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ و﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ ولعلَّ وجهَ التَّخصيصِ بهذين الاسمينِ في هذه الآيةِ أن يُقال: إنَّ ذلك - والعلمُ عند الله - جاءَ مراعاةً للسِّياقِ المُقتضِي لذلك؛ فهو سياقُ تعليمٍ وامتنانٍ بالعلمِ، ويظهرُ ذلكَ جليَّاً عندَ التَّأمُّلِ في الآياتِ بدءً من الآيتينِ السَّابقتين وهما قولُه تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾[(1)]، فناسبَ بذلكَ الإتيانُ باسمِ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾، ولما ذكرَ سبحانه مراجعةَ الملائكةِ في خلقِ هذا الخليفةِ، وبدَتْ لهمُ الحِكمةُ في ذلك ناسبَ الإتيانُ باسمِ ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾.

ووجهٌ آخرُ ذكرَه الألوسيُّ حيثُ يقولُ: "وقَدْ خصَّهَا ببعضٍ فقال: العليمُ بما أَمَرْتُ ونَهيتُ، الحكيمُ فيما قضيتُ وقدَّرْتُ"[(2)]، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾[(3)] يقول المؤلف: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؛ هذه الجملةُ مُؤَكَّدة بـ﴿إِنَّ﴾ مع أنَّ الخطابَ ابتدائي؛ إذ إنَّه لم يُوجَّه إلى متردِّدٍ ولا منكر؛ والخطابُ إذا لم يُوجَّه لمنكر ولا متردِّد فإنَّه يسمى ابتدائياً؛ والابتدائيُّ لا يُؤَكَّد؛ لأنَّه لا حاجةَ لذلك؛ ولكنَّه قد يُؤَكَّد لا باعتبارِ حالِ المخاطب؛ لكن باعتبارِ أهميَّةِ مدلولِه؛ فهنا له أهميةٌ عظيمة: أنَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يخبرُنا أنَّه بكلِّ ما نعمل بصير"[(4)].

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) البقرة: ٣٠ - ٣١.

(٢) تفسير روح المعاني: ١/ ٢٢٧.

(٣) البقرة: ١١٠

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣٦٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ . ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وهذا على القول بأن المخاطَبَ هم المؤمنون وليس اليهود[1]، وهذا - من وجهة نظري - توجيه في محلِّه، وهو من تنزيلِ خال الذِّهن منزلةَ السائلِ المتردِّد - كما يقول البلاغيون -[2] فعندما قال الله ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أنزلَ اللهُ المخاطَبين منزلةَ السائلِ المتردِّدِ الذي يشفقُ على عملِه ويخشى عليه؛ فأرادَ سبحانه أنَّ يُطمْئِنَ المؤمنين أن أعمالهَم محفوظةٌ عنده، وأنَّه لايضيعُ منها شيء، وأنَّه بصيرٌ بأعمالِهم لايخفى عليه منها شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

كما أنَّ في التعبير بالاسمِ الظاهرِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾دون التعبير بالضمير " إنه" مع تَقَدُّمِ ذكرِه في قوله: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ سرّاً آخر ذكَرَه أبوحيان حيثُ يقول: "المجيءُ بالاسمِ الظاهرِ يدلُّ على استقلالِ الجُمَل، فلذلك جاءَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ولم يَجِيء "إنه"، مع إمكانِ ذلك في الكلامِ، وهذه جملةٌ خبريَّةٌ ظاهرةُ التناسبِ في ختمِ ما قبلها بها، تتضمنُ الوَعْدَ والوعيد"[3]، ويضيف صاحبُ الوسيط: "كذلك من فوائدِ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في مقامٍ يجوزُ فيه الإضمارُ، أن تكونَ الجملةُ كحكمةٍ تُقالُ عند كلِّ مناسبة، بخلاف ما لو أتى بدل الاسمِ الظاهر بالضمير فإن إلقاءَه عند المناسبة يستدعي أن تُذكرَ الجملةُ السابقةُ معها حتى يُعرفَ المرادُ من الضمير"[4].

وعند قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾[5] يقول المؤلف: "يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ أكَّدَ الله هذا الخبرَ بثلاثةِ مؤكِّدات:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي: ١/ ٦٢.

(٢) ينظر:الإيضاح مع البغية:١/ ٣٥.

(٣) تفسير البحر المحيط: ١/ ٥١٩.

(٤) تفسير الوسيط: ١/ ٢٤٧ .

(٥) آل عمران: ١٨١.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الأول: **القَسَم المقدَّر**؛ لأنَّ اللام هنا واقعة في جواب قسم.

والثاني: **قد**.

والثالث: **اللام** في قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ﴾

وإنَّما أكَّدَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمبالغةِ في تهديدِ هؤلاء، وأما نحنُ المؤمنين فإننا نعلم أنه بمجرَّدِ ما يخبرُنا عن شيءٍ فهو مؤكَّد؛ لكن من أجْلِ تهديدِ هؤلاءِ الذين قالوا هذه المقالةَ الشنيعة"(١).

وقد ذكر أهلُ التفسير أن سببَ نزولِ هذه الآيةِ هو أنَّه لما أنزلَ الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾(٢) قال أحدُ اليهود - وهو فنحاص ابن عازوراء- لأبي بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يدعوه إلى الإسلام: والله يا أبا بكر، ما بِنَا إلى الله من فَقْر، وإنه إلينا لَفقير! وما نتضرَّعُ إليه كما يتضرَّعُ إلينا، وإنَّا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرضَ منا كما يزعُم صاحبُكم! فغضبَ أبو بكرٍ فضربَ وجهه؛ فاشتكى اليهوديُّ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حَمَلَك يا أبا بكرٍ على ذلك فقال: إنَّ عدوَّ الله قالَ قولاً عظيمًا.. وأخبرَه الخبر؛ فجَحَدَ ذلك اليهوديُّ؛ فأنزلَ اللهُ هذه الآية(٣).

وقد خاطبهم اللهُ بلفظ الجمع؛ لأنه إمَّا أن ذلك صَدَرَ من واحدٍ أولاً، ثم تقاولها اليهود، أو صَدَرَ ذلك من واحدٍ فقط، ونُسِبَ للجماعةِ على عادةِ كلامِ العربِ في نسبتِها إلى القبيلةِ فعل الواحد منها(٤).

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ٢/ ٤٨٨.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) يُنظر: تفسير الطبري: ٧/ ٢٤١ - ٢٤٢، وتفسير القرطبي: ٤/ ٢٩٤، تفسير ابن كثير: ١/ ٥٤٣.

(٤) تفسير البحر المحيط: ٣/ ١٣٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وبذلك يتبيّنُ أن توكيدَ الكلامِ بهذه المؤَكِّدات إنَّما جاءَ للرّدِّ على مقالتِهم الشنيعةِ وإنكارِهم (أنَّ الله تعالى غنيٌّ عن العالمين)؛ وإنكارِهم القولَ بعد ذلك- وهو من لوازم إنكارِ السمع - فجاءت الجملةُ مؤكَّدَةً مُؤْذِنَةً بعلمِه بمقالتِهم ومُؤَكِّدَةً له، وحيثُ نسبوا إلى الله ما نسبوا، أكَّدُوا الجملة بـ﴿إِنَّ﴾ على سبيل المبالغة، وحيث نسبوا إلى أنفسِهم ما نسبوا لم يؤكِّدوا، بل أخرجوا الجملةَ مخرجَ ما لا يحتاجُ إلى تأكيدٍ، كأنَّ الغنى وصْفٌ لهم لا يمكنُ فيه نزاعٌ، فيحتاج إلى أنْ يؤكد(1)، فجاء الردُّ مؤكَّدا مناسباً لما يقتضيه المقام وهذه قِمّةُ البلاغة .

وأما التَّهديدُ فهو ما يُوحي به التعبيرُ بسماعِ قولِهم، قال ابن عاشور:"﴿لَّقَدۡ سَمِعَ﴾ تهديدٌ، وهو يُؤْذِن بأنّ هذا القولَ جراءَةٌ عظيمةٌ، وإنْ كان القَصْدُ منها التَّعْريضُ ببطلانِ كلامِ القرآن؛ لأنَّهم أتوا بهاتِه العبارةِ بدونِ مُحاشاةٍ، ولأنّ الاستخفافَ بالرسولِ وقرآنِه إثمٌ عظيمٌ وكُفْرٌ على كُفْرٍ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ﴾ المستعملَ في لازم معناه، وهو التهديدُ على كلامٍ فاحشٍ، إذ قد عَلِمَ أهلُ الأديانِ أنّ اللهَ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدور، فليس المقصود إعلامهم بأنّ الله علمَ ذلك بل لازمه وهو مقتضى قوله: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾(2). والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾(3) يقول المؤلف: "﴿إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ أتوا بالجملة المؤكَّدة بـ﴿إِنَّآ﴾؛ لأنَّ الحالَ تقتضي ذلك، فإنَّهم قد كذَّبوا وأنكروا، فجاءت الجملةُ الثانيةُ مُؤَكِّدَةً؛ لأنَّ المقامَ مقامُ تكذيب، ولكن لو قال قائِلٌ: لماذا لم تؤكَّد بأكثرَ من مؤكِّد؟

---

(١) يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٣ / ١٣٦، تفسير روح المعاني: ٤ / ١٤١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٣ / ٢٩٧، وينظر تفسير روح المعاني: ٤ / ١٤١.

(٣) يس: ١٣ – ١٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

قلنا: هي أُكِّدَت بأكثرَ من مؤكِّد؛ أُكِّدَت بمؤكِّدٍ واحدٍ لفظي وهو ﴿إِنَّآ﴾، وأُكِّدَت بمؤكِّدٍ معنويٍ وهو زيادةُ الرسول"[1].

ويقول أيضا: قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ الآن أكَّدُوا الرسالةَ بثلاثةِ مؤكِّدَات:

الأول: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾؛ لأن هذا جارٍ مجرى القسم.

الثاني: ﴿إِنَّآ﴾

الثالث: (**اللَّام**)؛ لشدَّة إنكارِهم.

فإذا قلنا: إن هذه ثلاثةُ مؤكِّدات مع التأكيدِ الأوَّلِ وهو زيادةُ الثالث، صار أُكِّدَت الرسالةُ بأربعةِ مؤكِّدات: ﴿يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ "[2].

والذي يظهر لي – والعلم عند الله – أنَّ قوله تعالى: "﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ ليست مؤكَّدَةً ب(إنَّ) فحسب، بل هي مؤكَّدةٌ بأكثرَ من ذلك،فهي مُؤَكَّدةٌ بحرفِ التأكيد (إنّ) وبتقديم ﴿إِلَيۡكُمۡ﴾ على عامِله ﴿مُّرۡسَلُونَ﴾؛ لأنّ فيه معنى القصر، أو زيادةَ الاهتمام، وكلاهُمَا يفيد تأكيداً، والمؤكِّدُ الثالثُ هو كونُ الجملةُ اسميّة[3]، ويمكن أن يضافَ إليه مؤكِّدٌ رابع وهو المؤكِّدُ المعنويُّ الذي ذكره المؤلف؛ وهو (زيادة الرسول)، ولم أجدْ من أشارَ إلى ذلك سوى المؤلّف؛ فيكون الضربُ إنكارياً في هذه الآية؛ لأنَّهم كذَّبوا وأنكروا.

وفي الآيةِ الأخرى ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ يُمكن أن يقال ما قيل في الآية السابقة ويضاف إليها المؤكدات التي ذكرها المؤلف وهي: (القَسَم والّلام) على أنّ القسمَ الواردَ في هذه الآية وهو﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ أشدُّ من القَسَمِ المعروفِ بلفظ الجلالة؛

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة يس: ص ٥٦ .

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة يس: ص ٥٩ – ٦٠.

(٣) يُنظر، البلاغة العربية للميداني: ١/ ١٨٢.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

حتى إنَّ من علماء الإسلامِ من يرى أنّ المُقسِمَ به كذباً يخرج من ملَّة الإسلام – عياذا بالله –؛ لنسبتهِ الجهلَ إلى الله بخلاف القَسَمِ بلفظِ الجلالة[1]؛ فيكونُ هذا الضّرْبُ من التّأكيدِ إنكارياً أيضا، لكنَّه أشدُّ توكيدا من سابقِه؛ وذلك لشدَّة إصرارِهم على الإنكارِ وتصميمِهم عليه؛ فتكاثرتْ نِسْبَةُ المؤكِّدَاتِ بِحَسَبِ الإمعانِ في التَّكْذِيبِ والإنكار، يقول ابن عاشور: "﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ حُكيت هذه المحاورةُ على سَنَنِ حكايةِ المحاوراتِ بحكايةِ أقوالِ المتحاورين دون عطف، و﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ قَسَم؛ لأنَّه استشهادٌ بالله على صدقِ مقالتِهم، وهو يمينٌ قديمةٌ عرَفها العربُ في الجاهليَّةِ فقال الحارث بن عَبَّاد:

لم أَكُنْ من جُناتِها عَلِم الله[2] وإنِي لحِرّها اليومَ صالي

ويظهرُ أنَّه كان مُغلّظاً عندهم؛ لقلَّةِ وروده في كلامِهم، ولا يَكادُ يقعُ إلا في مقامٍ مُهم.. واضطرَّهم إلى شدّةِ التَّوكيد بالقسمِ؛ ما رأوا من تصميمٍ كثيرٍ من أهلِ القريةِ على تكذيبِهم، ويسمى هذا المقدارُ من التأكيدِ ضرباً إنكاريّاً[3].

وهذه الآيةُ هي من أهمِّ الآياتِ التي يَستَشهِدُ بها البلاغيون في هذا الجانبِ؛ ولذلك يقول أبو موسى بعدَ وقوفه عندها: "أقول: إنَّ هذا ومثلَه مما يجبُ على دارسِ بلاغةِ القرآنِ، وآدابِ اللُّغَةِ أنْ يُطِيلَ النظرَ فيه، وما أعظمَ هذا المثلَ وما أروعَ دلالته على ما نحنُ فيه، راجع وتأمل، وانظر حولَك، واقرأ الواقعَ الحيَّ كما تقرأُ الكتاب"[4].

---

(١) يُنظر، تفسير التحرير والتنوير: ٢٢ / ٢٠٩، وتفسير الرازي: ٢٦ / ٤٧.

(٢) والـ(هاء) التي في لفظ الجلالة (الله)كان حقُّها أن تكون في أَوَّل الشطر الثاني من حيثُ الوزن العَروضِيِّ للبيت؛إذ إنَّه من البحر الخفيف؛ لكن كرهتُ أن أقتطعَ حرفاً من لفظِ الجلالة سبحان الله وتعالى.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٢ / ٢٠٩.

(٤) خصائص التراكيب: ١١٩.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

المبحث الثاني
التقديم والتأخير

التقديم والتأخير "بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ، ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولُطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان"[1].

هذا ما افتتح به عبدُ القاهر هذا الباب، وهو كافٍ لبيان أهميَّتِه، وقد وقف المؤلفُ مع التقديمِ بما يُمكنُ الاستشهاد به في هذا المبحث، وعنده أنَّ تقديمَ ما حقَّه التأخيرُ له فائدتان:

الأولى: فائدة معنوية وهي: (الحصر)، ويُعبِّر عنه أحيانا بـ(الاختصاص).

الثانية: فائدةٌ لفظية وهي: (رعاية الفاصلة)، ويعبِّرُ عنها أحيانا بـ(توافق رؤوس الآي).

ومن الآيات التي توقَّفَ عندها المؤلف قول الله جلَّ وعلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[2] يقول المؤلف: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ ﴿إِيَّاكَ﴾: مفعولٌ به مُقَدَّم؛ وعاملُه: ﴿نَعْبُدُ﴾؛ وقُدِّم على عاملِه لإفادةِ الحصر؛ فمعناه: لا نعبدُ إلا إياك.....﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نستعينُ إلا إيَّاك على العبادةِ وغيرِها"[3].

وهذا هو الذي عليه جَمعٌ من المفسرين[4]؛ ومنهم الزمخشريُّ حيثُ يقول:

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٦.

(٢) الفاتحة: ٥.

(٣) تفسير ابن عثيمين، الفاتحة والبقرة: ص ١٣، والنقاط تشير إلى كلامٍ محذوف لايدخل ضمن البحث.

(٤) يُنظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٦، وتفسير التحرير والتنوير: ١/ ١٨١، أضواء البيان: ١/ ٧، تفسير السعدي: ١/ ٣٩.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

"وتقديمُ المفعولِ لقصدِ الاختصاصِ"[1] .

وقد خالفَ أبو حيان في دلالةِ تقديمِ المعمولِ على الاختصاص، واستشكل ماذهبَ إليهِ الزمخشريُّ؛ فقال: "والتقديمُ على العاملِ عنده - أي الزمخشري - يوجبُ الاختصاص وليس كما زعم، قال سيبويه: وقد تكلَّم على (ضربت زيداً) ما نصُّه: وإذا قَدَّمْتَ الاسمَ فهو عربيٌّ جيِّدٌ كما كان ذلك يعني تأخيرَه عربيّاً جيداً وذلك قولك: (زيدا ضربت)، والاهتمامُ والعنايةُ هنا في التقديمِ والتأخيرِ سواء مثله في (ضرب زيدٌ عَمْرا) و(ضرب زيداً عمرو)"[2]، وهو يرى أنَّ تقديمَ المفعولِ للعنايةِ والاهتمام[3]، وقد ذكر من كلامِ سيبويهِ ما اعتقدَ أنَّه شاهدُه، كما استشهدَ بكلامِ الأعرابيِّ عندما سبَّ أعرابياً آخرَ فأعرضَ عنه وقال: (إيَّاك أعني) فقال له: (وعنك أُعرض) فقدَّما الأهم[4] .

وقد ناقشَ الشيخُ أبو موسى هذا الموضوعَ مناقشةً وافيةً ملخصُّها: أنّ حجَّة أبي حيَّان حُجَّةٌ واهيةٌ؛ لأنَّه لا يُحتجُّ برأيٍ على رأيٍ، وأنَّه ليس في كلامِ سيبويه ما يعارضُ كلامَ الزمخشريَّ؛ لأنَّ العنايةَ لاتنافي التخصيص، والنّكات لاتتزاحم، وليس في كلامِ سيبويه ما يرفضُ الاختصاص، وليس في كلامِ الزمخشريِّ مايرفضُ العنايةَ والاهتمام، وكذلك حكايةُ الأعرابيِّ فإننا نفهم منها دلالة التخصيص؛ فقد قال لصاحبه: " إياك أعني" أي لا أقصد بالشتمِ سواك، فكيف تُعرض؟ وقال صاحبُه له: "وعنك أُعرض" أي: أُعْرض عنك خصوصا[5]، كما ناقشَ أبو موسى - أيضا - قولَ أبي حيان: "والتقديمُ على العاملِ عنده - أي الزمخشري - يوجبُ الاختصاص"وذكرَ أنَّه

---

(١) تفسير الكشاف: ١/ ٤٦ و٥٦.

(٢) تفسير البحر المحيط: ١/ ١٢٧، ويُنظر كلام سيبويه: الكتاب: ١/ ٨٠.

(٣) السابق: ١/ ١٤١، وتبعه في ذلك القرطبي في تفسيره، ١/ ١٤٥.

(٤) السابق: ١/ ١٤١.

(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة - شارع ١٤ الجمهورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ص ٣٤٠ - ٣٤١.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

كلامٌ ليس بدقيق؛ لأنَّ التقديم عنده – أي الزمخشري - يفيد الاختصاص ولا يوجبُه، واستشهد ببعضِ المواضعِ التي رأى الزمخشريُّ أن التقديمَ فيها للأهمية[1].

وعلى ذلك فالتقديمُ في هذه الآية هو للحصر -كما يرى المؤلف وغيره-، وهو قصرٌ حقيقيٌّ من قصرِ الصِّفةِ على الموصوف[2]؛ لأن المؤمنين الملقَّنينَ لهذا الحمدِ لا يعبدون إلا اللهَ تعالى"[3].

ومن الأسرارِ التي ينبغي الوقوفُ عندها في هذه الآيةِ الكريمةِ سرُّ تقديم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقد تباينت توجيهاتُ المفسرين لذلك، فمنهم من رأى أنَّ ذلك إشارة إلى أنَّه لا ينبغي أن يتوكَّلَ إلا على من يستحقُّ العبادة؛ لأنَّ غيرَه ليس بيده الأمر؛ كما جاء ذلك مبيَّناً واضحاً في آياتٍ أخر كقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾[6]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[7] وإلى غير ذلك من الآيات[8]، ومهم من رأى أنَّ ذلك من باب تقديمِ العامِّ على الخاصِّ؛ لأنَّ الاستعانةَ نوعُ تعبُّدٍ، فكأنَّه ذَكَرَ جملةَ العبادةِ أولاً، ثم ذَكَرَ ما هو من تفاصيلِها، وكذلك اهتماماً بتقديم حقِّه تعالى على حقِّ عبده[9]، ومنهم من علّل ذلك بأنَّ العبادةَ لله هي المقصودةُ، وأنَّ الاستعانةَ وسيلةٌ إليها، والاهتمامُ

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ٣٤١.

(٢) البلاغة العربية للميداني: ١/ ٥٣٧.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١٨١.

(٤) هود: ١٢٣.

(٥) التوبة: ١٢٩

(٦) المزمل: ٩

(٧) الملك: ٢٩

(٨) تفسير أضواء البيان: ١/ ٧.

(٩) تفسير السعدي: ١/ ٣٩، وتفسير البغوي: ١/ ٥٤.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

والحزمُ تقديمُ ما هو الأهمُّ فالأهم[1]، وقد ذَكَرَ الألوسيُّ في ذلك وجوهاً كثيرةً أوصَلَها إلى أحدَ عشرَ وجهاً أهمُّها - من وجهة نظري - ثلاثةُ أوجه:

الوجه الأول: أنَّه لما نَسَبَ المتكلِّمُ العبادةَ إلى نفسِه؛ أَوْهَمَ ذلك تَبَجُّحاً واعتداداً منه بما صدرَ عنه؛ فعقبه بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

والوجهُ الثاني: أنَّها مطلوبةٌ لله تعالى من العبادِ، والاستعانةُ مطلوبُهم منه سبحانه؛ فتقديمُ العبدِ ما يريدُه مولاه منه؛ أدلُّ على صدقِ العبوديةِ من تقديمِ ما يريدُه من مولاه.

الوجهُ الثالث: أن في تأخيرِ فعلِ الاستعانةِ توافقاً لرؤوسِ الآي[2].

ومن الأسرارِ البلاغية في هذه الآيةِ ذلك الالتفاتُ الواقع فيها، فقد التفتَ عن الغَيبة، وهي ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3] إلى الخطاب، وهو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقد تلمَّس بعضُ المفسِّرين سرَّ ذلك الالتفات[4]، وأفضلُ توجيهٍ له - من وجهة نظري - هو ما توصّلَ إليه ابنُ عاشور حيثُ يقولُ: "وسرُّ هذا الالتفاتِ أنَّ الحامدَ لَمَّا حمدَ اللهَ تعالى ووصفَه بعظيمِ الصفاتِ، بَلَغَتْ به الفكرةُ مُنتهاها فتخيَّلَ نفسَه في حضرةِ الربوبيةِ فخاطبَ ربَّه بالإقبال"[5]؛ ولذلك تخلَّص الكلامُ من الثناءِ إلى الدُّعاء، والدُّعاءُ يقتضي الخطاب"[6].

ومن ذلك تكرارُ الضمير ﴿إِيَّاكَ﴾ ويرى بعضُهم أنَّ ذلك: لئلا يُتوهَّم إياك نعبدُ

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/ ٣٧.

(٢) تفسير روح المعاني: ١/ ٨٨.

(٣) الفاتحة: ٤ .

(٤) يُنظر - على سبيل المثال - وتفسير الكشاف: ١/ ١٥٦، تفسير البحر المحيط: ١/ ١٤١، وتفسير القرطبي: ١/ ١٤٥.

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١٧٧.

(٦) تفسير السابق: ١/ ١٧٧.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. المصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ونستعين غيرك[١]، وقال الألوسيُّ: وعندي أن التكرارَ للإشعارِ أنَّ حيثيَّةَ تَعَلُّقِ العبادةِ به تعالى غيرُ حيثيَّةِ تَعَلُّقِ طلبِ الاستعانةِ منه سبحانه، ولو قال: (إياك نعبد ونستعين) لتُوُهِّمَ أنَّ الحيثيَّة واحدة، والشأنُ ليس كذلك؛ إذ لا بُدَّ في طلبِ الإعانةِ من توسُّطِ صفة، ولا كذلك في العبادةِ؛ فلاختلافِ التعلُّقِ أعادَ المفعولَ ليشيرَ بها إليه"[٢]

وللنورسيِّ لفتةٌ أخرى حيثُ يقول: "وكرَّرَ (اياك) لتزييدِ لذَّةِ الخطابِ والحضور.. ولأنَّ مقامَ العَيَانِ أعلى وأجلُّ من مقامِ البرهان.. ولأنَّ الحضورَ أدعَى الى الصدقِ وبأنْ لايكذب.. ولاستقلالِ كلٍّ من المقصدين"[٣]. والله أعلم.

وعند قولِه تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[٤] يقول المؤلف: "وتقديمُ المعمولِ في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ على عامِلِه هنا له فائِدتان؛ أولهما: لفظية؛ وهي مراعاةُ فواصلِ الآيات؛ والثانية: معنويَّة؛ وهي الحصرُ والاختصاص"[٥].

وقد رأى بعضُ المفسِّرين أنَّ التقديم هنا للاهتمامِ -إضافةً إلى رعاية الفواصل-[٦]، والتقديمُ للعنايةِ والاهتمامِ هو ما يجري عند أهلِ اللغة مجرى الأصلِ في هذا الباب[٧]، لكنَّ مجرَّدَ الاكتفاء به غيرُ كافٍ في بيانِ سرِّ التقديمِ وإيحاءاتِه، بل المطلوبُ أن يُعْرَفَ وجهُ هذه العناية[٨].

---

(١) يُنظر: تفسير القرطبي: ١/ ١٤٦، وتفسير البيضاوي: ١/ ٨٦.

(٢) تفسبر روح المعاني: ١/ ٩٠.

(٣) إشارات الإعجاز: ١/ ٢٥.

(٤) البقرة: ١٣٨.

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٩٧.

(٦) يُنظر: تفسير روح البيان: ١/ ٢٤٣.

(٧) دلائل الإعجاز: ١٠٧.

(٨) السابق: ١٠٨.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ولكنَّ الذي يبدو لي أنَّ ما ذكره المؤلِّفُ هو الصَّحيح، وهو في التخصيصِ موافقٌ لبعضِ المفسرينَ[1]؛ قال أحدُ الباحثين: "وأحسَّ البعضُ من خلالِ هذا التخصيصِ تعريضاً بأهلِ الكتابِ عموماً[2]، أو بالنصارى خصوصاً[3] -إذْ هم المعروفون بالاصطباغ في أيامنا هذه فيما نعلم-[4]، ثُمَّ إنَّ تقديمَ المسندِ إليه ﴿وَنَحْنُ﴾ بما أفادهُ من تخصيصِهم بعبادةِ الله دون غيرهم زيادةٌ في التعريض، والجملة الاسميةُ تفيدُ الدوامَ على عبوديَّتِهم لله، بعكسِ أولئك الذينَ حرَّفوا وبدَّلوا وعبدوا أهواءَهم، وممَّا يُؤكِّدُ التعريضَ المذكورَ؛ أنَّ الآيةَ جاءت في سياقِ محاجَّةِ اليهودَ والنصارى، وهو مناسبٌ - أيضاً - لسببِ نزولِ بعضِ الآياتِ في نفسِ السِّياق[5]؛ فقد قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[6][7].

---

(١) يُنظر - على سبيل المثال - نظم الدرر: ١/ ٢٥٧، وتفسير روح المعاني: ١/ ٣٩٨.

(٢) ينظر: من أسرار المغايرةِ في نسقِ الفاصلةِ القرآنية، د. محمد الأمين الخضري، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص: ٧٦-٧٧.

(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٧٢٢ - ٧٢٣.

(٤) قال ابنُ عاشور: "وظاهر كلام الراغب أنه إطلاق قديم عند النصارى إذ قال: وكانت النصارى إذا ولد لهم ولد غمسوه بعد السابع في ماء معمودية يزعمون أن ذلك صبغة لهم". تفسير التحرير والتنوير ١ / ٧٢٣.

(٥) يُنظر: أسباب النزول، أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الذخائر - مؤسسة الريان: بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ص: ٤١.

(٦) البقرة: ١٣٥ - ١٣٨.

(٧) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ١٣٤ فما بعدها .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقال أيضاً: "وكأنِّي ألمحُ في استخدامِ حرفِ الجرِّ - اللام - بدلا من أن يُقال: (ونحن عابدون) - مثلا - مزيداً من الدلالة على أنَّ عبادتَهم لله لم تكن إلا ابتغاءَ وجهِهِ جلَّ وعلا؛ إذ قد يعبد الإنسانُ اللهَ في الظاهرِ للرِّياء أو غيرِه، ولعلَّ مما يُؤَيِّدُ هذا الوجه تقديم الجارِّ والمجرور، وقد يكونُ التقديمُ للتَّعريضِ بالكفرةِ؛ لأنَّهم أشركوا في عباداتِهم ولَمْ يُخلصوا فيها إذ التقديمُ يفيدُ التخصيص، والله أعلم"(١).

وعند قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾(٢) يقول المؤلف بعدَ ترجيحِه أنَّ الجارَّ والمجرور متعلِّقٌ بـ﴿يَعْدِلُونَ﴾ لا بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: "وإنَّما قُدِّمَ على عاملِه مراعاةً لفواصل الآيات؛ لأنَّ الفواصلَ إذا جاءَت متناسقةً فإنَّ ذلكَ يكونُ ألذَّ للسَّامعِ، وأقبلَ للنَّفس"(٣).

ويرى بعضُ المفسِّرينَ - إضافةً إلى ما ذكره المؤلف - أن التقديمَ لمزيدِ الاهتمامِ والمسارعةِ إلى تحقيقِ مدارِ الإنكارِ والاستبعادِ(٤)، فمدارُ الإنكارِ على هؤلاءِ الكفارِ هو أنَّ الذي عدلوا به هو ربُّهم الذي ربّاهم بنعمِه(٥)، ويزيدُ الاستبعادَ وضوحاً: ﴿ثُمَّ﴾ الدّالة على التراخي الرتبي(٦)، ولعلَّ التعبيرَ بالمضارعِ يزيدُ من شناعةِ موقفِهم وغرابتِه، ثمَّ إنَّ حذفَ المفعول جاء مناسباً؛ لأنَّ كلَّ فريقٍ عدلوا بربِّهم وسوَّوا به إلهاً مختلفاً فأخذَ كلُّ فريقٍ منهم نصيبَه من الآية(٧)، والله تعالى أعلم.

---

(١) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ١٣٥ فما بعدها.

(٢) الأنعام: ١

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة الأنعام ص: ١٧.

(٤) يُنظر: تفسير أبي السعود: ٣/ ١٠٥، وتفسير روح البيان: ٣/ ٤.

(٥) يُنظر: نظم الدرر: ٢/ ٥٨٠.

(٦) يُنظر: تفسير الكشاف: ٢/ ٦، وتفسير التحرير والتنوير: ٦/ ١١

(٧) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ١٣٦ فما بعدها.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وعنـد قولـه تعـالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾(١) يقول المؤلف: "قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ مفعول مقدم لـ﴿يَظْلِمُونَ﴾؛ وقُدِّم لإفادةِ الحصر، أي: لا يظلمون بهذا إلا أنفسَهم؛ أما الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنَّهم لا يظلمونه؛ لأنَّه سبحانه وبحمده لا يتضرَّر بمعصيتِهم، كما لا ينتفع بطاعتهم" (٢).

ويقول ابن عاشور بعبارةٍ أكثرَ وضوحاً: "قُدِّم فيه المفعولُ للقصر، وقد حصل القصرُ أولاً بمجرَّد الجمع بينَ النفي والإثباتِ ثم أكَّدَ بالتَّقْديم؛ لأنَّ حالَهم كحالِ من ينكي غيرَه كما قيل: يفعلُ الجاهلُ بنفسِه ما يفعلُ العدوُّ بعدوِّه"(٣)، ويضيفُ الألوسيُّ أنَّ في ذلك ضَرْبَ تَهَكُّمٍ بهم"(٤).

ويرى أبو حيَّان أنَّ التقديمَ في هاتِه الآيةِ إنَّما هو ليَحْصُلَ به توافقُ رؤوسِ الآي والفواصل، وليدلَّ على الاعتناءِ بالإخبارِ عمن حلَّ به الفعل، ولأنَّه من حيثُ المعنى صار العاملُ في المفعولِ توكيداً لما يدلُّ عليه ما قبله؛ فليس ذكرُه ضروريًّا.... فلـمَّا كان معنى قوله: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ في معنى: ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾(٥)، كان ذكرُ العاملِ في المفعول ليس مُضطراً إليه، إذ لو قيل: (وما ظلمونا ولكن أنفسَهم)، لكان كلاماً عربياً، ويُكتفي بدلالة (لكن) أنَّ ما بعدها منافٍ لماقبلها، فلما اجتمعت هذه المحسنات لتقديم المفعول كان تقديمه هنا الأفصح(٦).

ولعلَّ في التعبيرِ عن ظلمِهم لأنفسِهم بكلمة ﴿كَانُوا﴾ والفعلِ المضارع

---

(١) البقرة: ٥٧.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ١٩٦.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٤٩٥.

(٤) تفسير روح المعاني: ١/ ٢٦٤.

(٥) هود: ١٠١.

(٦) تفسير البحر المحيط: ١/ ٣٧٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١- ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿يَظْلِمُونَ﴾ دلالةً على تماديهم في الظلمِ، واستمرارِهم عليه، ولعلَّ - كذلك- في ذِكْرِ ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ بجمعِ القِلَّةِ تحقيراً لهم وتقليلاً، والنفسُ العاصيةُ أقلُّ من كلِّ قليل[1]، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾[2] يقول المؤلف: "وفي قوله ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ فائدةٌ بلاغيّةٌ متعلقةٌ من حيثُ الإعراب بـ﴿فَٱرْغَب﴾ وهي مُقَدَّمةٌ عليها، وتقديمُ المعمولِ يفيدُ الحصر، يعني إلى الله لا إلى غيره فارغب في جميع أمورك"[3].

والرَّغبَةُ: طلبٌ، وهو طلبُ حصولِ ما هو محبوب[4]، قال الماورديُّ: "وفي الآية ثلاثةُ أوجه:

أحدها: فارغب إليه في دعائك قاله ابن مسعود.

الثاني: في معونتك.

الثالث: في إخلاص نيتك، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: فارغب إليه في نصرِك على أعدائك"[5].

وإفادةُ التقديم الحصرَ في هذه الآيةِ هو ما عليه المفسرون[6]؛ لأنَّ ذلك هو اللائقُ بمقامِ النبوَّةِ والرِّسالةِ، فإنَّ صفةَ الرسالةِ أعظمُ صفاتِ الخلقِ، فلا يليقُ بصاحبِها أن

----

(١) تفسير روح المعاني: ١/ ٢٦٤.

(٢) الشرح: ٨.

(٣) تفسير ابن عثيمين، جزء عمّ: ٢٥٥.

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة: ٢/ ٤١٥، تفسير التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٦٨.

(٥) تفسير النكت والعيون: ٦/ ٢٩٩.

(٦) يُنظر - على سبيل المثال - تفسير الكشاف: ٤/ ٧٧٧، تفسير الرازي: ٣٢/ ٨، التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٦٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

يرغبَ غيرَ الله تعالى[1]. ولعلَّ في حذفِ مفعول ﴿فَٱرۡغَبۡ﴾ إرادةُ التعميم؛ وذلك ليَعُمَّ كلَّ ما يرغبُه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الكمالِ النفسانيِّ وانتشارِ الدينِ ونصرِ المسلمين[2]. والله أعلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٦٩.

(٢) السابق: ٣٠/ ٣٦٩.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

المبحثُ الثالثُ
أساليب الإنشاء

الأساليبُ الإنشائيةُ -وبالتحديد الطلبية منها لأنَّها محلُّ دراسةِ البلاغيين- ثريَّةٌ بالمعاني عندما تخرجُ عن معناها الأصليِّ، بل وتختلفُ فيها وجهاتُ النظرِ باختلافِ تفاعلاتِ النُّفُوسِ مع النُّصُوصِ واختلافِ الأذواقِ والأحاسيس[1].

وقد أكثرَ المؤلّفُ من التَّعرُّضِ لآياتٍ خرجَ فيها الإنشاءُ الطلبيُّ عن معناه الأصلي، ونلخِّصُ ما دار حوله كلامُ المؤلفِ فيما يلي:

أولاً: الأمــــر:-

وهو من الأساليبِ التي تتعدَّد دلالتها خارجةً عن معناها الأصلي بحسب اختلاف السياق، ومن هذه الدلالات التي أشار إليها المؤلف:

١-التحدِّي والتعجيز:

وقد جمعتُهما في نقطةٍ واحدةٍ لتقاربهما، وقَرْنِ المؤلفِ بينَهما في بعضِ الآيات، ومن الآياتِ التي توقَّف عندها المؤلفُ قولُه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2] حيث يقول المؤلف: " ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾: أمر يُقصدُ به التحدي، يعني: إذا كنتم في شكٍّ من هذا القرآنِ فإننا نتحداكم أن تأتوا بسورةٍ واحدةٍ ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ "[3].

---

(١) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ١٥٢ .

(٢) البقرة: ٢٣ - ٢٤

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٨٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ولعلَّ الأمرَ هنا – إضافةً إلى التَّحَدِّي – يفيد التعجيزَ أيضاً[1]؛ فالآيةُ جاءت لتثبتَ رسالةَ محمدٍ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من خلال إثباتِ أنَّ القرآنَ كلامُ الله[2]، فناسبَها هذا التعجيزُ الذي يَظهرُ به بطلانُ دعاوى المكذِّبين.

ويضيف النورسيُّ مع التَّحدِّي والتعجيزِ أموراً أخرى فيقول: "وفيه التَّحدِّي والتقريعُ والدَّعوةُ إلى المعارضةِ والتَّجرِبةِ ليُظهِرَ عجزَهم"[3]، ولا تعارضَ بينَ شيءٍ مما ذكرَه؛ لأنَّ "النّصَّ على معنىً بلاغيٍّ واحدٍ في الأسلوبِ عند العلماءِ لا يعني أكثرَ من وضوحِ هذا المعنى وشهرتِهِ، وإلاَّ فإنَّ أيَّ أسلوبٍ إنشائيٍّ سواءٌ كان أمراً أم غيرَه يُفيدُ مجموعةً من المعاني المتقاربةِ المتداخلةِ يثيرُها الأسلوبُ في النَفسِ المتلقِّية، وهي معانٍ شعوريَّةٌ أو نفسيَّةٌ وعقليَّة؛ ولهذا فقد نجدُ اختلافاً في تسميةِ هذا المعنى أو تعيينهِ بينَ العلماءِ؛ لأنَّها أمورٌ ذوقيَّةٌ نفسيَّةٌ متقاربة"[4]، ومما يزيدُ التعجيزَ وضوحاً في الآيةِ تنكير ﴿بِسُورَةٍ﴾ لتشملَ أيَّ سورةٍ مهما كانت صغيرةً، ومما يزيد قوَّة التحدِّي قولُه: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ مما يدفعُهم دفعاً إلى فعلِ أيِّ شيءٍ – لو كانوا صادقين في دعواهم وجود الريب –، ثم تزيدُ قوَّتُه أكثر وأكثر بـ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ التي أثبتت – بعدمِ إنكارِهم لها – عجزَهم التَّامّ، مع التعبيرِ بعدمِ الفعلِ والنفي بـ﴿وَلَن﴾ –التي فيها زيادةُ تأكيدٍ وتشديد– مع أنَّ المطلوبَ هو الإتيانُ بسورةٍ فدلَّ على عجزٍ تامّ[5].

---

(١) يُنظر: تفسير روح البيان: ١/ ٧٩، ويُنظر كلام المؤلف نفسه في آية الطور الآتية، وهي مشابهة لمعنى هذه الآية.

(٢) تفسير روح المعاني: ١/ ١٩٢.

(٣) إشارات الإعجاز: ١/ ٢٠٢.

(٤) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة: مصر، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م، ص: ١٧ – ١٨.

(٥) يُنظر: الأساليب الإنشائية ص: ٤١، وتفسير أبي السعود: ١/ ٦٧.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وقد يُقال: إنَّ الجملةَ الاعتراضية ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ لبيانِ التحدِّي في الماضي والمستقبل، وبيانِ العجزِ التَّامِّ في جميعِ العصورِ والأزمان[1]، ثمَّ قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ وكأنَّ النتيجةَ حتميَّةٌ، ولم يَبْقَ لهم بدلاً من الانشغالِ بما لا يُجدي ولا يوصَلُ فيه إلى شيءٍ إلاَّ السعيِ إلى اتِّقاءِ النَّارِ، وذلك بالإيمانِ والعملِ الصَّالح[2]، واليقين بأنَّ القرآن حقٌّ من عند الله لاريب فيه، والله تعالى أعلم.

وعند قولِه تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[3] يقول المؤلف: "﴿هَاتُواْ﴾ فعل أمر... والأمرُ هنا للتحدِّي والتعجيز"[4].

ولعلَّه كذلك - كما يبدو لي - متضمِّنٌ معنى التَّكذيب لهم وقد "أتى بـ﴿إن﴾ المفيدةِ للشكِّ في صدقِهم مع القطعِ بعدم الصدقِ؛ لاستدراجِهم حتىَّ يعلموا أنَّهم غيرُ صادقين حين يَعْجَزُونَ عن البرهان؛ لأنَّ كلَّ اعتقادٍ لا يقيمُ معتقِدُه دليلُ اعتقادِه فهو اعتقادٌ كاذبٌ؛ لأنَّه لو كان له دليلٌ لاستطاع التعبيرَ عنه، ومن بابِ أولى لا يكونُ صادقاً عند من يريدُ أن يروِّجَ عليه اعتقادَه"[5].

ولعلَّ في جمع الخبر ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ مع أنَّ ما أشيرَ إليه أمنيةٌ واحدةٌ، دلالة على تردُّدِ الأمنيةِ في نفوسِهم وتكرُّرِها[6]. والله أعلم

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، بإشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ١/ ٣٦.

(٢) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص: ١٥٢ فما بعدها .

(٣) البقرة: ١١١.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣٦٦.

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١/ ٦٥٦، وينظر تفسير أبي السعود: ١/ ١٤٧.

(٦) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٥٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وعنـــد قولـــه تعـــالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾[1] يقول المؤلف: "﴿فَلْيَأْتُوا﴾ "اللام" هنا للأمر، والمقصودُ به التَّحدي والتعجيز... وهذا غايةُ التَّحدي، فعجزوا وما استطاعوا أن يأتوا بحديثٍ مثله، مع أنَّهم أمراءُ البلاغة، وسلاطينُ الفصاحة، لكن عجزوا، فدلَّ عجزُهم على أن القرآن ليس من كلامِ البشر، بل هو من كلام الله عَزَّوَجَلَّ"[2].

وقد تقدَّمَ شيءٌ من ذلك عند قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[3]، وهنا لَمَّا اتَّهموا الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنَّه تقوَّله من تلقاءِ نفسِه؛ تحدَّاهُم الله بأنْ يأتوا بمثله ﴿إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ أنّه تقوَّله؛ لأنَّ عجزَهم عن أن يأتوا بمثلِه دليلٌ على أنَّهم كاذبون في دعواهُم هذه، قال ابن عاشور: "ووجه الملازمة - أي بين اتهامِهم بأنَّه تقوَّله وبين تحدِّيهم بأن يأتوا بمثلِه - أنَّ محمدا - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحدُ العرب، وهو ينطقُ بلسانِهم؛ فالمساواة بينه وبينهم في المقدرةِ على نظمِ الكلامِ ثابتة، فلو كان القرآنُ قد قاله محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لكانَ بعضُ خاصَّةِ العربِ البلغاءِ قادراً على تأليف مثله، فلما تحدَّاهم الله بأن يأتوا بمثلِ القرآنِ وفيهم بلغاؤهم وشعراؤهم وكلمتُهم وكلُّهم واحدٌ في الكفرِ؛ كانَ عجزُهم عن الإتيانِ بمثلِ القرآنِ دالاًّ على عجزِ البشرِ عن الإتيانِ بالقرآن"[4].

ويرى الفخرُ الرَّازيُّ أن الأمرَ ههنا مبقيٌّ على حقيقتِه، وعلّل ذلك بأنَّه لم يَقُلْ: (ائتوا) مطلقاً بل إنما قال: (ائتوا إن كنتم صادقين) وعلى هذا التقديرِ ووجودِ ذلك الشرطِ يجبُ الإتيانُ به، وأَمْرُ التعجيزِ في كلام الله قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ

---

(١) الطور:٣٣- ٣٤.

(٢) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد: ص:١٩٣.

(٣) يُنظر: ص ١٧٠ من هذه الرسالة، وينظر: تفسير البحر المحيط: ٨/ ١٤٩، وتفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ٧٨.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ٧٧.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[1] ولـيس هـذا بحثـاً يـورث خلـلاً في كلامهم[2].

والذي أرى أنَّ الأمرَ ههنا ليس على حقيقتِه، وإنّما هو للتَّحدِّي والتعجيزِ - كما تقدَّم - لأنَّ الله جلَّ وعلا يعلمُ أنَّهم لن يستطيعوا ذلك ولن يفعلوه كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[3]؛ فلن يأمرَهم اللهُ بشيءٍ يعلمُ أنَّهم لن يفعلوه ولن يقدروا عليه ولئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ معهم على ذلك، كما أنَّه - جلَّ وعلا - يعلمُ أنَّهم كاذبون في دعواهم واتهامهم بأنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تقوَّله؛ فليس بحاجةٍ إلى إثباتِ صحَّةِ دعواهم؛ فكان ذلكَ تحدٍّ منه - جلّ وعلا - لإظهارِ عجزِهم؛ قال الألوسيُّ: "فالكلامُ ردٌّ للأقوالِ المذكورةِ في حقِّه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ والقرآنِ، بالتحدي فإذاتُحُدُّوا وعجزوا عُلِمَ رَدُّ ما قالوه وصِحَّةُ المدعي"[4]، والله تعالى أعلم.

٢- الإباحة:-

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[5]، فقد عدَّ المؤلف الأمرَ في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾: "أمر إباحة"[6].

وهذا هو الذي عليه المفسرون، قال ابن جرير:" فإن قال قائل: أففرضٌ

---

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) تفسير الرازي: ٢٨/ ٢٢٢.

(٣) الإسراء: ٨٨.

(٤) تفسير روح المعاني: ٢٧ / ٣٧.

(٥) البقرة:٢٢٢.

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة:٣/ ٨٢.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

جِماعُهن حينئذٍ؟ قيل: لا. فإن قالَ: فما معنى قولِه إذًا: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ ؟ قيل: ذلك إباحةُ ما كان منعَ قبلَ ذلك من جماعِهن، وإطلاقٌ لما كان حُظِرَ في حالِ الحيض، وذلك كقولِه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾[1] وقولِه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[2]، وما أشبه ذلك"[3].

ومما يَحْسُنُ الوقوفُ عندَه في هذه الآيةِ الكريمةِ، التعبير بـ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ ولم يَقُلْ: (فإذا طَهُرْنَ)؛ وذلك لأنَّ (فإذا طَهُرْنَ) معناها امتنعَ عنهنَّ الحيض، و(تَطَهَّرْنَ) يعنى اغتسلنَ من الحيض[4]؛ لأن صيغةَ (تَطَهَّرَ) تَدُلُّ على طهارةٍ مُعْمَلة[5]؛ ولذلك يؤَكِّدُ الشعراويُّ أهميَّةَ الدِّقَةِ في اختيارِ التعبير فيقول: "ولذلك نشأَ خلافٌ بينَ العلماءِ، هل بمجرَّدِ انتهاءِ مُدَّةِ الحيض وانقطاع الدَّم يُمْكِنُ أنْ يُبَاشِرَ الرجلُ زوجتَه، أم[6] لابُدَّ من الانتظارِ حتى تتطهَّرَ المرأةُ بالاغتسال؟"[7]، ويضيفُ قائلاً: "ومن عجائب ألفاظِ القرآنِ أنَّ الكلماتِ تؤثِّرُ في استنباطِ الحكم"[8].

وهذا من وجهةِ نظري توجيهٌ في محلّه، ولكنّ الذي يتبيّنُ لي أنّ الذي وقع

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) الجمعة: ١٠

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٣٨٥، ويُنظر – على سبيل المثال –: تفسير البحر المحيط: ٢/ ٥٦، وتفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٣٥١، وتفسير القرطبي: ٣/ ٩٠، وتفسير روح المعاني: ٢/ ١٢٣.

(٤) تفسير الشعراوي: ٣/ ٢٢٥.

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٣٤٩.

(٦) والصَّحيح أن يُقال: (أو") بدلاً من (أم)؛ لأنَّ (هل): لطلب التصديق فحسب،ووقوع المفرد فيه بعد (أم) دليل على أنها متصلة يُطلب بها تعيين أحد الشيئين مع العلم بثبوت الحكم، فلا يصح اجتماعها و(هل)، ويصح اجتماعها و(أم) المنقطعة؛ لأنها بمعنى (بل)، يُنظر – على سبيل المثال – الإيضاح مع البغية:٢/ ٣٠ فما بعدها.

(٧) تفسير الشعراوي: ٣/ ٢٢٥.

(٨) تفسير السابق: ٣/ ٢٢٥.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الخلافُ بين العلماءِ من أجلِه؛ ليس منزعُه قولُه تعالى ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ إنما مَنْزعُه قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ حيثُ إنّه قد ورد قراءةٌ أخرى متواترة، وهي (حتّى يَطَّهَّرْنَ)[1]، ويكون توجيهُها، أي اجتنبوا مجامعتهنّ حتى ينقطعَ الدّمُ عنهن ويغتسلنّ بالماء[2]؛ فاختلفَ المعنى تبعاً لاختلافِ القراءة؛ ومن هنا نشأ الخلافُ بين الفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ[3] وهذا من وجوهِ إعجازِ القراءات القرآنية[4].

ومن ذلك الأمر بـ(الاعتزال) في قوله: ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ﴾ ثمَّ الأمر مرّةً أخرى بـ(عدمِ الاقتراب) في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ ولعلَّ الفخرَ الرَّازيَّ قد وفِّقَ لتوجيهِ ذلك التعبيرِ الفريدِ حيثُ يقول: "فاعلمْ أنَّ قوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ أي: ولا تجامعوهن، يقال: قَربَ الرجلُ امرأتَه إذا جامعها، وهذا كالتَّأكيد لقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ﴾، ويُمْكِنُ - أيضاً - حملُها على فائدةٍ جليلةٍ جديدةٍ وهي: أن يكونَ قولُه: ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ﴾ نهياً عن المباشرةِ في موضعِ الدَّم،

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر، يُنظر: النشر في القرآءات العشر، الحافظ أبو الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرفَ على تصحيحه ومراجعته للمرَّةِ الأخيرة: الشيخ علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، ١/ ٢٧٧ .

(٢) الإعجاز في تنوع وجوه القراءات، أ.د.عبدالكريم إبراهيم صالح، دار الحرمين – القاهرة،ص٧١ .

(٣) فالجمهور على أنّ المرأةَ إذا انقطعَ حيضُها لايحلُّ لزوجها أن يطأها إلاّ بعدَ أن تغتسل بالماء، وهذا قول مالك، والأوزاعي، والشافعي، والثوري، وأحمد بن حنبل، خلافاً لأبي حنيفة، الذي يرى أنّ المرادَ بالطّهرِ انقطاعُ الدم، فإذا انقطع جاز لزوجها أن يطأها قبل الغسل؛ إذا كان الدم قد انقطع لأكثر الحيض وهو عشرة أيام، وإذا كان انقطاعه قبل العشَرَة لم يجز حتى تغتسل، يُنظر: مختصر الخرقي من مسائل الإمام أحمد، لأبي القاسم الخرقي، تحقيق: زهير شاويش، طبعة: المكتب الإسلامي – بيروت، ص٢١، والمبدع في شرح المقنع، لابن مفلح، طبعة: المكتب الإسلامي - بيروت، ١/ ٢٦٢، والإعجاز في تنوع وجوه القراءات، ص:٧١ .

(٤) وأرى أنّ موضوع (إعجاز تنوع القراءات القرآنية) بحاجة ماسّة إلى دراسات بلاغية ، فما زالت غضة طريّةً .

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقولَه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ يكونُ نهياً عن الالتذاذِ بما يَقْرُب من ذلك الموضع"[1].

كما أنَّ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْمَحِيضِ﴾ معنىً بلاغيًّا آخرَ، وهو: وضعُ الظَّاهرِ ﴿ٱلْمَحِيضِ﴾ موضعَ المضمرِ؛ إذ لو قال: (فاعتزلوا النساء فيه) لتمَّ المعنى واتّضح، ولكنْ عبَّرَ بالظاهرِ موضعَ المُضمَر فقال: ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ﴾ وذلك لكمالِ العنايةِ بشأنِه؛ بحيثُ لا يُتوهَّمُ غيرُه أصلاً"[2].

كما نلحظ التَّأَدُّبَ في الخطابِ القرآنيِّ - كعادِته -، ويَظهرُ ذلك جليّاً في التعبيرِ بـ(الاعتزالِ) كنايةً عن تركِ الجماع والمباشرة، والتعبيرِ بـ(النهي عن قربهن) كنايةً عن النهي عن جماعِهن، والتعبيرِ بـ(الإتيان) كنايةً عن الوَطْءِ!!؛ يقول ابنُ عاشور: "عبَّرَ بالإتيانِ - هنا - وهو شهيرٌ في التَّكَنِّي به عن الوَطْء؛ لبيانِ أنَّ المرادَ بالقُرْبانِ المنهيِّ عنه هو ذلكَ المعنى الكنائِي، فقد عَبَّرَ بالاعتزالِ، ثم قَفَّي بالقُرْبَان، ثم قَفَّي بالإتيانِ، ومع كلِّ تعبيرٍ فائدةٌ جديدةٌ، وحُكْمٌ جديدٌ، وهذا من إبداعِ الإيجازِ في الإطناب"[3].

ومن ذلك مناسبةُ ختمِ الآية لما قَبْلَها، حيثُ ختَمها - جلَّ وعلا - بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ وهنا نتركُ المجالَ للألوسيِّ ليبيِّنَ لنا ذلك حيثُ يقول: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ مما عسى يَنْدُرُ منهم من ارتكابِ بعضِ الذنوبِ، كالإتيانِ في الحيضِ المُورِثِ للجُذَامِ في الولدِ، كما ورد في الخبر والمستدعي عقابَ الله تعالى... ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزِّهين عن الفواحشِ والأقذارِ؛ كمجامعةِ الحائضِ، والاتيانِ لا من حيثُ أمرَ الله تعالى، وحَمْلُ التَّطَهُّرِ على التَّنَزُّه؛ هو الذي تقتضيه البلاغة وهو مجاز...والجملتانِ تذييلٌ مُستقِلٌّ لما تقدَّم"[4].

---

(١) تفسير الرازي: ٦/ ٥٨.

(٢) تفسير روح المعاني: ٢/ ١٢١.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٣٥١.

(٤) تفسير روح المعاني: ٢/ ١٢٤، وينظر: تفسير الكشاف: ١/ ٢٩٣، وتفسير البحر المحيط: ٢/ ١٧٩.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ولعلَّ في قوله تعالى: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ إيذانٌ بقبولِ توبةِ من يقعُ منه خلافَ ما شُرع له[1]، والله تعالى أعلم.

٣- التهديد:-

فعند قولِه تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[2]، عدَّ المؤلفُ الأمرَ في قولِه تعالى: ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾ "أمرَ تهديد"[3]، وهذا هو رأيُ جميعِ المفسرين سوى الزَّمخشريِّ فقد عدَّ الأمرَ - هنا - للتخيير[4]، يقول الشنقيطي: "ظاهرُ هذه الآيةِ الكريمةِ بحسب الوضعِ اللُّغَوي التخيير بين الكفر والإيمان، ولكنَّ المرادَ من الآيةِ الكريمةِ ليس هو التخيير، وإنما المرادُ بها التهديدُ والتخويف، والتهديدُ بمثلِ هذه الصِّيغةِ التي ظاهرُها التخييرُ أسلوبٌ من أساليبِ اللُّغةِ العربيَّةِ، والدليلُ من القرآنِ العظيم على أنَّ المرادَ في الآيةِ التهديدَ والتخويفَ، أنه أتْبَعَ ذلك بقولِه: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ وهذا أَصْرَحُ دليلٍ على أنَّ المرادَ التهديدَ والتخويف؛ إذ لو كان التخييرُ على بابِه لما تُوعِّدَ فاعلُ أحدِ الطرفين المخيرِ

---

(١) تفسير البحر المحيط: ٢/ ١٧٩.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة الكهف: ص: ٦٢.

(٤) تفسير الكشاف: ٢/ ٦٧٢، حيث يقول:" وجيء بلفظ الأمر والتخيير، لأنه لما مُكِّنَ من اختيارِ أيهما شاء، فكأنه مُخَيَّرٌ مأمورٌ بأن يتخيرَ ما شاء من النجدين"، وقد بيَّنَ العلماءُ أنَّ ذلك على طريقِ المُعتزلة وهو أن الأمرَ في الإيمانِ والكفرِ والطاعةِ والمعصيةِ مُفَوَّضٌ إلى العبدِ واختياره، وبيَّنوا أنَّه لو كان هذا تخييرا من الله لهم لم يعذبهم على الكفر ولم يُذَموا عليه كما لا يُعذَّبون ولا يُذَمُّون على التكفيرِ بالإطعامِ أو الكسوةِ أو العتق لما خيرهم الله بذلك. ينظر: الانتصار في الرَّدِّ على القدرية، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود الخلف، نشر: أضواء السلف، ١٩٩٩م، ص: ٢/ ٥٢٨، ويُنظر: تفسير الرازي:٢١/ ١٠١، وتفسير البحر المحيط:٦/ ١١٥.

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

بينهما بهذا العذابِ الأليم، وهذا واضحٌ كما ترى"[1]، ويُضيفُ الألوسيُّ: "وفيه من التهديدِ وإظهارِ الاستغناءِ عن متابعتِهم التي وعدوها في طردِ المؤمنينَ وعدمِ المبالاةِ بهم وبإيمانِهم وجوداً وعدماً ما لا يخفى[2].

كما أنَّ في التعبيرِ بما يدلُّ على المستقبَلِ ﴿يَكۡفُرۡ﴾ إشارةً إلى أنَّ الوعيدَ مختَصٌّ بمن يستمِرُّ على كفرِه وعنادِه، ثُمَّ إنّ في قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ استئنافاً بيانيّاً يوضِّحُ سوءَ العاقبةِ والمآل – عياذا بالله –؛ فكأنَّ قائلٌ يقول: فماذا يُلاقي من شاءَ فاستمرَّ على الكفر؟ فيُجاب بأنَّ الكفرَ وخيمُ العاقبةِ عليهم، ولعلَّ تنيكرَ ﴿نَارًا﴾ يزيد الأمرَ تهويلاً وتخويفاً[3]﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرًا ١١٣﴾[4].

ولعلَّ في التعبيرِ بـ﴿يُغَاثُواْ﴾ مع أنَّها تدلُّ على الإغاثةِ والنُّصرة[5] تهكُّماً بهم وتشبيهاً للشيءِ بما يشبه ضدَّه[6]، ثمَّ إنَّ في تشبيهِ الماءِ بـ(**المُهْلِ**) – وهو خُثَارَةُ الزَّيتِ أو النُّحَاس الذَّائب[7]– والتشبيهُ في سوادِ اللون وشدَّةِ الحرارةِ – ما يُصوِّرُ شدَّةَ التهابه فلا يزيدُهم إلا حرارة والتهابا، ولذلك عقَّبَ بقوله: ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ ولعلَّه اختارَ الوجهَ لأنّه أشدُّ الأعضاءِ تألُّماً من حرِّ النار[8]، ولأنَّه أشرفُ مافي الإنسان، فيتحقَّق بذلك الخزيُ والإذلالُ لهم، فكما أن تلكَ الوجوهَ لم تذلَّ لله في الدنيا فإنَّها مُتوَعَّدةٌ بالعذابِ والخزيِ والنَّكَالِ يومَ القيامة، نسألُ الله السلامةَ والعافية.

---

(١) تفسير أضواء البيان: ٣/ ٢٦٦. ويُنظر – على سبيل المثال –: تفسير البحر المحيط:٦/ ١١٥، وتفسير الرازي:٢١/ ١٠١، وتفسير القرطبي:١٠/ ٣٩٣.

(٢) تفسير الألوسي: ١٥/ ٢٦٦.

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٥/ ٥٧.

(٤) طه: ١١٣.

(٥) مقاييس اللغة: مادة (غوث)، ٤/ ٤٠٠.

(٦) تفسير روح المعاني: ١٥/ ٢٦٨، وتفسير التحرير والتنوير: ١٥/ ٥٧.

(٧) مقاييس اللغة: مادة (مهل): ٥/ ٢٨٢.

(٨) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٥/ ٥٧.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

٤- الإهانة:-

فعنـد قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾(١) عدّ المؤلفُ الأمرَ في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ﴾ "أمرَ إهانـة"(٢)، أو هـو تقريـعٌ بـما نـالهم مـن العذابِ أي: "فذوقوا معشرَ قومِ لوطٍ مـن سـدوم، عـذابي الـذي حـلّ بكـم، وإنـذاري الذي أنذرتُ به غيرَكم من الأممِ من النَّكال والمُثُلات"(٣).

ومن المفسِّرين من قال إنَّ الَّلفظَ - هنا - لفظُ الأمرِ؛ ولكنَّ المرادَ بـه الخـبر أي: (فأَذَقْتُهم عذابي كما أَخْبَرَتْهُمُ النُّذُر)(٤)، والله أعلم.

وممَّا يحسنُ الوقـوفُ عنده - في هـذه الآيـةِ الكريمـةِ - تـصديرُ القـصَّةِ بالتوكيـدِ القَسَمِيِّ؛ وذلك لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بشأنِها؛ لعِظَمِ ما فيها من الآياتِ وكثرتِها وهَـوْلِ ما لا قوه من العذابِ وقُوَّةِ إيجابِها للاتِّعاظ(٥).

كما يُلحَظُ إسنادُ المراودةِ إلى ضميرِ قومِ لوطٍ وإنْ كان المراودون نفراً منهم؛ لأنَّ ما راودوا عليه هو مُرادُ جميعِ القومِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عن تعيينِ من يفعلُه(٦).

ومن ذلـك استعمالُ الـذَّوقِ في الإحـساسِ بالعـذابِ، وهـو مـن المجازِ المرسلِ بعلاقةِ التقييد في الإحساس(٧).

كما أنَّ قولَه تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ قـد تكـرَّر بعـد الآيـةِ التـي تـلي هـذه الآيـة قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾؛ يقـول

---

(١) القمر: ٣٧.

(٢) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد،: ص: ٢٨٦.

(٣) تفسير النكت والعيون: ٥/ ٤١٨، وتفسير الطبري: ٢٢/ ٥٩٨.

(٤) تفسير القرطبي: ١٧/ ١٤٤، تفسير بحر العلوم: ٣/ ٣٥٥.

(٥) تفسير روح المعاني: ٢٧/ ٩١.

(٦) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ١٩٦.

(٧) السابق: ٢٧/ ١٩٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الزَّمخشريُّ: "وفائدتُه أن يجدّدوا عند استماعِ كلِّ نبإٍ من أنباءِ الأوّلينَ ادكاراً واتعاظاً، وأن يستأنِفوا تنبهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحثَّ على ذلك والبعثَ عليه، وأن يَقْرَعَ لهم العصا مرات، ويُقَعْقِعَ لهم الشنَّ تارات؛ لئلا يغلبَهم السَّهو ولا تستولى عليهم الغفلة"[(١)]، كما أنَّ في ذلك توكيدٌ وتوبيخٌ لهم عند تصبيح العذاب إياهم[(٢)]. والله أعلم.

ثانياً: الاستفهـــــام:-

هو بابٌ جليلُ القَدْرِ في البلاغةِ العربية، وخاصَّةً في بلاغةِ القرآن، وتأثيرُه على عاطفةِ المتلقِّي شديدٌ جداً، ومعانيه متوافرةٌ متكاثرةٌ أكثر من أيِّ بابٍ من أبوابِ البلاغة، ولذا اهتمَّ به البلاغيون قديماً وحديثاً[(٣)]،والأصل فيه طلَبُ الإِفْهامِ والإِعْلاَمِ لتَحْصِيلِ فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدَى المُستَفْهِم، وقَد يُراد بِالاستفهام غيْرُ هذا المعنى الأصليّ له، ويُسْتَدلُّ على المعنى المراد بالقرائن القوليّة أو الحالية[(٤)]، وهو المقصود عند البلاغيين، وسأتكلَّمُ عن أغراضِ الاستفهامِ من خلالِ بعضِ ما ذكرَه المؤلفُ في النقاط التالية:

١- التنبيه والتشويق:-

ومن الأمثلةِ التي حملَها المؤلفُ على التنبيهِ والتشويق:قول الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾[(٥)]، حيثُ يقول: "قوله: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ ﴾: والاستفهامُ يفيدُ تنبيهَ المخاطبِ وحضورَ قلبِه لما سيُلقي إليه، فهو كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

---

(١) تفسير الكشاف: ٤/ ٤٣٩. وكذلك: تفسير البحر المحيط: ٨/ ١٨٠، وتفسير البيضاوي: ٥/ ٢٦٩.

(٢) يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٨/ ١٨٠، والمحرَّر الوجيز: ٥/ ٢٠٠.

(٣) يُنظر: التفسير البلاغي للاستفهام: ١/ ٣-٦.

(٤) البلاغة العربية للميداني: ١/ ٩٨ .

(٥) آل عمران: ١٥.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿١٠﴾[1] ثمَّ إنَّ في هذا الاستفهامِ معنىً غيرَ التنبيه وهو: التشويق، يعني: بعد أنْ قصَّ اللهُ علينا متاعَ الحياةِ الدنيا أَمَرَ نبيَّه أن يقول للناس:: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾؛ ليشوقهم إلى ذلك الخير"[2].

وقد سُبِقَت الآيةُ بذكرِ شهواتٍ دنيويةٍ، حيثُ قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ ثم يأتي الاستفهامُ الذي يفيدُ التنبيهَ والتشويقَ -كما ذكر المؤلف وغيرُه -[3]، حيث يأتي لشدِّ انتباهِ السامعين - بعد أن ذكر تلك الأمورَ التي تزيَّنتْ وتبهرجت لبني البشر - يأتي ليَشُدَّ ويَلْفِتَ انتباهَهم إلى ما هو أعظمُ بكثيرٍ من ذلك، وزادَ التشويقَ بأن أجْمَلَ ثم فَصَّلَ[4] ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ ثُمَّ بَيَّنَ الثوابَ الجزيلَ الأخروي، ومما يزيدُ من لَفْتِ الانتباه الافتتاحُ بـ﴿قُلْ﴾ مما يُشْعِرُ السَّامعَ بأهميَّةِ ما سيُلقى[5]، ثم يجيءُ التفصيلُ المشوِّقُ الذي يَشُدُّ كلَّ مؤمنٍ بالقرآن إلى الدَّارِ الآخرةِ وينتشلُه من شهواتِ الدُّنيا المزيَّنة، كما أنَّ التَّنْبِئَةَ من النَّبأ؛ وهو: "خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصلُ به علمٌ أو غلبةُ ظن"[6] مما يدلُّ على أهميةِ ما سيُلقى، وهذا ممّا يزيدُ التشويقَ إليه[7].

---

(١) الصف: ١٠.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ١/ ٩٥.

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٣/ ٤١، وتفسير روح المعاني: ٣/ ١٠٠، وتفسير أبي السعود: ٢/ ١٥.

(٤) تفسير أبي السعود: ٢/ ١٥.

(٥) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٣/ ٤١، والتفسير البلاغي للاستفهام: ١/ ١٥٤.

(٦) مفردات الراغب (ن ب أ). ويُنظر ص: من هذا البحث.

(٧) مباحث المعاني في تفسير روح البيان:ص١٦٥ فمابعدها، ويُنظر: تفسير المنار: ٣/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١- ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

٢-الإغراء:-

فعنـد قولـه تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)﴾(١)، يقـول المؤلـف: "والاسـتفهام هنا بعنى الإغراء؛ لكن بأيِّ شيء؟ بالانتهاء، فهو أبلغ من قوله: فانتهوا، يعني فهل بعد هذا البيان والإيضاح هل تنتهون؟ الجواب: نعم ننتهي، ولهذا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انتهينا، انتهينا(٢)"(٣).

والإغراءُ هـو: تنبيهُ المخاطَب على أمرٍ محمودٍ ليفعلَه، وهـو على تقـدير فعلٍ محذوف تقديره (الزم)(٤)، فيكون في الاستفهام هنا معنى الأمر(٥)، وربَّما يُفهم ذلك من قول المؤلف: "فهو أبلغ من قوله: فانتهوا".

والآيةُ ورَدَت في سياقِ تحريم الخمر، بل هي آخرُ ما نزل في تحريمها(٦) بعدَ عِدَّةِ مراحلٍ من التدرُّج؛ ولذا فمن المتوقَّع أن يكونَ الخطابُ هنا في أقوى صورةٍ بعد أن هُيِّئت النفوسُ لتَقَبُّلِ هذا الحكم الذي يخالفُ أمراً تعلَّقت به قلوبُ العرب؛ فجاء الخطابُ في صورة الاستفهامِ الخارجِ عن معناه الأصلي، ففيه توكيدٌ كما لا يخفى(٧).

وقـد جـاءَ الأمـرُ: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي الـرجس الـذي الخمـر إحـدى أنواعـه،

---

(١) المائدة: ٩٠-٩١.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١/ ٤٤٣، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة: ٢/ ٣٣٣.

(٤) يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ٤/ ٧٤.

(٥) تفسير روح البيان: ٢/ ٤٣٦، وتفسير البحر المحيط: ٣/ ٥٤٥ و٤/ ١٨.

(٦) الصحيح من أسباب النزول: ص: ١٧٢ - ١٧٣، ومسند الإمام أحمد: ١/ ٤٤٣.

(٧) مباحث المعاني في تفسير روح البيان: ص١٦٩ فمابعدها.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

والاجتنابُ أبلغُ من التركِ؛ لأنَّه يفيدُ الأمرَ بالتَّركِ مع الابتعادِ عن المتروكِ - ولم يُعبِّر بالاجتنابِ في القرآنِ إلاَّ في تركِ الشِّركِ والطاغوت -(١)، ثُمَّ قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فجعلَ الاجتنابَ من الفلاحِ؛ وإذا كان الاجتنابُ فلاحاً كان الارتكابُ خيبةً ومحقةً(٢)، فإذا لم تَجتنَبوا فكيفَ ترجون الفلاح أيها المؤمنون؟ والذي هو الفوزُ بالمطلوبِ والنَّجاةُ من المرهوبِ(٣)، ثمَّ أعادَ أسلوبَ الحصْر (إنَّما) وقال: ﴿يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ وكلُّ مؤمنٍ لا يريدُ أن يحقّق مرادَ الشيطان.

وقد جاءت هذه الآيةَ تعليلٌ لتحريمِ الخمر(٤)، ثُمَّ بيَّنَ أنَّها تثيرُ العدواةَ والبغضاءَ(٥) وانَّها تصُدُّ عن ذكرِ الله وعنِ الصَّلاة؛ فهذا تنفيرٌ واضحٌ منها أيضاً.

ثمُ قال سبحانه مُفرِّعاً بـ(فاء) السببيَّة: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ولا يُمكنُ الفصلَ بين السببِ والمسبِّب(٦)، أو هي للتَّفريع على ما سبَقَ من قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ فما ظهرَ من مفاسِدِ الخمرِ نتجتُه الحتميَّةُ الانتهاء(٧).

كما أنَّ الاستفهامَ قد جاء بـ(هَلْ) وهي المناسبُ لمعنى تحقيقِ الإسنادِ المستفادِ من الآية(٨)، وعبَّرَ بالجملةِ الإسميَّةِ فدلَّ على ثباتِ الخبر، وواجههم بـ(أَنْتُم) وهو أبلغ(٩)،

---

(١) تفسير المنار: ٧/ ٦٤.، ولكنَّ هذا التعميم - من وجهةِ نظري - يحتاجُ إلى استقراءٍ للتأكُّدِ منه.

(٢) تفسير الكشاف: ١/ ٧٠٨.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة: ٢/ ٣٣٠.

(٤) تفسير الرازي: ٦/ ٣٨.

(٥) يُنظر في التفريق بين العداوة والبغضاء: تفسير التحرير والتنوير: ٥/ ٦٥. وتفسير سورة المائدة للمؤلف: ٢/ ٣٣٠.

(٦) تفسير المنار: ٧/ ٦٤.

(٧) مباحث المعاني في تفسير روح البيان: ص١٧٠ .

(٨) تفسير التحرير والتنوير: ٥/ ٢٠٠.

(٩) تفسير البحر المحيط: ٤/ ١٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ولذلك قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما نزلت: (انتهينا، انتهينا)(١)؛ فكأنَّها نتيجةٌ حتميَّةٌ ونهائيَّةٌ لكلِّ ماسبقها، وفي الاستفهامِ - أيضا - معنى الحثِّ على الفعل في مقامِ الاستبطاء(٢).

ويبيِّن الشيخُ الشعراوي وجْهَ إتيانِ الحكمِ على شكلِ الاستفهامِ فيقول:"فبدلاً من أن تكونَ حُكماً من الله أصْبَحَتْ حُكْماً من العبدِ المأمور، وهذا أبلغُ أنواعِ الحكم؛ لأنَّ المتكلمَ يُلْقِي بالأمرِ في صيغةِ سؤال، ليديرَ المسؤول كلَّ جوابٍ فلا يجدُ إلا الجوابَ الذي يريدُه السائل"(٣)، وفيه إيذانٌ: بأنَّ الأمرَ قد بلغَ الغايةَ حتىَّ إنَّ العاقلَ لو خُلِّيَ ونفسه لاينبغي أن يتوقَّفَ في مسألةِ الانتهاء، وقد انقطعَ كلُّ عذر(٤)، وقد أُعقِبت الآيةُ بآيةٍ أخرى زادت الأمرَ تأكيداً فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ (٥)، (٦)،والله تعالى أعلم.

٣- التوبيخ والإنكار:-

وهي معاني متقاربة، ومن أمثلته عند المؤلف قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾(٧)، حيثُ يرى في الاستفهامِ

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١/ ٤٤٣، وقال محققه: إسناده صحيح، ويُنظر تعليقُ صاحب المنار على هذه المقولة: ٧/ ٦٥- ٦٦.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٥/ ١٩٦.

(٣) تفسير الشعراوي: ٦/ ٣٣٨٠.

(٤) تفسير روح المعاني: ٧/ ١٧.

(٥) المائدة: ٩٢.

(٦) مباحث المعاني في تفسير روح البيان: ص١٧٠، ويُنظر: تفسير نظم الدرر: ٢/ ٥٣٧، وتفسير المنار: ٧/ ٦٣، فما بعدها.

(٧) النساء: ٧٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٢/٠٦
Ali Fattani

معنى "التوبيخِ والإنكارِ"[1].

ويرى فيه غيرُ المؤلف معنى النفي والتلهيب والتهييج والتعجيب، وهذا يدلُّ على ثراء الاستفهام، ونلاحظ هنا الالتفات إلى المأمورين بالقتالِ ممَّا يزيدُ من حثِّهم على القتالِ، وزاد الترغيب بكون القتال في سبيل الله، ثمَّ ذَكَرَ المستعضفين وفصَّلَ في أنواعهم - الرجال والنساء والولدان -، وذِكْرُ الولدانِ تسجيلٌ على ظلمِ الكفَّار[2]، وفيه مبالغةٌ في الحثِّ على مساعدتهم[3]، وفيه زيادة للتَّقريعِ المذكورِ سابقاً، واستشعارٌ بأنَّ دعوتَهم أُجيبت بسببِ مشاركةِ الولدانِ في الدِّعاءِ، وبالتالي فيه الإشعارُ بقربِ خلاصِهم ممّا يحثُّ على القتال، وفيه أيضاً تكميلٌ للاستعطاف[4]، ثَمَّ أتى بصلةٍ تزيدُ من الحثِّ على مساعدتِهم فبيَّنت الصِّلة أنَّهم ﴿يَقُولُونَ﴾ والمضارعُ يفيد التجدد والحدوث المستمر[5]، مع أنَّ الصِّلةَ كأنَّها تُشعر بأنَّهم تميَّزوا بهذا القول وعُرفوا به، وقولهم: ﴿أَخْرِجْنَا﴾ دونَ انقلنا إلى مكانٍ كذا تُشعر كم وصلَ بهم الكرب[6].

وقد نَسَبَ هؤلاءِ المستضعفون الظلمَ إلى أهلِ القريةِ دون نِسْبتِه إلى القريةِ نفسِها كما في آياتٍ أُخرى، وهذا فيه أدبٌ مع مكَّةَ المكرَّمة[7]، ولعلَّ الذي شَغَلَ أذهانَ هؤلاءِ المؤمنين المُستَضعفينَ هو أن يكونَ النَّصرُ لهم من الله فقدَّموا الجارَّ والمجرورَ ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ فأشعروا بالاعتناء بكون الولايةِ والنُّصْرَةِ منه سبحانه، وكرَّروا الفعل

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء: ١/ ٥٢٨ و٥٣٤.

(٢) تفسير الكشاف: ١/ ٥٦٦.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢١٨.

(٤) يُنظر: تفسير روح المعاني: ٥/ ٨٢.

(٥) يُنظر: تفسير نظم الدرر: ٢/ ٨١.

(٦) النظم القرآني في آيات الجهاد: ص ٢١٩.

(٧) يُنظر: الإنصاف فيما تضمَّنه الكشَّاف من الاعتزال، ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي، دار الفكر: بيروت، "مطبوع بحاشية الكشاف": ١/ ٥٤٢.، وروح المعاني: ٥/ ٨٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ . ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

﴿وَٱجۡعَل﴾ ممَّا أشعرَ بزيادة التَّضرُّع، وكرَّر أيضا لتطويل مناجاة الله[1]، و﴿لَّدُنكَ﴾ - كما مرَّ من قبل - أخصُّ وأبلغُ من (عند)، وتدلُّ على وصولِ الشَّيء إلى منتهاه؛ وقد ذكرَ بعضُ المفسرين بل أكثرهم أنَّ الولدان قد يُرادُ بهم العبيد[2]، لكن لعلَّ ما صحَّ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: (كنتُ أنا وأمِّي من المستضعفين)[3] يَرُدُّه[4]، والله تعالى أعلم.

٤- التعجيب والإنكار:-

فعند قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾[5]، عدَّ المؤلفُ الاستفهام "للتعجيب والإنكار"[6].

ولعلَّ لفظة ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ توحي أنَّه أمرٌ يستحقُّ أن يُنظرَ إليه ويُتعجَّبَ منه[7]؛ إذ كيف يُزكي إنسانٌ نفسه؟!، ولعلَّ مما يزيد العجب صيغة المضارع؛ إذ هي تدلُّ على التجدّد والحدوث المستمر، كما أنَّ الاستفهام في الآية للإنكار على هؤلاء المزكِّين لأنفسِهم أيضاً، ثمَّ أبطلَ اللهُ تزكيتَهم فقال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[8]".

ومعنى: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي أنَّ الله لم يحرمهم ما هم به أحرياء وأنَّ تزكيةَ الله

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام، ص: ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) يُنظر - على سبيل المثال - تفسير الكشاف: ١/ ٥٦٦.

(٣) التفسير الصحيح "موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور"، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر: المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. ٢/ ٧٨، وعزاه إلى البخاري وهو فيه: ٦٠/ ٥٨.

(٤) يُنظر في تحليل هذه الآية : مباحث المعاني في تفسير روح البيان:ص١٧٣ .

(٥) النساء: ٤٩ - ٥٠.

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء: ١/ ٣٩٠.

(٧) لعلَّ سيد قطب أشار إلى شيءٍ من هذا لكن في آيةٍ أخرى، يُنظر في ظلال القرآن: ٨/ ٦٢٢ فما بعدها.

(٨) يُنظر: نظم الدرر: ٢/ ٢٦٦، وتفسير التحرير والتنوير: ٤/ ١٥٤، والتفسير البلاغي للاستفهام: ١/ ٢٠٧- ٢٠٨.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

غيرَهم لاتُعدُّ ظلماً لهم"[1]؛ إذ هو العليمُ الخبيرُ بمن يستحقُّ التزكية، والمراد بـ(الفتيل): "شِبْه خيطٍ في شقِّ نواةِ التمرة"[2]، أو هو: "مافتَلْتَ بين أصابعك من الوسخ"[3]، والذي صحّ عن ابن عباسٍ هو المعنى الأول[4]،واختار ابنُ جرير العمومَ في كلِّ ما يصحُّ أن يُسمَّى فتيلاً ممَّا لاخطرَ له[5]، وقد رُوي المعنى الآخر عن عباسٍ أيضا لكنَّ رواياته ضعيفة[6]، لكنْ إن ثبت فلا تعارضَ بين القولين بل تُحملُ على أنَّ ما وردَ كان ذِكْراً لفردٍ من أفرادِ العمو، ثُمَّ زادَ التعجيبُ بقوله سبحانه: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾، وفيه: "إشعارٌ بأنَّ قُبحَ أكاذيبِهم لكثرتها أو شناعتها وهي ممَّا تسمع بحاسَّةِ السمعِ صارت لذيوعِها تُرى بحاسَّةِ البصر، وفي هذا مبالغةٌ في تصويرِها بإخراجها من دائرة المسموعات إلى دائرةِ المبصَرات"[7]، وذلك لشِدَّةِ تحقُّقِ وقوعِه[8]، كما أنَّ الاستفهامَ بـ"كيف" يزيدُ الأمرَ تعجيباً، والتصريحَ باسم الجلالةِ يزيدُ من ظهورِ شناعةِ فعلهم؛ إذ إنَّهم يكذبون على من لا تخفى عليه خافية[9]، وجاء بالمضارع: ﴿يَفۡتَرُونَ﴾ فدلَّ على أنَّ هذا ديدنٌ لهم[10]، ثُمَّ ذمَّهم أتمَّ الذَّمِّ فقال عن افترائِهم الكذب[11]:﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا﴾[1]، والله أعلم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٤/ ١٥٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٤/ ١٥٤

(٣) يُنظر: مفردات الراغب: (ف ت ل)، وتفسير الرازي: ١٠ / ١٠٢.

(٤) التفسير الصحيح: ٢/ ٦٥.

(٥) تفسير الطبري: ٨/ ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٦) تفسير الطبري: ٨/ ٤٥٦ فما بعدها، ويُنظر تعليق المحقق على هذه الروايات.

(٧) التفسير البلاغي للاستفهام: ١/ ٢٠٨.

(٨) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٤/ ١٥٤.

(٩) يُنظر: نظم الدرر: ٢/ ٢٦٧.

(١٠) التفسير البلاغي للاستفهام: ١/ ٢٠٨.

(١١) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٤/ ١٥٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١.
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

٥- الاستبعاد:-

فعند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ يقول المؤلف: "﴿كَيْفَ﴾ استفهامٌ بمعنى الاستبعاد، أي: يَبعُدْ جدّاً - إن لم يمتنع - أن يهدي اللهُ قوما كفروا بعد إيمانهم"(٢).

والمفسِّرون في هذا الاستفهام يدورون بينَ كونِه للإنكار أو للاستبعاد(٣)، وقد يُفهم من قولِ المؤلف: "إنْ لم يمتنع" أنَّه يجوز أن يكون للإنكار، ولكنَّ الذي يبدو أنَّه للاستبعاد؛ وذلك لأنَّ الإنكارَ هنا يعني استحالةَ وقوع الهداية، بينما يجوزُ وقوعُها مع الاستبعادِ باحتمالٍ ضعيف(٤)، وقد ثبتَ أنَّ سبب نزولِ هذه الآيةِ أنَّ رجلاً من الأنصارِ ارتدَّ عن الإسلام ولحق بالمشركين فأنزل الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ فبعثَ بها قومُه فرجعَ تائباً فَقَبِلَ النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذلك منه، وخلَّى عنه(٥)، فهذا يُؤيِّدُ أنَّ الاستفهامَ هنا للاستبعادِ لا للإنكار.

ولعلَّ البقاعيَّ كانَ مصيباً عندما قال: "ولما انخلَعَت القلوبُ بهذه الكروب نفَّسَ عنها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مشيراً إلى أنَّ فيهم - وإن استبعدَ رجوعَهم - موضعاً للرجاء بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾"(٦). (٧)

---

(١) يُنظر في تحليل هذه الآية : مباحث المعاني في تفسير روح البيان:ص ١٧٤ فما بعدها.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ١/ ٥٠٢.

(٣) يُنظر على سبيل المثال: تفسير أبي السعود: ٢/ ٥٥، وتفسير التحرير والتنوير: ٣/ ١٤٧ - ١٤٨، والتفسير البلاغي للاستفهام: ١/ ١٧٣-١٧٤.

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام: ١/ ١٧٣.

(٥) يُنظر: مسند الإمام أحمد، حديث رقم (٢٢١٨):٤/ ٩٣، والصحيح من أسباب النزول، ص:٨٩-٩٠.

(٦) تفسير نظم الدرر: ٢/ ١٢٢.

(٧) مباحث المعاني في تفسير روح البيان:ص١٧٧ .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وبالانتهاءِ من الحديثِ عن الاستفهامِ؛ ينتهي الحديثُ عن الأساليب الإنشائية، ولم أجدْ في (النَّهي) و(النِّداء) عند المؤلف ما ينهضُ بهذا المبحث .

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

المبحثُ الرابع
القَصْــــر

يُعَدُّ القَصْرُ من أقوى طُرُق التَّوكيدِ إذ هو توكيدٌ فوقَ توكيدٍ وحَصْرٌ حاسمٌ يُفْرِدُ المخصوصَ بأمرٍ لا يتعدَّاه إلى ماسِواه[١]، والقصرُ: يأتي في اللّغة بمعنى التَّخصيص، يقال لغة: قَصَرَ الشَّيْءَ على كذا، إذا خصّصه به، ولم يجاوز به إلى غيرِه، ويُقالُ: قَصَر غلَّةَ بستانِه على عيالِه، إذا جعلَها خاصّةً لهم، وقَصَر الشيءَ على نفسِه، إذا خصَّ نفسَه به، فَلَمْ يَجْعل لغيرِه منه شيئاً"[٢]، ويأتي الْقَصْر أيضاً" بمعنى الحبْسِ، يُقال لغة: قَصَر نفسه على عبادة رَبّه، إذا حَبَسها على القيام بعبادة ربّه، وقَصَر جُنْدَهُ على ممارسة التدريب العسكريّ في القلعة، إذا حَبَسَهُمْ وألزَمَهُمْ بذلك فيها"[٣].

وأما في اصطلاحِ علماءِ البلاغة: فالقَصْرُ هو"تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بعبارةٍ كلاميّةٍ تدلُّ عليه"[٤]، "ووجوه بلاغةِ القَصْرِ هي:الإيجازُ، وتقريرُ الكلامِ وتمكينُه في الذِّهن لدفعِ ما فيه من إنكارٍ أو شَكٍّ، والرَّدُّ على المخَاطَب في قَصْرَي الإفرادِ والقلب، وتعيينُ المبهَمِ في قَصْرِ التَّعيينِ، ومُجاراةُ الخَصْم، والتَّعريضُ، وذِكْرُ الواقِع في القَصْر الحقِيقِيِّ، والمبالغةُ في القَصْر الادِّعائي"[٥].

وسأتكلَّمُ على القَصْرِ عندَ المؤلِّفِ من خلالِ طُرُقِ القَصْر وهي:

---

(١) الخصائص البلاغية في سورة يوسف، ص:١٥٤.

(٢) بغية الإيضاح: ٢/ ٣.

(٣) البلاغة العربيةللميداني: ١/ ٥٢٣.

(٤) السابق: ١/ ٥٢٣.

(٥) الإيضاح: دراسة وتحقيق وتعليق:محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، ٢/ ٣٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١/ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

أولاً: القصرُ بالنفي والاستثناء:-

وهو أعلى طرقِ القَصْر[1] إذ يجيءُ للأمرِ الذي يُنكرُه المخاطَب ويَشُكُّ فيه[2]، وقد يأتي لغيرِه تنزيلاً لغيرِ المنكرِ منزلةَ المنكرِ لبوادرَ ظهرت عليه، أو لغيرِ ذلك مما هو معروفٌ في أضربِ الخبر[3]، يقولُ الدكتورُ أبو موسى مقرِّراً هذه المسألة: "وهذا هو رأسُ الأَمْرِ في هذا الطريق، فلا يأتي إلا في المعنى الذي يحتاجُ إلى فَضْلِ تقريرٍ وتوكيد[4]، ثم إنَّ تَعَدُّدَ أدواتِ النَّفي من جهة، وتَعَدُّدَ أدواتِ الاستثناءِ من جهةٍ أخرى - مع القول بعدمِ ترادفِ هذه الأدوات - يزيدُ من ثراءِ هذه الطَّريقةِ من طُرق القصر[5].

ومن الآياتِ التي تعرَّضَ لها المؤلفُ في هذه الطَّريقة من طُرق القَصْرِ قولُه تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[6]، حيثُ يقول: "هذه الجُمْلَةُ فيها حَصْرٌ طريقُة النفيُ والإثبات، وهو أعلى طُرُقِ الحصر" ثم يقفُ عندَها مُلْمِحاً سرَّ القَصْر فيقول: "يُريدُ الله عَزَّوَجَلَّ -وهو أعلم- أن يُزَهِّدَ الإنسانَ في الدُّنيا ويرغِّبَه في الآخرة، ومن زَهد في الدُّنيا ورَغِب في الآخرة لم يَفُتْه شَيءٌ من نعيمِ الدُّنيا حتى وإن افتقر، فإنَّه

---

(١) وقد بيَّنَ المؤلفُ ذلك في تفسيرِه، كما سيأتي عند تفسيرِه للآيةِ الآتية وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

(٢) دلائل الإعجاز: ٢٥٥ .

(٣) يُنظر: الخصائص البلاغية في سورة يوسف،ص:١٥٤.

(٤) دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، دار التضامن: القاهرة، الناشر: مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ص:١٠٤

(٥) الخصائص البلاغية في سورة يوسف، ص: ١٥٥.

(٦) الحديد: ٢٠.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

لا يفوتُه نعيمُ الدُّنيا، ودليلُ هذا من القرآنِ والسنة "[1] [2].

والمؤلفُ لم يُبَيِّن نوعَ الحَصْر في هذه الآيةِ الكريمة، وقد بيَّنَه ابنُ عاشورَ حيثُ يقول: "والحَصْر ادِّعائِيٌّ باعتبارِ غالبِ أحوالِ الدُّنيا بالنِّسبةِ إلى غالبِ طالبِيها، فكونُها متاعاً أَمْرٌ مُطَّرِد، وكونُ المتاعِ مضافاً إلى الغُرورِ أَمْرٌ غالبٌ بالنِّسبَةِ لما عدا الأعمالِ العائِدَةِ على المرءِ بالفوزِ في الآخرة"[3].

ويـذْكُرَ البلاغيـون:أن "القَـصْرَ الادِّعـائيَّ لا يجـري في الإضـافيِّ كـما جـرى في الحقيقِي؛ لأنَّه فيما قيل لم يَقَعْ في كلامِ البُلغاء، وإنْ لم يَكُن هناكَ مانعٌ عقليٌّ مـن إتيانِـه في الإضافي، ويُمكِنُ أنْ يكونَ من الإضافيِّ الادِّعائي قولُ الشاعر:

هـل الجـودُ إلاّ أنْ تجـودَ بـأنفُسٍ على كلِّ ماضي الـشَّفرتين صَـقِيلُ

إذا كانَ يريدُ قصرَ الجودِ على الجودِ بالنَّفس، لا الجود بالمـال عـلى سـبيلِ المبالغـة، والردّ على من يعتقدُ خلافَ ذلك"[4].

---

(١) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد، ص:٤٠٦.

(٢) ولعلَّه يشيرُ بقولِه مـن " القـرآن والـسنة "إلى قولِه تعـالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الـشورى ٢٠، فـالله عَزَّوَجَلَّ لم يقـل في مـن أراد حرثَ الآخرة وماله في الدنيا من نصيب؛ لأنَّ طالبَ الآخرة تأتيه الدُّنيا وهي راغمة بخـلاف طالـب الدنيا، كما في حديث:مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ" مسند الإمام أحمد برقم (٢١٥٩٠): ٣٥/ ٤٦٧.

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "بَشِّر هذه الأمةَ بالسَّنَاءِ والرِّفْعَة، والنَّصْرِ والتَّمْكينِ في الأرضِ، فمن عملَ منهم عَمَلَ الآخِرةِ للدُّنيا، لَمْ يَكُن لَه في الآخِرةِ مِنْ نَصِيب". مسند الإمام أحمدبرقم (٢١٢٢٠): ٣٥/ ١٤٥. والله أعلم، وينظر: تفسير ابن كثير:٤ / ١٣٥.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، طبعة مؤسسة التاريخ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م، ١٤/ ٤٨٩.

(٤) بغية الإيضاح: ٢/ ٦.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

والقصرُ الحقيقيُّ "إذا كانَ مضمونُه مطابقاً للواقع سمّوه (حقيقيّاً تَحْقيقيّاً) أي: صادقاً مطابقاً للواقع، وإذا كان غيرَ مطابقٍ للواقِع، وإنَّما ذُكرَ عَلَى سبيلِ المبالغةِ والادّعاءِ المجازيَ، سمَّوْهُ (حقيقيّاً ادّعائيّاً أو مجازيّاً) مثل قولِهم: لا سيف إلاَّ ذو الفقار ولا فتىً إلا علي"[1]، وكما في الآيةِ الكريمة التي نحن بصدد الحديثِ عنها.

وفي هذه الآيةِ الكريمةِ ما زال السِّياقُ الكريمُ في توجيهِ المؤمنينَ وإرشادِهم إلى ما يزيدُ في كمالِهم وسعادتِهم في الحياتين، فلما ذَكَرَ حالَ الفريقينِ في الآخرةِ بقولِه تعالى في الآيةِ التي قبلَها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾[2]، حَقَّر أمورَ الدُّنيا وَأَوْهَنَهَا؛ إذ الإقبالُ على الدُّنيا هو سببُ الغفلةِ عن الآخرةِ ومُتَطَلَّباتِها من الذِّكْرِ والعملِ الصَّالحِ، بأنْ بَيَّنَ أنَّها أمورٌ خياليَّةٌ قليلةُ النَّفْعِ سريعةُ الزَّوالِ؛ لأنَّها لَعِبٌ يُتْعِبُ النَّاسُ فيه أنفسَهم جدّاً إتعابَ الصبيانِ في الملاعبِ من غيرِ فائدةٍ، ولهوٌ يُلهونَ به أنفسَهم عما يهمُّهم، وزينةٌ كالملابسِ الحسنةِ والمواكبِ البهيَّةِ والمنازلِ الرفيعةِ، وتفاخرٌ بالأنسابِ أو تكاثرٌ بالعَدَدِ والعُدَدْ[3].

وقد صدَّرَ الله عَزَّوَجَلَّ الآيةَ بالأَمرِ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ﴾ الدالِّ على التحقيرِ والتحذيرِ والتنبيهِ الموجبِ لليقظةِ من الغفلة[4]، ثُمَّ ثنَّى بـ﴿أَنَّمَا﴾ الدّالَّةِ على الحصر، يقولُ ابنُ عاشور: "وحَصْرُ الحياةِ الدُّنيا في الأخبارِ الجاريةِ عليها هو قَصْرُ أحوالِ النَّاسِ في الحياةِ على هذه الأمورِ الستَّةِ باعتبارِ غالبِ النَّاس، فهو (قَصْرٌ ادِّعائِيٌّ) بالنَّظرِ إلى ما تنصرفُ إليه همُمُ غالبِ النَّاسِ من شؤونِ الحياةِ الدنيا، والتي إن سَلِمَ بعضُهم من بعضِها لا يخلو من ملابسةِ بعضٍ آخرَ؛ إلا الذين عصمَهم الله تعالى فجعلَ أعمالَهم في

---

(١) البلاغة العربية: ١/ ٥٢٣ - ٥٢٤.

(٢) الحديد: ١٩.

(٣) يُنظر: تفسير أيسر التفاسير: ٥/ ٢٧٣، وتفسير البيضاوي: ٥/ ٣٠٢، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٣٧٦.

(٤) يُنظر: تفسير نظم الدرر:٧/ ٤٥١.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الحياة كلِّها لوجه الله"[1]، وربَّما يكونُ القصرُ هنا قصرَ قلبٍ، لدحضِ حقيقةِ ما يرغبُ فيه المكلَّفُ المركَّبُ على الشَّهوةِ العاجلةِ بما نزَّهه فيه[2] والرَّدِّ على من اعتقدَ ذلك، ثُمَّ بَيَّنَ تعالى حقيقتَها فوصفَها بأنَّها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وقد يظهرُ أنهما صفتانِ مترادفتانِ، ولكنْ يتبيَّنُ عند التحقيقِ أنَّ بينَهما فرقاً - كما سيأتي -.

كما أنَّ هاتينِ الصِّفتينِ – اللّعبَ واللهوَ - قد وردتا في القرآنِ الكريم ملازمتينِ للحياةِ الدُّنيا في أربعِ آياتٍ، وذلك في هذه الآيةِ من سورةِ الحديد، وفي قولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورةِ الأنعام: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[3]، وقولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورةِ محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ﴾ [4] وقولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورةِ العنكبوت: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ﴾[5]، والملاحظُ أنَّها - أيضا -لم تَرِدْ إلا في سياقِ الحَصْرِ، سواءً كان ذلك بـ(إنما) أو بـ(النفي والاستثناء).

كما يُلاحظُ - أيضا - أنَّ (اللعبَ) قُدِّمَ على (اللهو) في آية الأنعام) و(الحديد) و(محمد) بينما قُدِّمَ (اللهو) في آيةٍ واحدةٍ وهي آية (العنكبوت)؛ يقول الشيخُ الشعراويُّ : "لأنَّ اللعبَ أن تصنعَ حركةً غيرَ مقصودةٍ لمصلحةٍ، كما يلعبُ الأطفال، يعني: حركةً لا هدفَ لها.... [6] وسُمِّيت لعباً؛ لأنَّ الطفلَ يلعب قبل أنْ يُكلَّف بشيء، فلم يُشْغَل باللَّعب عن غيرِه من المهمات، لكنْ إذا انتقلَ إلى مرحلةِ التكليفِ، فإنَّ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، طبعة مؤسسة التاريخ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م، ١٤/ ٤٨٥.

(٢) يُنظر: تفسير نظم الدرر:٧/ ٤٥١.

(٣) الأنعام: ٣٢.

(٤) محمد: ٣٦.

(٥) العنكبوت: ٦٤.

(٦) النقاط تشير إلى كلام محذوفٍ هو في نظري لايتناسب مع البحث العلمي وهو قوله:" ونقول عنها (لعب عيال)".

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

اللعبَ يَشْغَلُه عن شيءٍ طُلب منه، ويُسمَّى في هذه الحالة لهواً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾(1)،إذن: فاللَّهو: هو الشيءُ الذي لا مصلحةَ فيه، ويَشْغَلُكَ عن مطلوبٍ منك، فآيةُ سورةِ العنكبوت التي قَدَّمت (اللهوَ) على (اللعبِ) تعني: أنَّ أمورَ الاشتغالِ بغيرِ الدِّين قد بلغت مبلغاً، وأنَّ الفسادَ قد طمَّ، واستشرى الانشغالُ بغيرِ المطلوبِ عن المطلوب، فهذه أبلغُ في المعنى من تقديم اللعب؛ لأنَّ اللعبَ لم يُلهه عن شيء"(٢)

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: شيءٌ يبهجُ العينَ ويَسُرُّ النَّفْسَ كزينةِ النسوان(3)، أو زينةِ المالِ والولدِ كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٤)، ثُمَّ أتبعَها ثمرتَها فقال: ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ وهو الذي عنه ينشأُ الحسد، وصِيْغَ منه زِنَةُ التَّفَاعُلِ لأنَّ شأنَ الفخرِ أنْ يقعَ بين جانبين(5) أي: كتفاخرِ الأقرانِ يفتخرُ بعضُهم على بعض، وقيّده فقال: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي: يجُرُّ إلى الترفُّعِ الجارِّ إلى الحسدِ والبغضاء(6)، ثُمَّ قال: ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ "والتكاثر: تفاعلٌ من الكَثْرَة، وصيغةُ التَّفَاعلِ هنا للمبالغةِ في الفعلِ؛ بحيثُ يُنَزَّلُ منزلةَ من يُغَالبُ غيرَه في كثرةِ شيء؛ فإنَّه يكونُ أحرصَ على أن يكونَ الأكثرَ منه عنده"(٧).

ثُمَّ قال جلَّ وعلا مُمثِّلاً لحالِ الدُّنيا الفانية: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾، "وهو تمثيلٌ لها في سرعةِ تقضيِّها، وقِلَّةِ جدواها، بحالِ

---

(١) الجمعة: ١١.

(٢) تفسير الشعراوي: ٤/ ٣٤٠٠.

(٣) تفسير نظم الدرر: ٧/ ٤٥٢.

(٤) الكهف: ٤٦.

(٥) تفسير التحرير والتنوير، طبعة مؤسسة التاريخ:١٤/ ٤٨٦.

(٦) تفسير نظم الدرر: ٧/ ٤٥٢

(٧) تفسير التحرير والتنوير، طبعة مؤسسة التاريخ: ١٤/ ٤٨٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

نباتٍ أنبته الغيثُ فاستوى وأُعْجِب به الحُرَّاث، أو الكافرون بالله؛ لأنهم أشدُّ إعجاباً بزينةِ الدنيا، ولأنَّ المؤمنَ إذا رأى مُعْجَباً انتقل فكرُه إلى قُدْرَةِ صانِعه فأُعْجِبَ بها، والكافرُ لا يتخطى فكرُه عمَّا أحسَّ به فيستغرقَ فيه إعجاباً، ثم هاج أي: يَبُسَ بعاهةٍ فاصفرَّ ثم صار حطاماً"[1].

وعبّرَ بـ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ عن (الزُّرَّاع) - كما هو تفسير ابن مسعود[2] - بجامع السِّتر والتغطيةِ، يقول ابنُ عاشور: "وإيثارُ هذا الاسمِ هنا - وقد قال تعالى في سورة الفتح ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ - قصداً للتوريةِ بالكفَّارِ الذين هم الكافرونَ بالله؛ لأنَّهم أشدُّ إعجاباً بمتاعِ الدُّنيا؛ إذ لا أَمَلَ لهم في شيءٍ بعدَه، وقال جمعٌ من المفسرين: الكفَّارُ جمعُ الكافرِ بالله؛ لأنَّهم قَصَروا إعجابَهم على الأعمالِ ذاتِ الغاياتِ الدُّنيا دونَ الأعمالِ الدِّيْنِيَّةِ، فَذِكْرُ الكُفَّارِ تلويحٌ إلى أن المثلَ مسوقٌ إلى جانبِهم أوّلاً"[3]؛ يقول الميدانيُّ: "وذلك من روائعِ التلويحِ إلى المعاني بالإشاراتِ التي لا تُفْهَم إلاَّ بذكاء لَمَّاح"[4].

وقد "عُطِفت جملة ﴿يَهِيجُ﴾ بـ﴿ثُمَّ﴾ لإفادةِ التراخي الرَّتبي؛ لأنَّ اصفرارَ النباتِ أعظمُ دلالةً على التهيّؤ للزوال، وهذا هو الأهمُّ في مقامِ التزهيد في متاعِ الدُّنيا وعُطف ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بالفاء؛ لأنَّ اصفرارَ النبتِ مقاربٌ ليبسه، وعُطِفَ ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ بـ﴿ثُمَّ﴾ كعطفِ ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ "[5].

ولعلَّ في التعبير بـ﴿أَعْجَبَ﴾ بصيغةِ الماضي دلالةً على تحقُّقِ الإعجاب عند الكفَّارِ وأنَّه ملازمٌ لهم متحقِّقُ الوقوعِ فيهم لاينفَكُّ عنهم، ثمَّ التعبير بـ﴿يَهِيجُ﴾ بصيغة المضارعِ؛ للدلالةِ على استمرار الحال بهم واستمرارِ فناءِ ما يكون سبباً

---

(١) تفسير البيضاوي: ٥/ ٣٠٢.

(٢) تفسير الرازي: ٢٩/ ٢٠٤.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، طبعة مؤسسة التاريخ: ١٤/ ٤٨٦.

(٤) البلاغة العربية: ١/ ٩٦-٩٧.

(٥) تفسير التحرير والتنوير، طبعة مؤسسة التاريخ: ١٤/ ٤٨٨.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

لإعجابِهم بالدُّنيا وأنَّ هذا مصيرُه ومآله، ولعلَّ المقصودَ بكلِّ ذلكَ هو التَّقْريرُ والتَّأكيدُ لما وُصِفَت به الدُّنيا من كونِها لعباً ولهوا وزينة، وما أجملَ قولَ الشعراويِّ بعدَ وقوفِه عند هذا المثل حيثُ يقول: "وهكذا يطوي الحقُّ سبحانَه الحياةَ الدُّنيا بطُولِها وعرْضها، في هذا المَثل البسيطِ؛ لنرى ما يُوضِّحُ لنا من المعاني الخفيةِ، في صورةٍ مُحسَّة، بحيثُ يستطيعُ العقلُ الفطريُّ أن يُدرِكَ ما يريدُه الله منها"[1].

"ثُمَّ عظَّم أمورَ الآخرة الأبديَّة بقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ تنفيراً عن الانهماكِ في الدُّنيا، وحثاً على ما يوجبُ كرامةَ العُقبى،ثُمَّ أكَّدَ ذلك بقوله: ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ أي لمن أقبلَ عليها ولم يَطْلُب إلاَّ الآخرة"[2].

وفي مُقابلةِ العذابِ الشَّديد بشيئينِ إشارةٌ إلى غلبةِ الرَّحمةِ وأنَّه من باب (لن يغلبَ عسرٌ يسرين)، وفي تَرْكِ وَصْفِ العذابِ بكونِه من الله تعالى، مع وَصْفِ ما بعده بذلك؛ إشارةٌ إلى غلبتِها أيضاً، وَرَمْزٌ إلى أنَّ الخيرَ هو المقصودُ بالقصدِ الأولى[3].

ثُمَّ أكدَّ ما سبق بقوله: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ أي: تَغُرُّ الكفَّارَ، فأمَّا المؤمنُ فالدُّنيا له متاعُ بلاغٍ إلى الجنة، وقيل: العملُ للحياةِ الدُّنيا متاعُ الغرور؛ تزهيداً في العملِ للدنيا، وترغيباً في العملِ للآخرة[4]، وعَطْفُ ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ على ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ للمقابلةِ بين الحالينِ، وزيادةٍ في الترغيبِ والتنفير[5].

ولمّا ذكرَ تعالى ما في الآخرةِ من المغفرةِ، أمرَ بالمسابقةِ إليها، فقال تعالى بعد هذه

---

(١) تفسير الشعراوي: ٤/ ٣٤٠٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ٥/ ٣٠٢.

(٣) تفسير روح المعاني: ٢٧/ ١٨٥.

(٤) تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٥٦.

(٥) تفسير التحرير والتنوير، طبعة مؤسسة التاريخ: ١٤/ ٤٨٦.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الآية: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ فلـمَّا بـيَّنَ أنَّ الـدنيا خيـالٌ ومُحالٌ؛ ليصرفَ الكَمَلةَ من العبادِ عنها لسفولِها وحقارتِها، وأنَّ الآخرةَ بقاءٌ وكمالٌ؛ ليرغبوا غايةَ الرَّغبة فيها وليشتاقوا كلَّ الاشتياقِ لكمالِها وشَرَفِها وجلالِها، أنتجَ ذلك قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ أي: افعلوا في السعي لها بالأعمالِ الصالحةِ حقَّ السعي[1]، فكانت بذلك مناسبةً لما قبلها أبلغَ تناسُبٍ، وهذا من عجائبِ بلاغةِ الذكرِ الحكيم، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير نظم الدرر: ٧/ ٤٥٤.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ثانياً: القصر بـ"إنّما":-

أداةُ القصرِ (إنّما) أصْلُها من الأداةِ (إنّ) التي يقولُ عبدُ القاهرِ الجرجاني مُشْعِراً بأهميَّةِ التَّأمُّلِ في هذه الأداة والتَّروِّي في التَّكلُّمِ على أسرارِها في سياقٍ مَّا: "واعلمْ أنَّه ليس يكادُ ينتهي ما يَعرِضُ بسببِ هذا الحرفِ من الدَّقائق"[1]، و ضُمَّت إليها (ما) الزائدة للتأكيد، فكفَّتْها عن العمل، وهيَّأَتْها للدّخولِ على الجملتين الاسميّة والفعلية، وبضَمِّ (ما) إليها اجتمع في لفظيها مؤكدان، إذْ أصلُهُما يُفيد التأكيد، وزاد التأكيد بضمّ (ما) إليها[2].

وقد توقَّف المؤلفُ عند بعضِ الآياتِ في هذا السِّياق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[3] يقول المؤلف: "قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ ﴿إِنَّمَا﴾ أداةُ حَصْر.... يعني ما يأمُرُكُم إلا بالسُّوءِ والفَحْشَاء..." [4].

وهذه الآيةُ استئنافٌ لبيان كيفيَّةِ عداوتِه، وتفصيلٌ لفنونِ شرِّه وإفسادِه، وانحصارِ معاملتِه معهم في ذلك[5]، فيأمرُهم بهذه الشرورِ والمعاصي التي تسوءُ صاحبَها[6].

والأمرُ في الآية إمّا بقولِه في زمنِ الكَهَنَةِ وحيثُ يتصوَّر، وإمَّا بوسوستِه وإغوائِه، وتزيينه[7]؛ وعلى ذلك فيكونُ في الآيةِ مجاز، يقول الألوسي: "وعلى أنَّ

---

(١) دلائل الإعجاز: ٣٢٧.

(٢) البلاغة العربية للميداني: ١/ ١٤٤.

(٣) البقرة: ١٦٨ - ١٦٩.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٢٣٧.

(٥) تفسير روح المعاني: ٢/ ٣٩، وتفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٠٣.

(٦) تفسير السعدي: ٨٠.

(٧) تفسير البحر المحيط: ١/ ٦٥٤، وتفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٠٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الخطابَ في ﴿يَأْمُرُكُم﴾ لجميعِ النَّاس لا للمتَّبعينَ فقط، ولا منافاةَ أيضاً، بَلْ لأنَّا نَجِدُ من أنفسِنَا أنَّه لا طلبَ منه للفعلِ منَّا وليسَ إلا التزيينُ والبعثُ؛ فهو استعارةٌ تبعية لذلك، ويَتْبَعُهَا الرَّمْزُ إلى أنَّ المخاطبينَ بمنزلةِ المأمورينَ المنقادينَ له، وفيه تسفيهُ رأيِهم وتحقيرُ شأنِهم، ولا يَرِدُ أنَّه إذا كان الأمرُ بمعنى التزيينِ فلا بُدَّ أنْ يُقال: (يأمر لكم)، وإنْ كان بمعنى البعثِ فلا بُدَّ أنْ يُقال: "يأمركم على السُّوءِ أو للسُّوءِ؛ إذ المذكورُ لفظُ الأمرِ فلا بُدَّ من رعايةِ طريقِ استعمالِه"(١).

ونلاحظُ أنَّ الفعلَ ﴿يَأْمُرُكُم﴾ قد جاءَ بصيغةِ المضارع، وذلك - والله أعلم - للّدلالةِ على استمرارِ هذه الأفعالِ المَشينةِ منه، وأنَّ ذلكَ دأبُه ومهنتُه، وأنَّه مستمرٌّ في السعي في إغواءِ عبادِ الله.

ثُمَّ بيَّنَ تعالى ما يأمرُ به الشيطانَ فقال: ﴿بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ وفي بيانِ ذلك يقول الماورديُّ: "قال السُّدِّي: السُّوء في هذا الموضع معاصي الله، سُمِّيَت سوءاً لأنَّها تَسُوءُ صاحبَها بسوءِ عواقبِها، وفي الفحشاءِ ها هنا ثلاثةُ أقاويل: أحدها: الزنا، والثاني: المعاصي، والثالث: كلُّ ما فيه الحدُّ، سُمِّي بذلك لِفُحْشِ فِعْلِه وقُبْحِ مَسْمُوعه"(٢)، ويرى الشيخُ السِّعديُّ أنَّ قوله: ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: بالشرِّ الذي يسوءُ صاحبَه؛ فيدخلُ في ذلك جميعُ المعاصي، ويكونُ قولُه: ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ من بابِ عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ الفحشاءَ من المعاصي، ما تناهى قبحُه، كالزِّنا وشربِ الخمرِ والقتلِ والقذفِ والبخلِ ونحوِ ذلك، مما يستفحشُه من له عقل(٣).

ثُمَّ قال تعالى مُبيِّناً ما يأمرُ به الشيطانُ أيضاً فقال: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وخَصَّه بالعطفِ مع أنَّه بعضُ السُّوءِ والفحشاءِ؛ لاشتمالِه على أكبرِ الكبائر

---

(١) تفسير روح المعاني: ٢/ ٣٩، ويُنظر تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٠٣ فما بعدها، وقد جعلَ الاستعارةَ تمثيلية.

(٢) تفسير النكت والعيون: ١/ ٢٢٠.

(٣) تفسير السعدي: ١/ ٨٠.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وهو الشركُ والافتراءُ على الله[1]، أو هو للمبالغةِ في الزَّجر؛ فإنَّ التحذيرَ من الأولِ مع كونِه في القُبْحِ والشَّنَاعةِ دونَ الثاني؛ تحذيرٌ عن الثَّاني على أبلغِ وجهٍ وآكدِه، وللإيذانِ بأنَّ العاقلَ يجبُ عليه أن لايقولَ على الله تعالى مالا يعلمُ وقوعَه منه تعالى مع الاحتمال، فضلاً عن أن يقولَ عليه ما يعلمُ عَدمَ وقوعه منه تعالى[2]، والله تعالى أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾[3] حيثُ يقول المؤلف: "﴿إِنَّمَا﴾ أداةُ حصر... فكأنَّهم يقولون ما حالُنا إلا الإصلاح؛ يعني أنَّه ليس فيهم إفسادٌ مُطلقا، ومن توفيق الله أنَّه لم يُلهمْهمْ فيقولوا: (إنَّما نحن المصلحون)؛ فلو أنَّهم قالو: (نحن المصلحون) كان مقتضاه أن لامصلحَ غيرهم؛ لكنَّهم قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي: ما حالُنا إلا الإصلاح؛ ولم يدَّعوا أنَّهم المصلحون وحدَهم"[4].

والآيةُ جاءت في سياقِ فضحِ المنافقين وبيانِ قبائِحِ أفعالِهم وأنَّهم يُفسدون في الأرضِ ولايُصلحون[5]، قال الشيخُ السِّعدي: "فإذا نُهي هؤلاءِ المنافقونَ عن الإفسادِ في الأرض، وهو العملُ بالكُفْرِ والمعاصِي، ومنه إظهارُ سرائرِ المؤمنينَ لعدوِّهم وموالاتِهم للكافرين ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ فَجَمَعُوا بين العملِ بالفسادِ في الأرض، وإظهارِهم أنَّه ليس بإفسادٍ بل هو إصلاح، قَلْبَاً للحقائقِ، وجمعاً بينَ فعلِ الباطلِ واعتقادِه حقَّاً"[6]، ويُضيفُ ابنُ عاشور: "ولعلَّ المنافقينَ قد أخذوا من ضُروبِ الإفسادِ بالجميعِ، فلذلك حُذِفَ مُتعَلَّقُ ﴿تُفْسِدُوا﴾ تأكيداً للعمومِ المُستفادِ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٠٤.

(٢) تفسير أبي السعود: ١/ ١٨٨.

(٣) البقرة: ١١.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٤٦-٤٧.

(٥) تفسير الرازي: ٢/ ٦٠.

(٦) تفسيرالسعدي: ٤٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٢/٠٦
Ali Fattani

من الوقوعِ في حَيِّزِ النفي، وذُكِر المحلُّ الذي أفسدوا ما يَحْتوي عليه وهو الأرضُ؛ لتفظيعِ فسادِهم بأنَّه مبثوثٌ في هذه الأرض؛ لأنَّ وقوعَه في رقعةٍ منها تشويهٌ لمجموعها"(١).

وأمَّا القائِلُ فيرى بعضُ المفسِّرين أنَّه هُنا مُبْهَمٌ للعمومِ، أي: ليَعُمَّ أيَّ قائلٍ كان وأنَّ الآيَةَ لا تَخْتَصُّ بمن كان من المنافقين - وإنْ نَزَلَتْ فيهم - إذ خُصُوصُ السَّببِ لا ينافي عمومَ النظم(٢)، وقال بعضُهم إنَّ القائلَ هو اللهُ تعالى، أو الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعض المؤمنين(٣)، واستبعدَ ابنُ عاشور أنْ يكونَ القائلُ هو اللهُ أو الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ لو نزلَ الوحيُ وبَلَغَ إلى مُعَيَّنينَ منهم لعُلِمَ كفرُهم، وقد رجَّحَ أنَّ القائِلَ هو بعضُ من وقفَ على حالِهم من المؤمنين، الذين لهم اطِّلاعٌ على شؤونهم لقرابةٍ أو صحبة، واستنبطَ من بناءِ فِعْلِ ﴿قِيلَ﴾ للمجهولِ دليلٌ على أنَّ القائلينَ كانوا ناصحينَ لهم ومُخلصينَ لهم في النصيحة(٤)، فإذا نُصِحُوا وطُلبَ منهم الكفَّ عن الإفسادِ في الأرض ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ردَّاً للنَّاصحِ على سبيلِ المبالغة، أي: أنَّه لا يَصِحُّ مخاطبتُنا بذلك، فإن شأنَنا ليس إلا الإصلاح، وإنَّ حالَنا مُتَمَحِّضَةٌ عن شوائبِ الفساد؛ لأنَّ (إنَّما) تُفيدُ قَصْرَ ما دَخَلَتْ عليه على ما بعدَه(٥)، وقد أفادت -هنا- قصرَ الموصوفِ على الصِّفة؛ ردّاً على قولِ من قالَ لهم: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾؛ لأنَّ القائلَ أَثْبَتَ لهم وَصْفَ الفسادِ فَرَدُّوا عليهم بِقَصْرِ القلب(٦).

وإنَّما قالوا ذلك: لأنَّهم تَصَوَّروا الفسادَ بصورةِ الصَّلاح، وهذا إمَّا ناشِئٌ عن

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٨٢.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٤٦-٤٧، وتفسير روح المعاني: ١/ ١٥٣.

(٣) يُنظر: تفسير البيضاوي: ١/ ١٦٩، وتفسير الرازي: ٢/ ٦٠.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٨٠.

(٥) تفسير البيضاوي: ١/ ١٦٩.

(٦) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٧٩، ويُنظر: دلائل الإعجاز: ٢٣٢ و٣٥٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

جَهْلٍ مُركَّبٍ فاعتقدُوا الفسادَ صلاحاً فأصرُّوا واستكبروا استكباراً، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [1]، وقال الشاعر:

يُقضى على المرءِ في أيَّامِ محنتِه حتىَّ يرى حسناً ما ليس بالحسنِ

وإمَّا جارٍ على عادتِهِم في الكذبِ وقولِهِم بأفواهِهم ما ليس في قلوبِهم؛ لِمَا في قلوبِهم من المَرَضِ والأفَنِ - عياذا بالله من حالهم -[2]،[3]

ولقد كذَّبَهم اللهُ - تعالى - تكذيباً مُؤَكَّداً في دعواهُم أنّهم مُصلحون فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾، وهذا ما سنتناولُه في النقطةِ التاليةِ بإذن الله تعالى.

---

(١) فاطر: ٨.

(٢) تفسير روح المعاني: ١/ ١٥٣، وتفسير البيضاوي: ١/ ١٦٩.

(٣) وقد توقّفت عند بعضِ اللفتات البلاغية في هذه الآية في مبحث التوكيد بما يُغني عن إعادتِها هنا.

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ثالثاً : القصرُ بضمير الفصل (هم) :- [1]

و هذا الأسلوبُ من القصرِ غالباً ما تظهرُ بلاغتُه في أحدِ جانبين:

١- الآيات المتشابهةِ لفظيّاً، والمؤلفُ لم يتعرَّض لشيءٍ منها في هذا المقام.

٢- الآيات التي يأتي ضميرُ الفصلِ فيها مفيدا القصر -قصر قلبٍ أو إفراد- إذ إنَّ فيها التعريض بمن ادَّعى ما ليس له، وتصحيحاً لمفاهيمِه مع إيماءاتٍ أُخرى بحسبِ اختلافِ السياق[2].

وقد توقَّفَ المؤلفُ عند ضمير الفصل(هم)، وتقدَّمَ الحديثُ عن شيء من ذلك في مبحث (التقديم) [3].

ومن الآيات التي توقَّف عندها: قوله تعالى - بعد الآيةِ السابقةِ - ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[4]، يقول المؤلف: "وأتى بـ(أل) الدالَّةِ على حقيقةِ الإفساد، وأنَّهم هم المفسدونَ حقاً؛ ووجهُ حَصْرِ الإفسادِ فيهم أنَّ ﴿هُمُ﴾ ضميرُ فصلٍ يفيدُ الحصر، أي: هُمْ لا غيرهم المفسدون"[5]، وهي ردٌّ عليهم في ادِّعائِهم الإصلاح – كما مرّ معنا في الآيةِ السابقة- يقول ابنُ عاشور: "﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ردّاً عليهم في غرورِهم وحصرِهم أنفسَهم في الصلاح؛ فَرَدَّ عليهم بطريقٍ من طُرُقِ القَصْرِ هو أبلغُ فيه من الطريقِ الذي قالوه؛ لأنَّ تعريفَ المُسْنَدِ يُفيدُ قَصْرَ المُسْنَدِ على المُسْنَدِ إليه فيفيدُ قولُه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ قَصْرَ الإفسادِ عليهم بحيثُ لا

----

(١) يُنظر: أساليب القصر في القرآن الكريم، صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة: مصر، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م،/ ص: ١٣٥ فما بعدها.

(٢) مباحث المعاني في تفسير روح البيان: ص١٨٨ .

(٣) يُنظر: مبحث التقديم في هذه الرسالة، ص: ١٥٩ .

(٤) البقرة: ١٢.

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٤٧.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

يُوَجُد في غيرِهم وذلك ينفي حصرَهم أنفسَهم في الإصلاح وينقضُه، وهو جارٍ على قانونِ النَّقْضِ وعلى أُسلوبِ القَصْرِ الحاصلِ بتعريفِ الجنسِ، وإن كان الرَّدُ قد يكفي فيه أن يقالَ: (إنَّهم مفسدون) بدون صيغةِ قصر، إلا أنَّه قُصِر ليفيدَ ادِّعاءَ نفي الإفسادِ عن غيرِهم"[1].

ثُمَّ إنَّ تصديره بحرفِ التأكيد: (ألا) المُنبِّهةِ على تحقيقِ ما بعدَها، وتعريفَ الخبرِ، وتوسيطَ الفصلِ لردِّ ما في قولِهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ من التَّعريضِ للمؤمنين[2].

ثُمَّ إنَّه لَمَّا كان هذا الرَّدُّ المُؤَكَّدُ عليهم يَستدعي عجباً؛ لأنَّهم زعموا أنَّهم لا حالَ لهم إلا الإصلاح، مع أنَّهم في الحقيقةِ لا حالَ لهم إلا الإفساد، لَمَّا كانَ الأمرُ كذلك، فقد أَزَالَ القرآنُ هذا العَجَبَ بقوله: ﴿وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[3]، وهكذا نرى أنَّ القرآنَ الكريمَ قد جاءَ بالرَّدَّ عليهم على أبلغِ وجهٍ؛ ليَتَمَكَّنَ الحُكْمُ في ذهنِ السَّامعِ مع تأكيدِ الحكمِ وتحقيقِه[4]، والله أعلم.

وكما قلتُ فإنَّه قد تقدَّم الحديثُ عن بعضِ شواهدِ ضمير الفصل في مبحث (التقديم)، ولذا سأكتفي بذكرِ هذا المثال، وبه ينتهي الكلامِ على القصر، ويليه (خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر).

---

(١) تفسير التَّحرير والتنوير: ١/ ٢٨٢. وتفسير روح المعاني: ١/ ١٥٣، دلائل الإعجاز: ٢٣٢ و٣٥٨.

(٢) تفسير البيضاوي: ١/ ١٧١.

(٣) تفسير الوسيط: ١/ ٥٩، ويُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٤) يُنظر: تفسير روح المعاني: ١/ ١٥٣.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

المبحثُ الخامس
خروج الكلامِ على خلافِ مقتضى الظاهر

قد يأتي الكلامُ البليغُ مخالفاً لما يتبادرُ إلى ذِهْنِ السَّامِعِ بِحَسَبِ الظَّاهر، وهنا لابُدَّ من تَلَمُّسِ السِّرِّ لهذه المخالفة، وهو بابٌ قد يدقُّ فيخفى وجهُه، وقد يُتفطَّنُ له كما سيمرُّ معنا في الأمثلة[1]، وهذا المبحثُ على نوعين:

النوع الأول:

الالتفات: وهو بابٌ لطيفٌ يستعينُ به المتكلِّمُ على إشاراتٍ دقيقة، وكان أبو الفتح ابن جنِّي يسميه "شَجاعة العربية"[2]، كأنَّه عنى أنَّه دليلٌ على حِدَّةِ ذِهْنِ البليغِ وتَمَكُّنِه من تصريفِ أساليبِ كلامِه كيفَ شاء، كما يتصرَّفُ الشُّجاعُ في مجالِ الوغى بالكرِّ والفَرّ[3]، وقد عدَّه أحدُ العلماءِ مع بابِ التوكيدِ بالضميرين خلاصةَ علم البيان[4]، ويَقصِدُ به ذلكَ العالِمُ علمَ البلاغةِ بشكلٍ عام، بدليلِ أنَّه جعلَ بابَ التَّوكيدِ بالضميرين - وهو قطعاً ليس من علم البيان الذي نعرفُه الآن - قريناً للالتفاتِ في كونهما خلاصةَ علمِ البيان، وسأسيرُ - بإذن الله تعالى - على ما سار عليه الجُمهورُ في كونِ الالتفاتِ: هو التَّعبيرُ عن معنى من المعاني بأحدِ الطّرق الثلاثة، ثم بطريقٍ آخرَ منها[5]، ويتقيَّد هذا التعريفُ بشرطِ أن يكونَ التَّعبيرُ الثَّاني على خِلاف ما يقتضيه

---

(١) مباحث المعاني في تفسير روح البيان: ص١١٨ .

(٢) نقلاً عن تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١٧٧.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١٧٧.

(٤) المثل السائر: ٢/ ٣.

(٥) يُنظر على سبيل المثال: الإيضاح مع البغية: ١/ ١١٤، والإيضاح بشرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ٢/ ٨٥ فما بعدها، وشروح التلخيص، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان ١/ ٤٦٢ فما بعدها، والمثل السائر: ٢/ ٣ =

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ، ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الظاهر ويَترَقَّبُه السَّامِع[1].

ثُمَّ "إن الالتفاتَ يُعَدُّ أسلوباً بلاغياً من أساليبِ التَّعبيرِ البيانيَّةِ التي تميَّزَ بها القرآنُ الكريم، والتي لا تكادُ تخلو منه سورةٌ من سورِه؛ لاسيَّما أساليب القولِ وطرقِه، إذ ينتقلُ الكلامُ من التَّكلُّمِ إلى الخطابِ وإلى الغَيْبَةِ، ومن الخطابِ إلى التَّكَلُّمِ وإلى الغَيْبَةِ، ومن الغَيْبَةِ إلى التَّكَلُّم وإلى الخطابِ، فهذه التقسيماتُ ينتجُ عنها ستَّةُ أساليبَ بلاغيَّةٍ، تُمَثِّلُ أبرزَ أساليب الالتفاتِ عند جمهور البلاغيين "[2].

وعندَ التَّأَمُّلِ في تفسيرِ المؤلفِ نجدُه قد أولى الالتفاتَ جانباً من الاهتمام، وبيَّنَ فوائدَه وجلَّى أسرارَه، يقول مبيِّناً فائدةَ هذا الأسلوب: "وللالتفاتِ فائدتان:

الفائدةُ الأولى: تنبيهُ المخاطب؛ لأنَّه إذا تغيَّر نسقُ الكلامِ أوجبَ أن ينتبَّه المخاطبُ لما حصلَ من التغيير.

الفائدةُ الثانية: تكونُ بحسبِ السِّياق"[3].

= فما بعدها، وللتوسُّع يُنظر كتاب أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، مع ملاحظة توسُّع المؤلف لمفهوم الالتفات توسيعاً كبيراً، ويُنظر كذلك تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١٧٦.

(١) مباحث المعاني في تفسير روح البيان: ص١١٨ ، ويُنظر: تعليق خفاجي على الإيضاح، ٢/ ٨٦، ويُنظر: خلاصة شروط الالتفات في أسلوب الالتفات: دراسة تاريخية فنيَّة، نزيه عبد الحميد السيَّد فرَّاخ، مطبعة دار البيان، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ، ١١ص: - ١٧.

(٢) الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، ص: ٨.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٩٧. ويُنظر في ذلك،الالتفات في البلاغة العربية، ص: ١٧، ومما قال " أما الفوائد الخاصة فهي المتمثلة في كل جزئية من جزئيات الالتفات، التي تشمل مواقع الكلام وأحواله وما يقصده المتكلم، وكذلك الغرض البلاغي لكل نوع من أنواع الالتفات " ١٦.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

١ -الالتفات من التَّكلُّمِ إلى الغيبة:-

ومن الآياتِ التي تناولَها المؤلفُ في هذا السيَّاق قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾[1]، وقد ذكرَ كلاماً طويلاً على هاتينِ الآيتينِ، سأنقلُه بطولِه لأهميَّتِه، حيثُ يقول: " ومن فوائدِ الآيةِ مع التي قبلها: التنوُّع في الأسلوب، وهو الانتقالُ من ضميرِ التَّكلُّمِ إلى ضميرِ الغَيْبَة ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ وهُنا قال: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ فهل هناك فرقٌ من حيثُ المعنى؟ الجواب: نعم هناك فرقٌ من حيثُ المعنى، أمَّا اللَّفْظُ فظاهر، ففيه التفاتٌ من ضميرِ التكلُّمِ إلى ضميرِ الغَيْبَةِ، لكنْ نريدُ الفرقَ في المعنى، الفرقُ في المعنى أنَّ العذابَ عقوبةٌ تستدعي سُلْطَةً وقهراً وعِزَّةً، فكانَ الأنسبُ التَّعبيرُ بـ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ الدالَّةِ على قوَّةِ السُّلطان، أمَّا هذه فكأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للتودُّدِ مع هؤلاءِ وبيانِ فضلِهم قال: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ولم يُسْنِدْ الإيفاءَ إلى نفسِه؛ ليعطيَهم شيئاً من الشُّكْرِ على عملِهم؛ لأنَّ هناك فرقاً بين أن تُخاطبَ الإنسانَ بالتَّعبيرِ عن فعلِك به بضميرِ التكلُّمِ وأنْ تُعبِّرَ بضميرِ الغَيْبَة؛ لأنَّ المواجهةَ أشدُّ من الغَيبة، وتأمَّلْ قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾[2]، فقال:: ﴿عَبَسَ﴾ ولِمْ يَقُلْ: (عَبِسْتَ)، وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ ولَمْ يَقُلْ: (وما أَدْرَاه) أو (وما يدريْه) فهذه - والله أعلم - الحكمةُ من أنَّه جاءَ التَّعبيرُ بالعذابِ بالفعلِ مُسنداً إلى ضميرِ المتكلِّمِ بخلافه الجزاء، ويدل لهذا الاعتبارِ قولُه تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[3]، فَجَعَلَ فعلَهم إحساناً يُشْكَرُونَ عليه ويُحسِنُ إليهم، مع أنَّ الإحسانَ كلَّه من الله، فإنَّ التوفيقَ للعملِ الصَّالحِ من إحسانِ الله إلى العبد، لكنَّ هذا من كمالِ رحمةِ الله عَزَّوَجَلَّ وثوابِه وجزائِه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ

---

(١) آل عمران: ٥٦ - ٥٧.

(٢) عبس: ١ - ٣.

(٣) الرحمن: ٦٠.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

﴿جَزَآءً وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾[1]، فَصَارَ في تغييرِ الأسلوبِ في الآيتين فائدتان: (لفظية) و(معنوية)، الَّلفظيةُ هي: الالتفاتُ الذي يوجبُ الانتباه، و(المعنويَّةُ)هي: إظهارُ السُّلْطَةِ والعَظَمَةِ والعِزَّةِ في بابِ التَّعذيب، وإظهارُ الفَضْلِ والإحسانِ للعاملين في بابِ المثوبة"[2].

ولعلَّ ممَّا يوضِّح ذلك قولُ الألوسيُّ: "ولعلَّ وجْهَ الالتفاتِ إلى الغَيبةِ على القراءة الأولى[3] الإيذانُ بأنَّ تَوفِيَةَ الأَجْرِ ممَّا لا يَقتضي لها نَصْبُ نَفْس؛ لأنَّها من آثارِ الرَّحْمَةِ الواسعة، ولا كذلك العذاب"[4]، إذ هو من مظاهرِ الغضبِ والسُّخْطِ والانتقام - نسأل اللهَ العافية - ومن الممكن أن يُقال إنَّ التكلُّمَ يُنبِّهُ أنَّ العذابَ يشملُ الدُّنيا والآخرة، والغَيبةَ تؤذنُ أَنَّ تَوفِيَةَ الأجرِ إنَّما هي في الآخرة، كما أنَّ الغَيبةَ بما فيها من الإبهامِ والإشعارِ بالبُعْدِ تُذكِّرُ بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾[5]، فتوفيَتُهُم أجورُهم بعيدة عن تصوِّرِ البشر؛ بينما العذابُ قريبٌ يمكنُ أن يحلَّ في الدُّنيا قبلَ الآخرة، والله تعالى أعلم.

---

(١) الإنسان: ٢٢.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة آل عمران: ١/ ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٣) ذكر الألوسيُّ قبل ذلك القراءات المختلفة في الآية، ويَقصِدُ بالقرآءةِ الأولى قراءَةَ حفص، ورويس عن يعقوب، وهي في صلب البحث، يُنظر: تفسير روح المعاني: ٣/ ١٨٥، ويُنظر: النَّشر في القرآءات العشر: ٢/ ٢٤٠، والمُيسَّر في القراءات الأربع العشر: ص:٥٧.

(٤) تفسير روح المعاني: ٣/ ١٨٥.

(٥) السجدة: ١٧.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ . ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

٢-الالتفات من الغيبة إلى التَّكَلُّم:-

فعند قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[1]، يقول المؤلف: "قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ هنا التفاتٌ من الغَيْبَةِ إلى التَّكَلُّم؛ ومقتضى السِّياقِ لو كان على نَهج واحد لقال: (لا يفرقون بينَ أحدٍ من رسله)؛ ولكنَّه تعالى قال: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾؛ وفائدةُ الالتفاتِ هي التَّنبيه؛ لأنَّ الكلامَ إذا كان على نَسقِ واحدٍ فإنَّ الإنسانَ يَنْسَجِمُ معه، وربَّما يَغِيْبُ فكرُه؛ وأمَّا إذا جاءَ الالتفاتُ فكأنَّه يَقْرَعُ الذِّهنَ يقول: انتبه! فالالتفاتُ هنا من الغَيْبَةِ إلى التَّكَلُّم له فائدةٌ زائدةٌ على التنبيه؛ وهي أن يقولَ هؤلاء المؤمنون: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ بقلوبنا، وألسنتِنا ﴿بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾؛ فالكلُّ عندنا حق"[2].

ولم يَقلْ كثيرٌ من المفسِّرين بالالتفاتِ في هذا الموضع، وإنَّما جعلوه على تقدير محذوف أي: يقولون لا نُفَرِّقُ بين أحدٍ من رسلِه كقولِه تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾[3]، معناه يقولون: أَخْرِجُوا وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[4] أي: قالوا هذا[5]، لاسيَّما وأن في الآية قراءة أخرى؛ فقد قُرِئ: ﴿يُفَرِّق﴾ بالياء على أنَّ الفعلَ لكِلٍ، وقُرِئ: ﴿**لا يفرقون**﴾[6].

وقد جعلَ ابنُ عاشور الالتفاتَ في هذا الموضِع محتَملاً حيثُ يقول: "وهو يحتملُ الالتفات: بأنْ يكونَ من مَقُولِ قَوْلٍ محذوفٍ دلَّ عليه السِّياقُ وعَطَفَ ﴿وَقَالُواْ﴾

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٣/ ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٣) الأنعام ٩٣.

(٤) الزمر: ٣.

(٥) تفسير الرازي: ٧/ ١١٧، ويُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٥٩٥.

(٦) يُنظر في توجيه القراءات: تفسير الرازي: ٧/ ١١٧. وتفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٥٩٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١· ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

عَليه، أو النَّونُ فيه للجلالةِ أي: آمَنُوا في حَالِ أنّنا أَمَرْنَاهُم بذلك؛ لأنّنا لا نفرّقُ؛ فالجملةُ مُعْتَرِضَة"[1].

ومن الَّلطائفِ في هذه الآيةِ الكريمَةِ، أنَّ الله سبحانه قَرَنَ إيمانَ المؤمنين بإيمانِ رسولِهِم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ تشريفاً لهم، وللإشارةِ إلى أنهم متى صدقوا في إيمانِهم كانت منزلتُهم عند الله – تعالى – قريبةً من منازلِ الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –، وفي تأخيرِهم في الذِّكْرِ إشارةٌ إلى تَأَخُّرِ التَّابع عن المتبوع، وإشارةٌ إلى أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أوَّلُ من آمنَ بما أُوحى إليه من رِّبه، وهو أقوى النَّاسِ إيماناً، وأصدقُهم يقيناً، وأكثرُهم استجابةً لأوامرِ الله"[2].

ومن ذلك: مجيءُ مراتبِ الإيمانِ على هذا الترتيب؛ يقول أبو حيَّان: وهذا الترتيبُ في غايةِ الفصاحة؛ لأنَّ الإيمانَ بالله هو المرتبةُ الأولى، وهي التي يَسْتَبِدُّ بها العقل؛ إذْ وجودُ الصانعِ[3] يُقرُّ بِهِ كلُّ عاقلَ، والإيمانُ بملائكتِه هي المرتبةُ الثانية؛

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٥٩٥.

(٢) التفسير الوسيط: ١/ ٦٥٩ .

(٣) (الصانع) ليس من أسماء الله، وقد ذكر أهل العلم أنّ الاسم يكون من أسماء الله الحسنى إذا اجتمعت فيه ثلاثة أمور: – الأول: أن يكون قد نُصّ عليه في الكتاب والسنة.
– الثاني: أن يكون مما يُدْعَى الله – عز وجل – به.
– الثالث: أن يكون متضمّنا لمدحٍ كاملٍ مطلقٍ غير مخصوص.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: والشروطُ الثلاثة غيرُ منطبقة على اسم القديم، وعلى نظائره كالصانع والمتكلم والمريد وأشباههم .. لهذا اسم (الخالق) يشتمل على كمال ليس فيه نقص، وأما اسم (الصانع) فإنه يطرأ عليه أشياء فيها نقص من جهة المعنى ومن جهة الإنفاذ، فلذلك جاء في أسماء الله (الخالق)ولم يأت فيها الصانع.

لكنّ بابَ الأسماء أضيقُ من باب الصفات، وبابَ الصفات أضيقُ من باب الأفعال، وبابَ الأفعال أضيقُ من باب الإخبار، والعكس كذلك. شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار المودة، ١٤٣١هـ – ٢٠١١م، خرّج أحاديثه:سليمان القاطوني: ١/ ٧٥ فما بعدها .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ . ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

لأنَّهم كالوسائطِ بينَ الله وعبادِه، والإيمانُ بالكُتُب هُو الوحيُ الذي يتلقَّنُه الملكُ من الله، يُوصِله إلى البشر، هي المرتبةُ الثالثة، والإيمانُ بالرُّسُلِ الَّذينَ يقتبسونَ أنوارَ الوحيَ فهم متأخِّرون في الدرجةِ عن الكتب، هي المرتبةُ الرابعة"[1]، ولذلك يقول الرّازي: "ومن تَأَمَّلَ في لطائفِ نَظْمِ هذه السورةِ، وفي بدائعِ ترتيبِها عَلِمَ أنَّ القرآنَ كما أنَّه مُعْجِزٌ بحَسَبِ فصاحةِ ألفاظِه وشرفِ معانيه، فهو أيضاً معجزٌ بحسبِ ترتيبِه ونَظْمِ آياته"[2].

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾، ﴿سَمِعۡنَا﴾ أي: أَجَبْنَا، وهو المعنى العُرْفِيُّ للسَّمع، ﴿وَأَطَعۡنَاۖ﴾ أي: قَبِلْنَا عن طَوْعٍ ما دعوتَنَا إليه في الأوامر والنوهي، وتقديمُ ذِكْرِ السَّمْع على الطَّاعة لِتَقَدُّمِ العامِّ على الخاصِّ، أو لأنَّ التكليفَ طريقُه السَّمْعُ والطَّاعةُ بعدَه[3]، وجيءَ بلفظِ الماضي دونَ المضارع؛ ليدلُّوا على رسوخِ ذلك عندهم[4]، وتقديمُ ذِكْرِهما على طلبِ الغفرانِ لأنَّ تقديمَ الوسيلةِ على المسؤولِ أقربُ إلى الإجابةِ والقبول[5]، ويأتي طلبُ الغُفْرانِ بعد تقديمِ الاستسلامِ وإعلانِ السَّمعِ والطَّاعةِ ابتداءً بلا عِنادٍ أو نكران[6].

ثُمَّ جاء الإقرارُ والاعتراف بـ: ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ وتقديم المجرور لإفادةِ الحصر: أي المصير إليك لا إلى غيرك[7]، وهي تذييلٌ لما قبلَه مقرِّرٌ للحاجةِ إلى المغفرة،

---

(١) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٣٩٧.

(٢) تفسير الرازي: ٧/ ١١٢.

(٣) تفسير الألوسي: ٣/ ٦٩.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٥٩٥.

(٥) تفسير الألوسي: ٣/ ٦٩.

(٦) تفسير في ظلال القرآن: ١/ ٣٢٥.

(٧) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٥٩٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

وفيها إقرار بالمعاد الذي لم يُصرح به قبل[1]، وقد جاءت هذه الجملةُ مقيَّدةً بـ﴿رَبَّنَا﴾ التي تُشعرُ بالتَّوحيدِ الخالص، وبما فيها من الاعترافِ بالنّعمة وحُسنِ التربيةِ ونحوها من معاني الربوبية، وما تشعرُ به من التوسُّلِ إلى الله أن يُتمِّمَ هذه الفضائلَ بفضله ورحمتِه[2]، والله تعالى أعلم.

٣-الالتفات من الغَيبة إلى الخطاب:-

فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[3]، يقول المؤلف: "في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾، فيه التفاتٌ من الغَيبةِ إلى الخطاب؛ وفائدتُه: إدخالُ الموجودينَ في عهدِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذا الحكم؛ أعني التَّولي؛ و"التَّولِّي" تَرْكُ الشَّيءِ وراءَ الظَّهْر؛ وهذا أبلغُ من الإعراض؛ لأنَّ الإعراضَ قد يكونُ بالقلب، أو بالبدنِ مع عدم استدبار"[4].

وقد حاول - أيضا - بعضُ من رأى أنَّ في الآيةِ التفاتاً[5] أن يتلمَّسوا أسراراً أُخَر، وخلاصةُ ما ذكروه: أنَّ الآيةَ بعدَ أن ذكرتْهم كأنَّهم استحضروا فخاطبتْهم، وهذا أشدُّ تقريعاً لهم؛ لأنَّ تقريعَ الحاضرِ أقوى من تقريعِ الغائب، مع ما في "ثُم" من الاستبعادِ الذي يزيدُ الأمرَ شِدَّة، ومِمَّا يزيدُ تصويرَ سوءِ حالِهم قولُه: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾بعدَ قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾خاصَّةً مع تقاربِ مَعْنَيَي التَّولِّي والإعراض، ثُمَّ

---

(١) تفسير الألوسي: ٣/ ٦٩.

(٢) يُنظر: تفسير الرازي: ٧/ ١٢٠، ويُنظر أوَّل آية في الفصل الأول من هذه الرسالة ص: ٢٣ .

(٣) البقرة: ٨٣.

(٤) تفسير ابنُ عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٢٦٩.

(٥) البعضُ لا يرى في الآيةِ التفاتاً، وإنَّما هو خطابٌ للحاضرين، يُنظر: تفسير روح المعاني: ١/ ٣٠٩، وتفسير التحرير والتنوير:١/ ٥٦٥.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. المصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

إنَّ صيغة التَّفعُّل في التَّولِّي والجملة الإسميَّة في: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ زادتا الأمْرَ تأكيداً وتشنيعاً لحالِهم(1)، والله تعالى أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾(2)، يقول المؤلف: "فيه التفاتٌ، وذلك أنَّ مقتضى السِّياقِ أن يقول: "إنَّهم لذائقوا العذاب"؛ لأنَّ الحديثَ كُلَّه جاءَ عن الغائب قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾(3)، فكانَ مُقتضى السِّياقِ أنْ يقول: إنَّهم لذائقوا العذابَ الأليم" ولكن كان في السِّياقُ التفات من الغَيبةِ إلى الخطاب، فما فائدةُ هذا الالتفات؟"(4) ثم يبين - المؤلف - نوعَ الالتفات في هذه الآية فيقول: "فهُنا التفاتٌ من الغَيْبَةِ إلى الخطاب؛ لأنَّ الخطابَ أبلغُ في الزَّجْر، ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ أبلغُ من "إنَّهم لذائقوا العذابَ الأليم"... فالخطابُ لا شكَّ أنَّ فيه قرعاً للذِّهن مباشراً؛ فيكونُ أشدَّ وقعاً من ضميرِ الغَيبة"(5)، ولبعضِ المُفسِّرين لفتاتٌ أُخَرُ حول سرِّ الالتفات في هذه الآيةِ، يقول الألوسي: "والالتفاتُ للمبالغةِ في إظهارِ كمالِ الغضبِ عليهم بمشافهتهم بهذا الوعيدِ وعدمِ الاكتراثِ بهم، وهو اللَّائقُ بالمستكبرين"(6)، ويقول الرازي: "ولَمَّا حكى اللهُ عنهم تكذيبَهم بالتَّوحيدِ والنُّبُوَّةِ نَقَلَ الكلامَ من الغَيْبَةِ إلى الحُضُور فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ كأنَّه قِيل: فكيفَ يَليقُ بالرَّحيمِ الكريمِ المتعالي عن النَّفْعِ والضرِّ أن يُعَذِّبَ عباده"(7)، والله أعلم.

---

(1) تفسير أبي السُّعود: ١/ ١٢٣.

(2) الصافات: ٣٨.

(3) الصافات: ٣٥ – ٣٧.

(4) تفسير ابن عثيمين، سورة الصافات: ص: ٩٠.

(5) تفسير ابن عثيمين، سورة الصافات: ص: ٩٠.

(6) تفسير روح المعاني: ٢٣/ ٨٥.

(7) تفسير الرازي: ٢٦/ ١١٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٢/٠٦ ١١
Ali Fattani

النوع الثاني:

وضع الظاهر موضعَ المضمر: [1]

وقد عُني المؤلفُ بهذا الأسلوبِ وهو يُرْجِعه إلى فوائدَ متنوِّعة "لفظيَّة ومعنويَّة" يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والإظهارُ في موضعِ الإضمارِ له فوائد؛ منها: مراعاةُ الفواصل[2]، ومنها الحكمُ على موضع الضميرِ بما يقتضيه هذا الوصف، ومنها الإشعارُ بالتعليل، ومنها إرادةُ التعميم"[3].

ونجد عندَه أنَّ الفائدةَ اللفظيةَ تشتركُ فيها جميعُ الآيات، وإنَّما التنوع في الفائدة المعنوية؛ فلكلِّ آيةٍ معناها الخاص بها.

فعند قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾[4] إذ يقول: "قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، وهنا أظهرَ في موضع الإضمارِ لفائدتين؛ إحداهما: لفظية، والثانية: معنوية؛ أما الفائدةُ اللفظية: فمناسبةُ رؤوسِ الآي؛ وأما الفائدةُ المعنوية فهي تتضمن ثلاثة أمور:

الأوَّل: الحُكْمُ على أنَّ من كانَ عدوّاً لله ومن ذُكر، بأنَّه يكون كافراً؛ يعني: الحُكْم على هؤلاءِ بالكفر، والثَّاني: أنَّ كلَّ كافرٍ سواءً كانَ سببُ كفره معاداةَ الله، أو لا، فاللهُ عدوٌّ له، الثالث: بيانُ العلَّة؛ وهي في هذه الآية: الكفر"[5]، ولعلَّ ممَّا يُؤيِّدُ ذلك "الفاء" الواقعةَ في جواب الشَّرط[6]، وهذا التوجيهُ مبنيٌّ على أنَّ الَّلامَ للجنس،

---

(١) يُنظر - على سبيل المثال -: الإيضاح مع البغية: ١/ ١١٢ فما بعدها.

(٢) وهذه هي الفائدة اللفظية كما سيأتي.

(٣) يُنظر: تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٢٩٠ و٣١٥، وسورة آل عمران:١/ ٢٠٠.

(٤) البقرة: ٩٨.

(٥) يُنظر: تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣١٥ - ٣١٦، ويُنظر: تفسير روح البيان: ١/ ١٨٨.

(٦) يُنظر: تفسير روح المعاني: ١/ ٣٣٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ويُحتملُ أن تكونَ اللَّامُ للعهد، والذي يبدو لي - والعلم عند الله - أن اللامَ للجنس؛ ليكونَ في ذلك تعميمٌ للحكم، بل وإشعارٌ أن الكفرَ صارَ صفةً لازمةً للمذكورين، حتى صارَ أول من يدخلُ في الكفارِ إذا أُطلقت التسمية[1]، والتَّعبيرُ بالجملةِ الإسميَّةِ يدلُّ على الثُّبُوتِ كما لايخفى، والتَّعبيرُ بلفظِ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ فيه تَفْخِيمٌ ودَفْعٌ لالتباس المعنى[2]، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾[3]، يقول المؤلف: "قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: هذا إظهارٌ في موضعِ الإضمار فيما يظهر؛ لأنَّ ظاهرَ السِّياق أن يكونَ بلفظِ الضمير؛ أي: ولهم عذاب مهين"[4] وقال في فوائد الآية: "ومنها: أنَّ الإظهارَ في موضعِ الإضمارِ من أساليبِ البلاغة، وفيه من الفوائد ما سبق ذكره قريباً"[5]، والآياتُ قبل هذه الآيةِ تتحدَّثُ عن مخازي اليهود، من قتلِهم الأنبياء وتكذيبهم إياهم، وبيانِ كذِبهم وكفرِهم بآياتِ الله[6]، ثُمَّ بدأت هذه الآيةُ بذمِّهم على اختيارِهم الكفرَ لأنفسِهم، واستبدالِهم الباطلَ بالحق[7]، والألف واللَّامُ في ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ للعهد[8]، والإظهارُ في موضعِ الإضمار

---

(١) تتفسير روح المعاني: ١/ ٣٢١.

(٢) مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ص١٢٦، ويُنظر: تفسير نظم الدرر: ١/ ٢٠٤، وتفسير روح المعاني: ١/ ٣٢٤، وتفسير الطبري: ٢/ ٣٩٥.

(٣) البقرة: ٩٠.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٢٩٢.

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٢٩٦.

(٦) يُنظر: تفسير نظم الدرر: ١/ ١٩٠.

(٧) يُنظر: تفسير البغوي: ١/ ١٢١.

(٨) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٢٣، وتفسير البحر المحيط: ١/ ٤٧٤.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

للإيذان بكفْرِهم، والإشعارِ بكون العذابِ المهينِ لهم[1]

ويُحتملُ أن تكونَ الألفُ والَّلامُ للعمومِ فيندرجُون في الكافرين[2]، ولعلَّ في التَّعبيرِ بالجملة الإسميَّةِ؛ إشارةً إلى أنَّ ذلك العذابَ المهينَ؛ إنَّما استحقُّوه بسببِ استمرارِهم على كفرِهم ودوامِهم عليه، مع مايفيدُه وصفُ العذابِ بالإهانةِ، وتقديمِ الخبرِ من التقييدِ والاختصاص؛ فغيرُ الكافرينَ إذا عُذِّبَ فإنَّما يُعَذَّبُ للتَّطهيرِ لا للإهانةِ والإذلالِ؛ ولذا لم يُوصَفْ عذابُ غيرِهم به في القرآن[3]، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[4] يقول المؤلف: "وهنا قال تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ ولم يقل: (أم يريدون كيداً فهم المكيدون)، وهذا الأسلوبُ عند علماءِ البلاغة يُسَمَّى الإظهارَ في موضعِ الإضمار، ومعناه بدل أن يقال: (فَهُم المُكِيدون) قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ ولهذا فائدةٌ بل أكثر، إذا قال ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معناه: أن هؤلاء كفار، ومعناه: أن من كان كافراً فهو المُكِيد، وإنْ كان من غير هؤلاء، هاتان فائدتان معنويتان، الفائدة الثالثة: تنبيهُ المخاطَب؛ لأنَّ الكلامَ إذا كان على نَسَقٍ واحدٍ ربَّما يغفلُ الإنسانُ، لكنْ إذا جاء شيء يخرجُ الكلام عن النسق انْتبَه"[5].

والكيدُ والمكرُ متقاربان وكلاهما إظهارُ إخفاءِ الضُّرِّ بوجْهِ الإخفاءِ؛ تغريراً بالمقصودِ له الضر[6].

----

(١) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٢٣، وتفسير البحر المحيط: ١/ ٤٧٤.

(٢) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٢٣.

(٣) يُنظر تفسير روح المعاني: ١/ ٣٢٣، ووصفُ غيرِهم بالعذابِ المهين يحتاج إلى تتبُّعٍ وإنما اعتمدت على كلامِ الألوسي المتقدم.

(٤) الطور: ٤٢.

(٥) تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد، ص: ٢٠٠.

(٦) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ٨٧.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ومعنى ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ أي: الذين يَحِيْقُ بهم كيدُهم، ويعودُ عليهم وبالُه، لا مَنْ أَرَادوا أن يكيدوه(1)، وقد عادَ عليهم وبالُ مكرِهم، فقد خرج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بينِ جُمُوعِهم ليلةَ الهجرةِ، دونَ أن يَروه، وكانوا مُحِيطِينَ بدارِه ليقتلوه، وأَحْبَطَ اللهُ – تعالى – مكرَهم(٢).

ويوضِّح الرازيُّ سرَّ العدولِ عن المضمرِ إلى الظاهرِ فيقول: "ما الفائدةُ في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ وما الفرقُ بين معنى هذا الكلامِ ومعنى قولِ القائل: "أم يُريدون كيداً فَهُم المكيدون"؟، نقول: الفائدةُ كونُ الكافرُ مكيداً في مُقَابلةِ كفرِه لا في مُقَابَلةِ إرادتِه الكيد، ولو قال: (أم يريدون كيدا فهم المكيدون)، كان يُفْهَم منه أنَّهم إنْ لم يريدوه لا يكونوا مَكِيدين"(٣).

وقد أتى بضميرِ الفصلِ ﴿هُمُ﴾ الذي يفيد القصر،أي: الذين كفروا المُكِيدُون دونَ من أَرَادوا الكيدَ بهم(٤)، ويوضِّحَ الرَّازيُّ – أيضا – سرَّ تنكيرِ قوله تعالى: ﴿كَيْدًا﴾ فيقول: "ما الفائدةُ في تنكيرِ الكيدِ حيثُ لَمْ يَقُلْ (أم يريدون كيدك أو الكيد) أو غير ذلك ليزولَ الإبهام؟ نقولُ فيه فائدة، وهي: الإشارةُ إلى وقوعِ العذابِ من حيثُ لا يشعرون، فكأنَّه قال: يأتيهم بغتةً ولا يكونُ لهم به علم، أو يكونُ – ذلك – إيراداً لعظمتِه"(٥).

ويبيِّنُ ابنُ عاشور سِرَّ حذفِ مُتعلِّق ﴿كَيْدًا﴾ فيقول: "وحذفَ مُتعلِّق ﴿كَيْدًا﴾ لِيَعُمَّ كلَّ ما يستطيعون أن يكيدوه فكانت هذه الجملةُ بمنزلةِ التتميمِ لنقضِ غزلِهم

---

(١) تفسير روح المعاني: ٢٧/ ٢٨.

(٢) تفسير الوسيط: ١٤/ ٥٠ .

(٣) تفسير الرازي: ٢٨/ ٢٣٠، ويُنظر: تفسير روح المعاني: ٢٧/ ٢٨.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ٨٧.

(٥) تفسير الرازي: ٢٨/ ٢٣٠.

ماجستير علي الفحطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١· ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

والتّذييلِ بما يَعُمُّ كُلَّ عزمٍ يجري في الأغراضِ التي جرت فيها مقالاتُهم"[1]. والله تعالى أعلم.

وبهذا ينتهي الحديثُ عن المعالم التي أردتُّ الحديثَ عنها في الكلامِ على (خروج الكلامِ على خلافِ مقتضى الظاهر) ويليه الحديثُ عن (الحذف) بإذن الله تعالى.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ٨٧.

ماجستير علي الفعطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المبحثُ السَّادِسُ
الحَــذْف

سَيَنْصَبُّ حديثي في هذا المبحث بإذن الله تعالى على الحذف، وذلك لأنَّ المؤلِّفُ لم يتطرَّق إلى الذِّكْر كثيراً، وليس له فيه إشاراتٌ تستحقُّ أن أقفَ عندها.

أمَّا الحذفُ فيقول عبدُ القاهر في حديثِه عنه: "هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخَذ عجيبُ الأمرِ، شبيهٌ بالسِّحر، فإنَّك ترى به تَرْكَ الذِكْر أفصحَ من الذِّكْر، والصَّمْتَ عن الإفادةِ أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ وأتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبِن"(١)، وهذا يُصوِّرُ لنا أهميَّةَ الحَذْفِ وشِدَّةَ تأثيرِه على المتلقِّي - مُستَمِعاً كانَ أم قارِئاً -، وممَّا يَزيدُ الأمرَ جلاءً، ويُبيِّنُ لنا أهميَّةَ الحذفِ ما ذكَرَهُ الدكتور محمد أبو موسى في حديثِه عن الحذْفِ ضِمْنَ حديثِه عن أحوالِ المسند إليه، ومن ذلك قوله: "وفي طَبْعِ الُّلغَةِ أن تسقط من الألفاظِ ما يَدُلُّ عليه غيرُه، أو ما يُرشدُ إليه سياقُ الكلامِ أو دلالةُ الحال، وأَصْلُ بلاغتِها في هذه الوجازةِ التي تعتمدُ على ذكاءِ القارئِ والسَّامع، وتعولُ على إثارةِ حسِّه، وبَعْثِ خيالِه وتنشيطِ نفسِه، حتَّى يفهمَ بالقَرِينَةِ ويدركَ باللَّمحةِ، ويفطنَ إلى معاني الألفاظِ التي طواها التعبير، والمتذوِّقُ للأدبِ لا يجدُ متاعَ نفسِه في السِّياقِ الواضحِ جدّاً، والمكشوف إلى حدِّ التعرية، والذي يسيءُ الظنَّ بعقلِه وذكائِه، وإنَّما يجدُ متعةَ نفسِه حيثُ يتحرَّكُ حسُّه ويَنشط، ليستوضِحَ ويتبيَّن، ويكشفَ الأسرارَ والمعاني وراءَ الإيحاءاتِ والرموز، وحين يُدرِكُ مرادَه، ويقعُ على طلبتِه من المعانى يكونُ ذلك أَمْكَنُ في نفسِه، وأَمْلَكُ لها من المعاني التي يجدُها مبذولةً في حاق اللفظ"(٢).

---

(١) دلائل الإعجاز، ص: ١٤٦.

(٢) خصائص التراكيب: ١٨٩ فما بعدها.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقد أشار المؤلفُ إلى مواقعَ من الحذف، ونبَّه في بعضِها على سرِّ الحذف، وسأجعلُ حديثي عن الحذفِ عندَ المؤلفِ في النقاط التالية:

أولاً: حـــذف الكلمـــة:

ومن أمثلته - عند المؤلف - قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾(١)، حيثُ يقول المؤلف: "وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ؛ والتقدير: هي - أي الأيام المعدودات - شهر رمضان"(٢).

ويقول ابنُ عاشور بعبارةٍ أكثر وضوحاً: "﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف تقديره "هي" أي الأيام المعدودات شهر رمضان، والجملةُ مستأنفةٌ بيانيّاً؛ لأنَّ قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ يُثيرُ سُؤالَ السَّامع عن تعيينِ هذه الأيام، ويُؤيدُ ذلك قراءة مجاهد: ﴿شَهْرًا﴾ بالنَّصب على البدليَّة من ﴿أَيَّامًا﴾: بدل تفصيل، وحَذْفُ المسندِ إليه جارٍ على طريقةِ الاستعمالِ في المسندِ إليه إذا تقدَّمَ من الكلامِ ما فيه تفصيلٌ وتبيينٌ لأحوالِ المسندِ إليه"(٣).

على أنَّ من المفسرين من يرى أنَّه ليس في الآيةِ حذفٌ وأنَّ ﴿شَهْرُ﴾ مبتدأ وليس خبراً، يقول أبو حيَّان: "وإعرابُ ﴿شَهْرُ﴾ يتبينُ على المراد بقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٣٣٢.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٦٧، ويُنظر: تفسير الرازي: ٥/ ٧٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

فإن كان المرادُ بها غيرَ أيامِ رمضان فيكونُ رفعُ ﴿شَهْرُ﴾على أنَّه مبتدأ، وخبرُه قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ويكون ذِكْرُ هذه الجملةِ تَقْدِمَةً لفرضيَّةِ صومِه بِذِكْرِ فضيلتِه والتنبيهِ على أنَّ هذا الشهرَ الذي أُنزلَ فيه القرآن هو الذي يُفرضُ عليكم صومُه"[1].

ويتلمَّس ابنُ عاشور سرَّ إضافة لفظ (الشهر) إلى (رمضان) في هذه الآيةِ مع أنَّ الإيجاز يتقضي عدم ذكره فيقول: "وذلك إما لأنَّه الأَشْهَرُ في فصيحِ كلامِهم وإمَّا للدلالةِ على استيعابِ جميعِ أيَّامِه بالصَّوم؛ لأنَّه لو قال (رمضان) لكان ظاهراً لا نصاً، لا سيَّما مع تَقَدُّمِ قولِه ﴿أَيَّامًا﴾فيتوهَّمُ السامعونَ أنَّها أيامٌ من رمضان"[2]، ويتلمَّسُ - أيضاً - سرَّ التعريفِ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ﴾فيقول: "وظاهرُ قولِه: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾أنَّ المخاطَبينَ يعلمونَ أن نزولَ القرآنِ وَقَعَ في شهرِ رمضان؛ لأنَّ الغالبَ في صِلَةِ الموصولِ أن يكونَ السَّامعُ عالماً باختصاصِها بمن أُجرى عليه الموصول، ولأنَّ مثلَ هذا الحدَثِ الدِّينيِّ من شأنِه ألاَّ يَخْفى عليهم، فيكونُ الكلامُ تذكيراً بهذا الفضل العظيم"[3].

ولعلَّ التعبيرَ بالمضارع ﴿يُرِيدُ﴾يدلُّ على استمرارِ إرادةِ الله - جلَّ وعلا - اليسرَ لعبادِه المؤمنين، وأنَّها دائِمةٌ لاتنقطع، وقيلَ: ﴿يُرِيدُ﴾هنا بمعنى (أراد)؛ فهو مضارعٌ أُريدَ به الماضي، ولعلَّ الأوَّلَ هو الأرجح؛ لأنَّ المضارعَ هو الموضوعُ لما هو كائِنٌ لم ينقطع، وإرادةُ الله اليُسرَ لعباده كذلك[4].

وفي قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾وَرَدَتْ لفظةُ ﴿هُدًى﴾منكَّرة مرَّة ومعرَّفةً بـ(أل) مرَّةً أُخرى، ويوجِّهُ الألوسيُّ ذلك فيقول:

---

(١) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٤٥، ويُنظر: تفسير البيضاوي: ١/ ٤٦٣.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٦٩.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ١٦٩.

(٤) يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٢/ ٤٩.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

"وهما حالانِ لازمانِ من القرآنِ، والعاملُ فيهما ﴿أُنزِلَ﴾ أي: أُنزلَ وهو هدايةٌ للنَّاسِ بإعجازِه المُختَص به، كما يُشعرُ بذلك التَّنكير، وهو آياتٌ واضحاتٌ من جُمْلةِ الكُتُبِ الإلهيَّةِ الهاديةِ إلى الحقِّ، والفارقةِ بينَ الحقِّ والباطلِ، باشتمالِه على المعارفِ الإلهيَّةِ والأحكامِ العمليَّةِ، كما يُشْعرُ بذلك جَعْلُه بيِّناتٍ منها، فهو هادٍ بواسطةِ أمرين: مُخْتَصٌّ وغيرِ مُختصٍّ؛ فالـ(هُدى) ليس مُكرَّراً، وقيل: مُكَرَّرٌ تنويهاً وتعظيماً لأمرِه وتأكيداً لمعنى الهدايةِ كما تقول: (عالِمٌ نِحْرير) "[1]، والله تعالى أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾[2]، يقول المؤلف: "وقوله: ﴿خَطَـًٔا﴾ يُحتمل أن تكونَ صفةً لموصوفٍ محذوف، أي: (إلا قتلاً خطأً)، كقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾[3] أي: "أن اعمل دروعاً سابغات"، وحذفُ الموصوفِ مع بقاءِ الصِّفةِ كثيرٌ في اللغةِ العربيةِ، وفي القرآنِ الكريم"[4].

وقد جعلَ ذلك كثيرٌ من المفسرين محتملاً؛ فجوَّز أن يكونَ في الآيةِ حذفٌ وأنَّ المحذوفَ مصدرٌ موصوفٌ - كما يرى المؤلف -[5]، كما جوَّز بعضُهم ألاَّ يكونَ في الآيةِ حذفٌ، وإنَّما انتصب ﴿خَطَـًٔا﴾ على أنَّه مفعولٌ له أي: ما ينبغي له أن يقتلَه لعلَّةٍ من العللِ إلا للخطأ وحدَه، أو أنَّه حالٌ أي: لا يقتلُه في حالٍ من الأحوالِ إلاَّ في حالِ

---

(١) تفسير روح المعاني: ٢/ ٦١.

(٢) النساء: ٩٢.

(٣) سبأ: ١١.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء: ٢/ ٦٨.

(٥) يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٣/ ٣٣٣، تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٣٤، تفسير روح المعاني: ٥/ ١١٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الخطأ[1]، والغرضُ تهويلُ أمرِ قتلِ المسلمِ أخاه المسلم وجعلُه في حيِّزِ ما لايكون، ولذلك يرى ابنُ عاشور أنَّ في الآيةِ حصراً ادِّعائيًّا مُراداً به المبالغة، كأنَّ صفةَ الإيمانِ في القاتلِ والمقتولِ تُنافي الاجتماعَ مع القتلِ في نفسِ الأمر منافاةَ الضدَّين؛ لقَصْدِ الإيذانِ بأنَّ المؤمنَ إذا قَتَلَ مؤمناً فقد سُلبَ عنه الإيمانُ وما هو بمؤمن، على نحو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حينَ يشربُها وهو مُؤْمُن)**[2][3].

وهذا -من وجهةِ نظري- متوجِّهٌ إذا حُمل الكلامُ على النَّفي؛ لاحتمالِ أن يكونَ مراداً به النَّهي، يقول ابنُ عاشور: "وذهب المفسّرون إلى أنّ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ مرادٌ به النَّهي، أي: خَبَرٌ في معنى الإنشاء؛ فالتجأوا إلى أنّ الاستثناءَ مُنقطعٌ بمعنى (لَكِن)؛ فراراً من اقتضاءِ مفهومِ الاستثناء إباحةَ أن يَقْتُلَ مؤمنٌ مؤمناً خطأ، وقد فهمت أنّه غيرُ متوهَّم هنا، وإنّما جيءَ بالقيدِ في قوله: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾؛ لأنّ قولَه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ مرادٌ به ادِّعاء الحَصْرِ أو النَّهيُ كما علمتَ، ولو كانَ الخَبَرُ على حقيقتِه لاستغنى عن القيدِ لانحصارِ قَتْلِ المؤمنِ بمقتضاه في قتلِ الخطأ، فيستغنى عن تقييدِه به"[4]، والله أعلم.

---

(١) يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٣/ ٣٣٣، تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٣٤، تفسير روح المعاني: ٥/ ١١٢.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري: برقم (٦٨١٠) وصحيح مسلم: برقم (٢١١).

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٤/ ٢١٦.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٤/ ٢١٦.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ثانيا: حذف الجملة:

فعند قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[1]، يقول المؤلف: "وفي الآيةِ جوازُ حذفِ ماكانَ معلوماً، وأنَّه لاينافي البلاغة؛ وهو ما يُسمَّى عند البلاغيين بإيجاز الحذف؛ لقوله تعالى: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ ﴾؛ والتقدير: (فماتوا ثمَّ أحياهم)؛ وهذا كثيرٌ في القرآن، وكلامِ العرب"[2].

ويتلمَّسُ الألوسيُّ سِرَّ الحذفِ فيقول: "وإنَّما حُذف للدَّلالةِ على الاستغناء عن ذكره لاستحالةِ تَخلُّفِ مرادِه تعالى عن إرادتِه الكونية"[3]، وفي العطفِ بـ(ثُمَّ) دلالةٌ على تراخي الإحياءِ عن الإماتة[4]، وظاهر هذا الموت مفارقةُ الأرواحِ الأجساد[5]، قال صاحبُ الكشَّاف: "فإن قُلتَ: ما معنى قولِه: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾قلت: معناه فأماتَهم، وإنَّما جيءَ به على هذه الصورةِ للدّلالةِ على أنَّهم ماتوا مِيتةَ رَجلٍ واحدٍ بأمرِ الله ومشيئتِه، وتلك مِيتَةٌ خارِجَةٌ عن العادة، كأنَّهم أُمروا بشيءٍ فامتثلوا امتثالاً من غيرِ إِباءٍ ولا تَوَقُّفٍ كقوله - تعالى - ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[6]، وهذا تشجيعٌ للمسلمينَ على الجهادِ والتَّعَرُّضِ للشهادةِ، وأنَّ الموتَ إذا لم يكن منه بُدٌّ ولم ينفعْ منه مَفَرٌّ فأولى أن يكونَ في سبيلِ الله"[7]، قال ابنُ عاشور: "ومحلُّ العبرةِ من القصَّةِ هو أنَّهم ذاقوا الموتَ الذي فَرُّوا منه، ليعلموا أنَّ الفِرارَ لايُغني عنهم

---

(١) البقرة: ٢٤٣.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٣/ ١٩٨.

(٣) تفسير روح المعاني: ٢/ ١٦١.

(٤) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٢٦٠.

(٥) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٢٦٠.

(٦) يس: ٨٢.

(٧) تفسير الكشاف: ١/ ٣١٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١.
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

شيئاً، وأنّهم ذاقوا الحياةَ بعد الموت، ليعلموا أنَّ الموتَ والحياةَ بيد الله، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٦﴾[1]"[2].

ثالثا: حــــذفُ الجُمـــــل:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾[3]، ففي سياقِ حديثِ المؤلِّفِ عن مواطنِ شفاعاتِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يومَ القيامة يقول: "الثاني: شفاعتُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في أهلِ الجنَّةِ أن يدخلوها؛ لأنَّهم إذا عبَرُوا الصِّراطَ ووصَلوا إليها وَجَدُوها مُغْلَقَةً، فَيَطْلُبون من يشفعُ لهم، فيشفعُ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى الله في فَتْحِ أبوابِ الجنَّةِ لأهلِها، ويُشِيرُ إلى ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾؛ فقال: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾؛ فهناكَ شيءٌ محذوف، أي: وحَصَلَ ما حَصَلَ من الشَّفَاعةِ، وفُتِحَت الأبواب، أمَّا النار؛ فقال فيها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾"[4].

ويقول ابنُ كثيرٍ بعبارةٍ أكثرَ تفصيلاً: "وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾أي بمجرَّدِ وصولِهم إليها فُتِحَتْ لهم أبوابُها سريعاً لتُعَجَّلَ لهم العقوبة، ثم يقولُ لهم خزنتُها من الزَّبانيةِ الذين، هم غِلاظُ الأخلاقِ شِدادُ القُوى - على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل - ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾أي: من جِنْسِكم تتمكَّنون من

---

(١) الأحزاب: ١٦.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٤٥٨.

(٣) الزمر: ٧١ - ٧٣.

(٤) القول المفيد للمؤلف: ١/ ٣٣٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

مُخاطبتِهم والأَخْذِ عنهم... وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ أي: إذا وَصَلوا إلى أبوابِ الجنَّةِ بعد مُجاوزَةِ الصِّراط؛ حُبِسُوا على قَنْطَرةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ فاقْتُصَّ لهم مظالمُ كانت بينَهم في الدُّنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخولِ الجنَّة، وقد وَرَدَ في حديثِ الصُّورِ[١]، أنَّ المُؤمنينَ إذا انْتَهَوا إلى أبوابِ الجنَّةِ تشاورُوا فيمن يَسْتَأذنُ لهم في الدُّخول، فيَقْصِدونَ آدمَ ثُمَّ نُوحاً ثم إبراهيمَ ثم موسى ثم عيسى ثم محمداً -صلى اللهُ وسلَّمَ عليهم أجمعين- كما فَعلوا في العَرَصاتِ عند استشفاعِهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يأتيَ لفصلِ القَضاء؛ ليظهرَ شرفُ مُحمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على سائرِ البشرِ في المواطنِ كُلِّها وقد ثبتَ في صحيح مسلم عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّة"[٢]... ولم يُذكر الجوابُ ههنا وتقديره: حتى إذا جاؤُوها وكانت هذه الأمورُ من فتحِ الأبوابِ لهم إكراماً وتعظيماً وتلقّتْهم الملائكةُ الخَزَنةُ بالبشارةِ والسَّلامِ والثَّناءِ كما تَلْقَى الزبانيةُ الكَفَرَةَ بالتَّثريبِ والتَّأنيبِ فتقديرُه: إذا كانَ هذا سُعِدُوا وطابُوا وسُرُّوا وفرحوا بِقَدْرِ كُلِّ ما يكونُ لهم فيه نعيم، وإذا حُذِفَ الجوابُ - ههنا - ذَهَبَ الذِّهْنُ كلَّ مَذْهَبٍ في الرَّجاء والأمل"[٣] أو هو للدلالةِ على أنَّ لهم حينئذٍ من الكرامةِ والتعظيمِ ما لا يُحيط به الوصف[٤].

وللعلماءِ في (واو) ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ آراءٌ أُخَر؛ فقال الكوفيون: هذه الواو زائدةٌ؛ حتَّى تكونَ جواباً لقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ كما في سَوْقِ الكُفَّار، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً﴾[٥] أي: (ضياء)، والواو زائدة[٦]،

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري: ١٢/ ٤٧٠، وابن كثير: ١/ ٣٠٨.

(٢) صحيح مسلم: برقم (١٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٨٠ فما بعدها.

(٤) تفسير البيضاوي: ٥/ ٨٠.

(٥) الأنبياء: ٤٨.

(٦) تفسير البغوي: ٧/ ١٣٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

وقيل: هي بمعنى (مع) أي: مع فتح أبوابها[1]، وقال الألوسيُّ: "والواو للحال، والجملةُ حاليَّةٌ بتقديرِ "قد" على المشهور، أي: جاؤوها وقد فُتِحت لهم أبوابُها كقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾[2]، ويُشْعِرُ ذلك بتَقَدُّمِ الفَتْح، كأنَّ خَزَنَةَ الجنَّاتِ فَتَحُوا أبوابَها ووقفُوا منتظرين لهم، وهذا كما تَفْتَحُ الخدمُ بابَ المنزلِ للمدعوِّ للضيافةِ قَبْلَ قدومِه وتقفُ منتظرةً له، وفي ذلك من الاحترامِ والإكرام ما فيه"[3]، وعلى ذلك فيكونُ حَذْفُها في الآيةِ الأُولى لبيانِ أنَّها كانت مُغْلَقَةً قبل مجيئِهم[4].

وقال بعضُهم (الواو) هنا هي (واو الثمانية) وردَّ ذلك بعضُ المفسرين، يقول ابنُ كثير: "ومَنْ زَعَمَ أنَّ الواوَ في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ (واو الثمانية)، واستدلَّ به على أنَّ أبوابَ الجنَّةِ ثمانية، فَقَدْ أَبْعَدَ النجْعَةَ وأَغْرَقَ في النَّزع، وإنَّما يُستفادُ كونُ أبواب الجنةِ ثمانيةً من الأحاديثِ الصحيحة"[5]، ويقول الألوسيُّ: "فما قيل: إن (الواو) في الثَّانية (واو الثمانية)؛ لأنَّ المُفَتَّحَ ثمانيةُ أبواب، ولَمَّا كانتْ أبوابُ النَّارِ سبْعةٌ لا ثمانية لم يُؤْتَ بها؛ وجْهٌ ضعيفٌ لا يُعَوَّلُ عليه"[6].

وفي التعبيرِ بـ(السَّوق) في سياقِ أهل النَّار إشعارٌ لهم بالإهانة، والسَّوق: أن يجعلَ الماشي ماشياً آخرَ يَسيرُ أمامَه ويلازمُه،وضِدُّه (القَوْد)، والسَّوقُ مشعر بالإزعاج والإهانة، قال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ﴾[7]"[8]، وأمَّا في سياقِ أهلِ الجنَّةِ فهو

---

(١) تفسير الكشاف: ٤/ ١٥٠.

(٢) ص: ٥٠.

(٣) تفسير روح المعاني: ٢٤/ ٣٤، وينظر: تفسير البيضاوي: ٥/ ٨٠، تفسير التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٣٧.

(٤) تفسير البغوي: ٧/ ١٣٣، وينظر: تفسير روح المعاني: ٢٤/ ٣٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤/ ٨٢. ويُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٣٧.

(٦) تفسير روح المعاني: ٢٤/ ٣٤.

(٧) الأنفال: ٦.

(٨) تفسير التحرير والتنوير: ٣٤/ ١٣٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

إكرامٌ لهم؛ يقول الزمخشريُّ: "فإن قلتَ: كيفَ عبَّرَ عن الذَّهَاب بالفريقينِ جميعاً بلفظِ السَّوق قلت: المرادُ بسَوْقِ أهلِ النَّار: طَرْدُهم إليها بالهوانِ والعُنْفِ كما يُفْعَلُ بالأُسارى والخارجِينَ على السُّلطان إذا سِيقوا إلى حَبْسٍ أو قتل، والمرادُ بسَوْقِ أهلِ الجنَّة: سَوْقُ مراكبِهم لأنَّه لا يُذْهَبُ بهم إلا راكبين[1]، وحثُّها إسراعاً بهم إلى دارِ الكرامةِ والرِّضوان، كما يُفْعَلُ بمن يُشَرَّفُ ويُكرَّمُ من الوافدين على بعضِ الملوك فشتان ما بين السَّوْقَين"[2]، واختار ابنُ عاشور والألوسيُّ أنَّ ذلك من قبيلِ المشاكلة، وأنَّ السوق إليها يرادُ به الحثُّ والإسراع إلى الإكرام، وأنَّ قولَه تعالى ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ يدفعُ إيهامَ الإهانة[3]، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾[4]، يقول المؤلف: " ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ ولم يَقُل (قَتله)، وفي السفينةِ قال: ﴿خَرَقَهَا ۖ﴾ ولم يقل: (فخرقَها)، يعني: كأنَّ شيئاً حصلَ قبلَ القتلِ فقتله"[5].

والذي يبدوا لي أنَّ (الفاء) في ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ لاتدلُّ على محذوف، وإنَّما هي للعطف المفيدِ للتعقيب لاغير، يقولُ الزمخشريُّ: " فإن قلت: لِمَ قِيْل: ﴿خَرَقَهَا ۖ﴾ بغيرِ (فاء) و﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ بالفاء؟ قلت: جَعَلَ ﴿خَرَقَهَا ۖ﴾ جزاءً للشَّرط، وَجَعَل ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ من جُمْلَةِ الشَّرط معطوفاً عليه، والجزاء ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾: فإن قُلت: فَلِمَ خُولف بينهما؟ قلت: لأنَّ

---

(١) وهذا – من وجهة نظري – يحتاج إلى دليل وبحثٍ واستقصاء، ليس هذا مجاله.

(٢) تفسير الكشاف: ٤/ ١٥٠.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٣٤/ ١٣٥، تفسير روح المعاني: ٢٤/ ٣٤.

(٤) الكهف: ٧١ – ٧٤.

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة الكهف: ص ١١٧.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

خَرْقَ السَّفينة لم يَتَعَقَّب الركوب، وقد تعقَّب القتلُ لقاءَ الغلام"[١]، ولذلك اختيرَت (الفاء) من بينِ حروفِ العطفِ للدلالةِ على التعقيب[٢]، ويقول البيضاوي: "و(الفاء) للدَّلالةِ على أنَّه كما لَقِيَه قتَله، من غيرِ تروٍّ واستكشافِ حال ولذلك: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾"[٣].

ومن الملاحَظِ في هذه الآياتِ: أنَّه في سياقِ اعتراضِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على خَرْقِ السفينةِ قال: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ وفي سياقِ اعتراضِه على قتلِ الغلام قال: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ والإمر: هو المنكر[٤]،وقيلَ العَجَب[٥] والنُّكْر: هو الأمرُ المُنْكَرُ جدّا[٦]، وقد تباينَت آراء المفسِّرين حول أيِّهما أبلغ، فمنهم من قال: (الإِمْر) أعظم؛ لأنَّ خَرْقَ السَّفينةِ يُؤدِّي إلى إتلافِ نفوسٍ كثيرة، وهذ القَتْلُ ليسَ إلا إتلافَ شَخْصٍ واحد[٧].

وقال الرّازي: "(النُّكْرُ) أعظمُ من (الإمر) في القُبح، وهذا إشارةٌ إلى أنَّ قَتْلَ الغُلامِ أقبحُ من خَرْقِ السَّفينةِ؛ لأنَّ ذلك ما كان إتلافاً للنَّفس؛ لأنَّه كان يُمكن أن لا يحصلَ الغَرَق، أمَّا ههنا حصلَ الإتلافُ قطعاً؛ فكانَ أنكر، وقيل إنَّ قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: عَجَباً، و(النُّكر) أعظمُ من العَجَب، وقيل: (النُّكْر) ما أنكرتْه العقولُ ونَفَرَت عنه النفوس؛ فهو أبلغُ في تقبيحِ الشيءِ من (الإمر)"[٨]، والله أعلم.

---

(١) تفسير الكشاف: ٢/ ٦٨٧.

(٢) تفسير روح المعاني: ١٥/ ٣٤٠.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥١٣، ويُنظر: تفسير روح المعاني: ١٥/ ٣٤٠.

(٤) مفردات الراغب: (أ م ر)

(٥) مقاييس اللغة: ١/ ١٣٩.

(٦) تفسير روح المعاني: ١٥/ ٣٤٠.

(٧) تفسير الرازي: ٢١/ ١٣٢، ويُنظر: تفسير القرطبي: ١١/ ٢٢، وتفسير روح المعاني: ١٥/ ٣٤٠.

(٨) تفسير الرازي: ٢١/ ١٣٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ . ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وعند قولِه تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾[1]، يقول المؤلف: هذه الآية فيها إيجازُ حذفٍ قدّره المفسِّر[2]، والتقدير: (فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنَّار، فإذا التهبَ فألقُوه في الجحيم) [3]، وفي الإتيانِ بـ(الفاء) عَقِب قوله: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ وحَذْفِ ما توسَّطَ بينهما؛ إشارةٌ إلى أنَّهم أرادوا الإسراعَ العظيمَ في هذا الأمر، كأنَّهم قالوا: ابنوا بنياناً فألقوه مباشرةً، وليس يُلقى بالبنيانِ فقط ليتمتَّعَ فيه، ولكن بعد إيقادِ النَّار فيه، وإنَّما أرادوا بهذا الإسراعَ والمبادرة، كأنَّهم طَووا ذِكْرَ ما بين البناء والإلقاءِ لعدمِ وجوده من سرعةِ المبادرة"[4].

ويقول الرَّازي: "واعلمْ أن كيفيَّةَ ذلك البناء لا يدلُّ عليها لفظُ القرآن، قال ابنُ عباس: بنوا حائطاً من حجرٍ، طولَه في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضُه عشرون ذراعاً، ومَلَؤُه ناراً فطرحوه فيها"[5]، وقد روى المفسرون عن مقاتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كيفيَّةِ ذلك أنَّه لما اجتمع (نمروذ) وقومُه لإحراقِ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حبسوه في بيتٍ، وبنوا بنياناً كالحظيرةِ، ثُمَّ جمعوا له الحطبَ الكثيرَ، حتىَّ إنَّ المرأةَ لو مرضت قالت: إن عافانيَ اللهُ لأجعلنَّ حطباً لإبراهيم، ونقلوا له الحطبَ على الدوابِّ أربعينَ يوماً، فلما اشتعلت النارُ اشتدَّت، وارتفعَ لها لهبٌ إلى عَنان السَّماء، وصار الهواءُ بحيثُ لو مرَّ الطيرُ في أقصى الهواءِ لاحترق، ثُمَّ أخذوا إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورفعوه على رأسِ البُنيان وقيَّدوه ثم اتخذوا منجنيقاً، ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً، ثم قذفوه فيها، فجعلَها اللهُ عليه برداً وسلاماً، وخرجَ منها سالماً بعد ما مكث فيها أياماً[6].

---

(١) الصافات: ٩٧.

(٢) يعني به أحد الجلالين؛ لأنَّه اعتمد في تفسير هذه السورة على تفسير الجلالين.

(٣) يُنظر: تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الحديث - القاهرة، ١/ ٥٩٣.

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة الصافات: ص ٢١٧.

(٥) تفسير الرازي: ٢٦/ ١٣١.

(٦) تفسير الرازي: ٢٢/ ١٦٢، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٩٦، تفسير روح المعاني: ١٧/ ٦٨.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

فطوي ذكرُ ذلك كلِّه؛ لغرض الإسراعِ - كما يقول المؤلف - وجاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بهذا الإيجازِ المعبِّرِ عن المقصود، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾[1]، يقول المؤلف: "حُذف جوابُ الشَّرطِ في هذه الآيات من أجلِ أن يذهبَ الذِّهنُ في تقديره كلَّ مذهب، يعني: (إذا وقعت الواقعةُ صارت الأهوالُ العظيمةُ، وصار انقسامُ النَّاسِ، وحصلَ ما حصلَ ممَّا أخبرَ به الله ورسولُه ممَّا يكون في يوم القيامة)" [2].

وفى ﴿إِذَا﴾ هنا أوجه:

أحدها: أنَّها ظرفٌ مَحْضٌ، ليس فيها معنى الشَّرط، والعاملُ فيها ﴿لَيْسَ﴾، من حيثُ ما فيها من معنى النفى،كأنه قيل: ينتفى التكذيب بوقوعها إذا وقعت.

والثَّانى: أنَّها ظرفٌ مَحْضٌ، ليس فيها معنى الشَّرط - أيضاً - والعاملُ فيها (اذْكر) مُقَدَّراً.

والثالث: أنَّها شرطيَّةٌ وجوابُها مُقَدَّر، أى: (إذا وقَعت الواقعةُ كان كيت وكيت)، وهو العامل فيها[3].

وعلى الوجهِ الأولِ فلا يكونُ في الكلامِ حذفٌ.

و قال صاحبُ أضواءِ البيان: "والذي يَظهرُ لي صوابُه، أنَّ ﴿إِذَا﴾ هنا: هي الظرفيَّةُ المتضمِّنَةُ معنى الشرط، وأنَّ قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ بدلٌ من قوله: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ وأنَّ جوابَ ﴿إِذَا﴾ هو قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾... وعليه فالمعنى: إذا قامتِ القيامةُ، وحَصَلَتْ هذه الأحوالُ العظيمةُ، ظَهَرَت منزلةُ أصحابِ الميمنة،

---

(١) الواقعة: ١- ٤.

(٢) تفسير اين عثيمين، من الحجرات إلى الحديد: ص ٣٢٧.

(٣) تفسير البيضاوي: ٥/ ٢٨٣، وتفسير القرطبي: ١٧/ ١٩٤، وتفسير روح المعاني: ٢٧/ ١٢٩.

ماجستير علي الفعطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وأصحابِ المشأمة"[1].

وذهبَ أبو حيَّان إلى أنَّ الجوابَ ملفوظٌ به وليسَ مقدَّراً؛ وعليه فلا يكونُ في الكلامِ حذف، يقول أبو حيَّان: "﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ بَدَلٌ من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾، وجوابُ الشَّرْطِ عندي ملفوظٌ به، وهو قوله: ﴿فَأَصْحَبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، والمعنى: إذا كان كذا وكذا، فأصحابُ الميمنةِ ما أسعدَهم وما أعظمَ ما يُجازَونَ به، أي: إن سعادتَهم وعِظَمَ رُتْبَتَهم عند الله تَظْهَرُ في ذلك الوقتِ الشَّديدِ الصَّعبِ على العالم"[2].

والوجه الثالثُ هو الذي رجَّحه المؤلفُ، يكون في الكلامِ حذفٌ قدَّره المؤلفُ وبيَّنَ سِرَّه.

ويرى الرَّازيُّ قريباً من ذلك، وأنه يُحتملُ أن يكون المحذوفُ موصوفاً، وتكونُ ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾ صفةً للمحذوفِ وهي (القيامةُ) أو (الزَّلزلَة)، ويُحتملُ أن يكونَ المحذوفُ شيئاً غيرَ مُعَيَّنٍ، وتكونُ (تاء التأنيث) مشيرةً إلى شِدَّةِ الأمرِ الواقعِ وهَوْلِه، كما يُقال: (كانتِ الكائنةُ) والمرادُ: كانَ الأمرُ كائناً ما كان، فعدلوا عن التطويلِ إلى الإيجازِ مع زيادةِ فائدة، فقالوا: نأتي بحرفٍ نيابة عن كلمةٍ كما أتينا بهاءِ التأنيث حيث قلنا: (ظالمة) بدل قول القائل: (ظالم أنثى)"[3]، والله أعلم.

وبهذا تنتهي المعالم التي أردت الحديث عنها في هذا الفصل، ويليه(الفصل الثالث) بإذن الله تعالى .

---

(١) تفسير أضواء البيان: ٧/ ٥٠٨.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٨/ ٢٠٤.

(٣) تفسير الرَّازي: ٢٩/ ١٢٣. وللتَّوسُّعِ في إعراب الآيات يُنظر كتب إعراب القرآن الكريم.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الفصل الثالث

الفصل الثالث

نظْمُ الجُمَل والتّراكيب القُرآنيَّة

وفيه مبحثـــــان :

۞ **المبحث الأول : الإطنـــــاب .**

۞ **المبحث الثاني : المناسبـــات .**

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المبحثُ الأول
الإطنـــاب

من العباراتِ المشهورةِ عندَ البلاغيِّين قولُهم: "(الإيجازُ هو البلاغة)[1]، ولكن قد يَفهمُ البعضُ من هذه العبارةِ أنَّ الإطنابَ مذمومٌ، وهذا خطأٌ بلا رَيْبٍ، "فليست البلاغةُ في الإيجاز، ولا في الإطنابِ، ولا في المساواةِ... إنَّما البلاغةُ في ملاءَمةِ مقتضى الحال"[2]، فالإيجازُ قد يكونُ ملائِماً للحال فيكونُ المتكلِّمُ بليغاً، وقد يكونُ غيرَ ملائم فيكونُ المتكلِّمُ عندها غيرَ بليغ، ولذا فإنَّ هناك مقاماتٍ مُعيَّنةً، لا يَصلُحُ فيها الإيجازُ بل لا بُدَّ من الإطناب، وقد قيل في تعريفِ الإطناب: "هو زيادةُ اللفظِ على المعنى لفائدة"[3]، فهذه الفائدةُ هي التي جعلت الإطنابَ مناسباً وأدخَلتْهُ في الكلامِ البليغ، وهناك مقاماتٌ كثيرةٌ لابُدَّ فيها من الإطناب، وهذا المقام الدَّاعي إلى الإطناب قد يكونُ حالَ المخاطَب، كضَعفِ فَهم - مثلاً -، وقد يكونُ بسبب نوعيَّةِ الأمرِ الذي سيُتكلَّمُ فيه، كتحديدِ أحكامٍ شرعيَّةٍ أو نحوِ ذلك، ولعلَّ شيئاً من هذا سيتَّضِحُ من خلالِ الحديثِ في الصَّفحاتِ القادمة إن شاء الله تعالى.

وقد تعرَّضَ المؤلِّفُ لبعضِ طُرقِ الإطنابِ في ثنايا تفسيره، فمن ذلك:

---

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، "علم المعاني"، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين: بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤، ١/ ١٣؛ نقلاً عن البيان والتبيين؛ وهو في البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية: بيروت، ١/ ٦٤.

(٢) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني: ١/ ٢٠٦.

(٣) المثل السائر: ٢/ ١٢٠، ويُنظر: معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، ودار الرفاعي: الرياض: الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ص: ٣٨٤.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

أولاً: عطفُ الخاصِّ على العام:

هذا العطفُ يكونُ للتنبيه على فضلِ الخاصِّ - كما هو معلوم - حتىَّ كأنَّه ليس من جنسِ العام(١).

ومن أمثلتِه عند المؤلِّف ما ذكرَهُ عند قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾(٢)، حيث يقول: "قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾: معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ من بابِ عطف الخاصِّ على العام؛ وعطفُ الخاصِّ على العامِّ يدلُّ على شرفِ الخاص؛ فـ(جبريل) مُوكَلٌ بالوحي من الله إلى الرُّسُل؛ و(مِيكال) هو ميكائيلُ الموكلُ بالقَطْرِ، والنبات؛ وَخَصَّ هذينِ الملَكَينِ؛ لأنَّ أحدَهما: موُكَلٌ بما تَحيى به القلوبُ وهو (جبريل)؛ والثَّاني: مُوكَلٌ بما تَحيى به الأرضُ وهو ميكائيل"(٣).

وهذه الآيةُ هي من شواهدِ البلاغيينَ على عطفِ الخاصِّ على العام(٤)، وقد تلمَّسَ بعضُهم السرَّ ذاته الذي ذهبَ إليه المؤلفُ، يقول الميداني: "إنّ جبريلَ وميكائيلَ عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ داخلانِ في عمومِ الملائكةِ، ولكنْ خُصَّ جبريلُ بالذِّكْرِ؛ تحذيراً لليهودِ من معاداتِهم له، وضُمَّ إليه ميكائيلُ لقيامِه بوظيفةِ أرزاقِ العبادِ التي بها حياةُ الأجساد، مقابلَ قيامِ جبريلَ بوظيفةِ الوحيِ الذي به حياةُ القلوبِ والنُّفوس، وهذا المثالُ من عطفِ الخاصّ على العامّ"(٥)، وذهب إلى ذلك بعضُ المفسرين أيضاً(٦).

وقال ابنُ كثير: "خُصِّصا بالذِّكْر؛ لأنَّ السياقَ في الانتصارِ لجبرائيل، وهو

---

(١) يُنظر - على سبيل المثال - الإيضاح مع البغية: ٢/ ١١٩.

(٢) البقرة: ٩٨.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٣١٥.

(٤) يُنظر: الإيضاح مع البغية: ٢/ ١١٩، والبلاغة العربية للميداني: ٢/ ٧٠.

(٥) البلاغة العربية للميداني: ٢/ ٧٠.

(٦) يُنظر: تفسير البحر المحيط: ١/ ٤٩٠، تفسير الرازي: ٣/ ١٨٠.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

السفيرُ بين الله وأنبيائِه، وقُرن معه مكائيلُ في اللَّفظِ؛ لأنَّ اليهودَ زعموا أن جبريلَ عدوُّهم وميكائيلَ وليُّهم؛ فأعلمَهم الله تُعالى أنَّ من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضا"[1]، وقال أبو حيَّان: "خُصَّ جبريلُ وميكالُ بالذِّكرِ تشريفاً لهما وتفضيلاً"[2]، وقيل: خُصَّا بالذِّكرِ؛ لأنَّ اليهودَ ذَكَرُوهما، ونزلتِ الآيةُ بسببِهما، فلو لم يُذْكَرا لكانَ لليهودِ تَعَلُّقٌ بأنْ يقولوا: لم نُعَادِ الله؟ ولا جميعَ ملائكتِه؟، وقيلَ: خُصَّا بالذِّكْرِ دفعاً لإشكال: أنَّ الموجبَ للكُفْرِ عداوةُ جميعِ الملائكة، لا واحد منهم؛ فكأنَّه قيل: أو واحد منهم[3].

وقد أُعيدَ ذكْرُ لفظ الجلالةِ (الله) وإظهارُه في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ مع أنَّه يمكن الاستغناءُ بالضمير (الهاء) فيُقال: (فإنَّه عدوٌّ للكافرين) لكونِه قد ابتُدِئ أوَّلُ الخبرِ بذكرِه في قولِه تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾؛ وذلك دفعاً للالتباسِ على السَّامع من المُعنِيِّ بـ(الهاء) التي في (فإنه): أهو اللهُ، أم هُمْ رسلُ الله جل ثناؤه، أم هو جبريلُ، أم ميكائيل؟[4]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ فإنَّ المرادَ (عدوٌّ لهم)؛ فجاء بالظَّاهرِ وصرَّحَ بلفظِ (الكافرين)؛ ليدُلَّ على أنَّ الله إنَّما عاداهم لكفرِهم[5]، فإنَّ اللهَ لن يعادي قوماً لذواتِهم ولا لأنسابِهم، وإنَّما يَكْرَهُ لهم الكفرَ ويعاقبُهم عليه، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾[6].

---

(١) تفسير ابنُ كثير: ١/ ١٦٧.

(٢) تفسير البحر المحيط: ١/ ٤٩٠

(٣) يُنظر: تفسير الطبري: ٢/ ٣٩٥، وتفسير البحر المحيط: ١/ ٤٩٠، وتفسير الرازي: ٣/ ١٨٠، وتفسير روح المعاني: ١/ ٣٣٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢/ ٣٩٥.

(٥) تفسير الكشَّاف: ١/ ١٩٦، وقد تقدم الكلامُ على ذلك في مبحث "الإظهار في موضع الإضمار" في الفصلِ الثاني من هذه الرسالة، يُنظر: ص١٤٩ .

(٦) الزمر: ٧.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾(١)، يقول المؤلف: "خصَّ الصلاةَ بالذِّكرِ معيداً حرفَ الجرِّ؛ إشارةً إلى شرفِها وعِظَمِها، يعني أعادَ حرفَ الجرِّ ولَمْ يَقُلْ: (ويصدَّكُم عن ذكرِ الله والصلاة) بل قال: ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ إشارةً إلى أهميَّتِها، فالتَّنْصيصِ عليها وهي من ذكرِ الله دليلٌ على شرفِها، وإعادةُ العاملِ وهي معطوفةٌ؛ دليلٌ آخرُ على شرفِها وأنَّها جديرةٌ بأن تكونَ قِسماً مستقلاً برأسِها"(٢).

واستظهر بعضُ الباحثين وجهَ تخصيصِ الصلاةِ في السِّياقِ من جهات(٣):

أوَّلها: أنَّ الآيةَ قد سُبقت في النُّزولِ بآيةِ النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾(٤).

ثانيها: أنَّ الإمامَ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد روى حديثَ عمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في بيانِ كيفيَّةِ التدرُّج في تحريم الخمر، وفيه "فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى أَنْ لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانُ.." (٥)، وهذا قبلَ نزولِ الآيةِ التي نحن بصددِ الحديثِ عنها.

ثالثها: أنَّ الصلاةَ لمن ذاقَ حلاوتَها من أعظمِ الذِّكر، والذِّكرُ نفسُه له حلاوةٌ في قلوبِ عبادِ الله الصَّالحين، فكيف بصحابةِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟؛ ولذلك فلاشكَّ أن تنبيهَهم على أنَّ أَمْراً مّا يصدُّهم عن الصَّلاة؛ منفِّرٌ شديدٌ لهم عن ذلك الأمر، ولْنَتأمَّلْ في ختامِ الآيةِ؛ فقد جاءَ الاستفهامُ ﴿فَهَلْ﴾ بعدَ التمهيدِ بكلِّ ما سبق له، حتَّى

---

(١) المائدة: ٩١.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة: ٢/ ٣٣٢ – ٣٥٣.

(٣) مباحث المعاني في تفسير روح البيان: ٢٢٥ فما بعدها.

(٤) النِّساء: ٤٣، ويُنظر الهامش التالي.

(٥) مسند الإمام أحمد: برقم (٣٧٨)، ١/ ٤٤٢ – ٤٤٣، وصحّحَ إسنادَه محقِّقُه.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

إنَّ عُمرَ بنِ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يَجِدْ بُدّاً من أن يقول (انتهينا انتهينا)[١]؛ فَلَم يَكُن الحالُ بعدَ كلِّ ما سَبَق من مؤكِّداتٍ محتاجاً إلى أمْرٍ مباشرٍ بترك الخمر[٢]، وقد جاءَ الاستفهامُ بـ(هل) فأفادَ تحقيقَ الإسنادِ المُستَفهَمِ عنه؛ وهو ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ؟، مع ملاحظةِ أنَّ الجملةَ أتَتْ إسميَّةً فدلَّت على ثباتِ الخبر؛ فزادتْ من التَّحقُّقِ المذكور[٣]، والله تعالى أعلم.

ثانياً: عطف العامِّ على الخاص:

الفائدة من ذِكْرِ العامّ بعد الخاصّ هي التَّعميم، ويكون إفرادُ الخاصِّ بالذِّكْرِ اهتماماً بشأنه، مع ما في إدْخالِه ضمنَ العامِّ من تأكيدٍ وتكريرٍ ضمناً[٤].ومن أمثلته عند المؤلف ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[٥]، حيثُ يقول: "﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ من بابِ عطفِ العامِّ على الخاصِّ، والمراد بما أوتوه: ما أظهرَه اللهُ على أيديهم من الآياتِ الكونيَّة، وما أوحاه إليهم من الآياتِ الشرعيَّة... وإضافةُ الرُّبوبيَّة إليهم على وجه الخصوص؛ وإلا فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربُّ كلِّ شيء؛ لكن هذه ربوبيَّةٌ خاصَّة"[٦]،والمؤلف لم يذكر فائدةِ ذكر العامِّ بعد الخاصِّ في هذه الآية، وقد نبَّه عليه الألوسي حيثُ يقول: "وهو تَعْمِيمٌ بعدَ التَّخصيصِ؛ كيلا يخرجَ من الإيمانِ أحدٌ من الأنبياء"[٧].

---

(١) قطعة من الحديث الذي سبقَ تخريجُه قريبا.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٥/ ١٩٥.

(٣) السابق: ٥/ ١٩٥.

(٤) البلاغة العربية للميداني: ٢/ ٦٩.

(٥) البقرة: ١٣٦.

(٦) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٨٨.

(٧) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٩٥.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وفي شأنِ التَّعبيرِ في جانبِ بعضِ هذه الشرائعِ بلفظ ﴿أُنزِلَ﴾ وفي بعضِها بلفظ ﴿أُوتِيَ﴾ ذكر المؤلفُ: أنَّ في ذلك حكمةً (لفظيَّةً) و (معنويَّة):

فاللفظية: هي لئلا تتكرَّرَ المعاني بلفظٍ واحدٍ، ومعلومٌ أنَّ من أساليبِ البلاغةِ الاختصار بقدرِ الإمكان.

والمعنويَّةُ: هي أنَّ موسى وعيسى دينُهما باقٍ إلى زمنِ الوحي(١).

ويذكرُ المفسِّرون عِدَّةَ توجيهاتٍ من أجلِها وأوضحِها - من وجهة نظري - توجيهُ أبي حيَّان حيثُ يقول: "ونَصَّ على موسى وعيسى؛ لأنَّهما متبوعا اليهودِ والنصارى بزعمِهم، والكلامُ معهم، ولم يكرِّر الموصولَ في عيسى؛ لأنَّ عيسى إنَّما جاء مُصدِّقاً لما في التوراة، لم يَنْسَخ منها إلا نَزراً يسيراً؛ فالذي أُوتِيهِ عيسى هو ما أُوتيه موسى، وإن كان قد خالفَ في نزر يسير، وجاء: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، وجاء: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾، تنويعاً في الكلام وتصرّفاً في ألفاظِه، وإن كان المعنى واحداً،ولو كان كلُّه بلفظِ الإيتاء، أو بلفظِ الإنزال، لما كان فيه حلاوةُ التَّنوِّع في الألفاظ، ألا تراهم لم ستحسنوا قول أبي الطَّيِّبِ المتنبِّي:

ونَهْبُ نفوسِ أهلِ النَّهبِ أولى بأهلِ النَّهبِ من نَهْبِ القُماشِ

ولما ذَكَرَ في الإنزالِ أوّلاً خاصّاً، عطفَ عليه جمعاً، كذلك لما ذَكَرَ في الإيتاءِ خاصَّاً، عطفَ عليه جمعاً، ولما أَظْهَرَ الموصولَ في الإنزالِ في العطف، أظهرَه في الإيتاء فقال: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾(٢)، وقدَّمَ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ للاهتمام به، وهو وإن كان في الترتيبِ النزوليِّ مُؤخراً عن غيرِه؛ لكنَّه في الترتيبِ الإيمانيِّ مُقَدَّمٌ عليه؛ لأنَّه سببُ الإيمانِ بغيره؛ لكونِه مُصدِّقاً له(٣).

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٨٨.

(٢) تفسير البحر المحيط: ١/ ٥٨٠، ويُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ١/ ٧١٩، وتفسير روح المعاني: ١/ ٣٩٥.

(٣) تفسير روح المعاني: ١/ ٣٩٤، وتفسير التحرير والتنوير: ١/ ٧١٩.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

ثالثاً: الاحتراس:

يُسمَّى بالتَّكميل أيضاً، وهو أن يُؤتَى في كلامٍ يُوهِمُ خلافَ المقصودِ بما يدفعُه[1]، وقد يكونُ في وَسَطِ الكلامِ وفي آخرِه، ومن أمثلةِ ذلك عند المؤلف ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾[2]، حيثُ يقول: "ولَمَّا كانت المماثلةُ تقتضي المساواةَ أَخْرَجَ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ أي: فَضلٌ في العَقْلِ والحقوق؛ وهذا من بابِ الاحتراس؛ حتى لا يذهبُ الذهن إلى تساوي المرأة، والرجل من كل وجه"[3].

ويقولُ ابنُ عاشور: "وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ﴾ خَبَرٌ عن ﴿دَرَجَةٌ ۗ﴾، قُدِّمَ للاهتمامِ بما تفيدُه اللاَّم من معنى استحقاقِهم تلك الدَّرجة، كما أشير إلى ذلك الاستحقاقِ في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾[4]، وفي هذا الاهتمامِ مقصدان:

أحدهما: دَفْعُ تَوَهّمِ المساواةِ بين الرِّجالِ والنِّساءِ في كلِّ الحقوق، تَوهماً من قوله آنفاً: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾.

ثانيهما: تحديدُ إيثارِ الرِّجالِ على النِّساءِ بمقدارٍ مخصوص؛ لإبطالِ إيثارِهم المطلق، الذي كان مُتَّبَعاً في الجاهلية"[5].

---

(١) يُنظر: الإيضاح مع البغية: ٢/ ١٢٥، ومعجم البلاغة العربية: ٥٨٥ - ٥٨٦.

(٢) البقرة: ٢٢٨.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٣/ ١٠٠.

(٤) النساء: ٣٤.

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٣٨١.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

كما أنَّ في تقديم الجارِّ والمجرورِ ﴿وَلَهُنَّ﴾ إشارةً إلى الاهتمام بالخبر؛ لأنَّه من الأخبارِ التي لا يتوقَّعُها السَّامعون؛ فقُدِّمَ ليُصْغى إليه، بخلاف ما لو أُخر فقيل: "ومثل الذي عليهن لهن بالمعروف"، وفي هذا إعلانٌ لحقوق النساء، وإصداعٌ بها وإشادةٌ بذكرِها، ومثلُ ذلك من شأنِه أن يُتلقَّى بالاستغراب، فلذلك كان محلَّ الاهتمام(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ تعبيرٌ بالظَّاهرِ عن المُضمرِ، يُميطُ اللِّثامَ عنه أبو حيَّان حيثُ يقول: "أَتى بالمظهَرِ عوضَ المضمرِ؛ إذ كان لو أتى على المضمرِ لقال: (ولهم عليهنّ درجة)؛ للتّنويهِ بِذْكْرِ الرُّجوليَّةِ التي بها ظَهَرَت المزيَّةُ للرِّجالِ على النساء، ولِمَا كان يظهرُ في الكلامِ بالإضمارِ من تشابه الألفاظ، وأنتَ تعلمُ ما في ذاك، إذ كان يكون: (ولهنَّ مثلُ الذي عليهنّ بالمعروف ولهم عليهنّ درجة)، ولِقَلَقِ الإضمارِ حُذِفَ مُضمرانِ ومضافانِ من الجُملةِ الأولى"(٢).

وفي الآية احتباك(٣)، والتقدير: ولَهُنَّ على الرِّجال مثلُ الذي للرِّجالِ عليهن، فحُذف من الأوَّلِ لدلالةِ الآخر، وبالعكس(٤)، وخُتِمَت الآيةُ بجُملة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ إشعاراً بوجوبِ تنفيذِ هذه التعاليم لعزَّةِ الله تعالى وحكمتِه، فإنَّ الغالبَ يجبُ أن يُطاعَ، والحكيمَ يجبُ أن يُسَلَّمَ له في شَرْعِه، لأنَّه صالحٌ نافعٌ غيرُ ضار(٥).

ويلحَظُ بعضُ المفسِّرين في صدرِ هذه الآيةِ ملحظاً لطيفاً يحسُنُ إيرادُه في هذا السِّياق، وهو سرُّ تقييدِ التَّربُّصِ - الانتظار- بالأنْفُسِ في قولِه تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٣٧٧.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٢٠٠، ويُنظر: تفسير روح المعاني: ٢/ ١٣٥.

(٣) الاحتباك: هو "أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخرِ ما جاء نظيرُه أو مقابِلهُ في الأوائل"، ومَأْخَذُ هذه التسمية من الحَبْك، وهو الشدّ والإحكام، يُنظر: البلاغة العربية للميداني: ١/ ٥٤.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٣٧٧.

(٥) أيسر التفاسير: ١/ ٢١٢.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ وتَرْكُـه في قولـه تعـالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾(1)؛ يقول الألوسيُّ: "وقيَّدَ التَّرَبُّصَ هنا بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ وتَرَكَه في قوله تعالى: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾؛ لتحريضِ النِّساءِ على التَّربُّصِ؛ لأنَّ "الباءَ" للتَّعدية؛ فيكونُ المأمورُ به أن يَقْمَعْنَ أنفسَهن ويَحْمِلْنها على الانتظار، وفيه إشعارٌ بكونهنَّ مائلاتٍ إلى الرِّجالِ؛ وذلك مما يَسْتَنْكِفْنَ منه، فإذا سَمِعْن هذا تربَّصن، وهذا بخلافِ الآيةِ السَّابقة؛ فإنَّ المأمورَ فيها بالتَّربُّصِ الأزواجُ، وهم وإن كانوا طامحِينَ إلى النِّساء؛ لكنْ ليس لهم استنكافٌ منه؛ فَذِكْرُ الأنْفُسِ فيها لا يفيدُ تحريضَهم على التَّربُّ"(2)، والله أعلم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾(3)، يقول المؤلف: "من فوائد الآية: توكيدُ اللَّفظِ لينتَفي احتمالُ النَّقْص؛ لقوله تعالى: ﴿كَامِلَيْنِ﴾؛ ومثلُه قولُه تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾(4): فأكَّدها بـ﴿كَامِلَةٌ﴾؛ لئلَّا يتوهَّمُ واهِمٌ في تلك العشرةِ الكاملةِ أن تفريقَ الثلاثةِ والسبعةِ يقتضي أن يكونَ كلُّ عددٍ منفرداً عن الآخر"(5).

وهذا الذي ذكره المؤلفُ مناسبٌ جدّاً؛ إذ إنَّ ذلك "ممَّا يُتسامحُ فيه غالباً فيقال: أقمتُ عنده حولينِ بمكانِ كذا، وإنَّما أقام فيه حولاً وبعضَ حول"(6)، وهو مناسبٌ جدَّاً لهذا السِّياق أيضاً، إذ هو سياقُ بيانٍ لحُكمٍ شرعيٍّ، ومن المعلومِ أنَّ القوانينَ والقواعدَ التي تكونُ بينَ النَّاسِ تكونُ نصوصُها دقيقةٌ، فكيفَ بأحكامٍ تنزلُ من عند

---

(1) البقرة: 226.

(2) تفسير روح المعاني: 2/ 131، ويُنظر: تفسير الرَّازي: 6/ 75.

(3) البقرة: 233.

(4) البقرة: 196.

(5) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: 3/ 147.

(6) تفسير روح البيان: 3/ 44.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) 11. 1435/02/06 Ali Fattani

الله لتفصلَ النزاعَ بين الزَّوجينِ في مُدَّةِ الرَّضاع؟! لابُدَّ أن تكونَ النُّصوصُ في هذا المقامِ جليَّةً واضحة؛ إذ إنَّ أيَّ إبهامٍ أو احتمالٍ لتأويلِ النُّصوصِ ربَّما يستغلُّه أحدُ الطَّرفين، وربَّما كلاهُما لمصلحتِه(١).

وإذا وضَعنا في الاعتبارِ تفريقَ من فرَّقَ بين "الكَمالِ" و"التَّمام" بأنَّ "التَّمامَ" لنفي النَّقصِ، و"الكمالَ" لنفي العيبِ -والنَّقصُ منه- يكونُ في قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ﴾ تنبيهٌ إلى أنَّ تلكَ المدَّةَ هي غايةُ ما يتعلَّقُ به صلاحُ الولد(٢)، وفيه كذلك حضٌّ على أن يكونَ الحولانِ كاملينِ خاليينِ من العيبِ والنَّقصِ، وفيه مع ماسبَقَ إعلامٌ بالوقتِ المفيدِ بالرَّضاع كما يرى البقاعي(٣)، وممَّا ناسبَ مقامَ التَّشريعِ في الآيةِ التَّعبيرُ بالجُملِ الإسميَّةِ وكأنَّ الأمرَ مُنتهٍ، ولابُدَّ أن ينفذَ كما أرادَ الله، والله تعالى أعلم.

رابعا: التَّكرار:

من دواعيهِ البلاغيَّةِ التأكيدُ والتلذُّذُ بالكلامِ، والتَّنبيهُ على تعدُّدِ المقتضى للعبارة(٤).

وموقفُ المؤلِّفِ من التّكرارِ أنَّه يُبيِّنُ النَّكتةَ منه ولا ينفيهِ ولايردُّه، ومن أمثلتِه عنده ماذكره عند آياتِ تحويلِ القبلة، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾(٥)، إلى أن قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ﴾(٦)، ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا

---

(١) يُنظر: تفسير نظم الدُّرر: ١/ ٤٣٩.

(٢) الفروق اللغوية وأثرُها في تفسير القرآن، د.الشايع: ص: ٢٦٠ فما بعدها.

(٣) تفسير نظم الدُّرر/ ١/ ٤٣٩.

(٤) البلاغة العربية للميداني: ٢/ ٧١.

(٥) البقرة: ١٤٤.

(٦) البقرة: ١٤٩.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾(١)، حيثُ يقول في فوائدِ الآيات: "ومنها: تكرارُ الأمرِ الهامِّ لتثبيتِه، والثباتُ عليه، ودَفْعُ المعارَضةِ فيه؛ لأنَّه كُلَّما كُرِّر كان مقتضاه أنَّ الأمرَ ثابتٌ مُحْكَمٌ يجبُ الثبوتُ عليه؛ وكونُ المسلمون يُنقَلون من وجهةٍ إلى وجهةٍ في القبلة؛ أمرٌ هامٌّ له شأنٌ عظيمٌ؛ ولهذا ارتدَّ من النَّاسِ حين حُوِّلت القبلة"(٢)، ويقول - أيضاً - عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ".. وكرِّرَت للتَّوكيدِ وبيانِ الأهميَّةِ، والتوطِئةِ لما بعدها؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ "(٣).

وقد ذكَرَ العلماءُ عِدّةَ توجيهاتٍ للتَّكرارِ في هذهِ الآيات(٤)، ومن أجملِها -من وجهةِ نظري- قولُ سيّد قطب في الظلال: "ونجدُ في تكرار الأمر بشأنِ القبلةِ الجديدةِ معنىً جديداً في كلِّ مرة.. في المرَّةِ الأولى: كانَ الأمرُ بالتَّوجُّهِ إلى المسجدِ الحرامِ، استجابةً لرغبةِ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدَ تَقَلُّبِ وجههِ في السَّماءِ، وضراعتِه الصَّامتةِ إلى ربِّه.. وفي الثَّانيةِ : كان لإثباتِ أنَّه الحقُّ من ربِّه يوافقُ الرَّغبةَ والضَّراعة.. وفي الثَّالثة: كانَ لقَطْعِ حُجَّةِ النَّاس، والتَّهوينِ من شأنِ من لا يقفُ عند الحقِّ والحُجَّة..ولكنَّنا - مع هذا - نَلمحُ وراءَ التَّكرارِ أنه كانت هناك حالةٌ واقعةٌ في الصفِّ الإسلامي، تستدعي هذا التكرار، وهذا التوكيدَ، وهذا البيانَ، وهذا التَّعليلَ، مما يشي بضخامةِ حَمْلةِ الأضاليلِ والأباطيل، وأثرها في بعضِ القلوبِ والنفوس، هذا الأثر الذي كان يعالجُه القرآنُ الكريم؛ ثم تبقى النصوصُ بعد ذلك على مدى الزمانِ تعالجُ مثلَ هذه

---

(١) البقرة: ١٥٠.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ١٥١.

(٣) السابق، سورة البقرة: ٢/ ١٥٤.

(٤) المحرر الوجيز: ١/ ٢٠٨، وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٣، وتفسير البحر المحيط: ١/ ٦١٣، وتفسير نظم الدرر: ١/ ٢٧٢ - ٢٧٣، وتفسير روح المعاني: ٢/ ١٦ - ١٧، وتفسير المنار: ٢/ ٢٢ - ٢٣، وتفسير الرازي: ٤/ ١١١.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١.
١٤٣٥/٠٢/٠٦
Ali Fattani

الحالة في شتىَّ صورِها؛ في المعركةِ الدَّائبةِ التي لا تهدأ ولا تفتر ولا تلين"[١].

ومِمَّا يُصوِّرُ الحالَ التي نزلت فيها الآيات؛ ما جاءَ من رواياتٍ في أسبابِ نُزولها وموقفِ اليهودِ من تحويلِ القبلةِ، مِمَّا يحتاجُ المؤمنونَ معه للتثبيتِ أمامَ ما يُشاعُ من قِبلِ المنافقين[٢]، بل إنَّ ارتدادِ بعَضِ النّاسِ عن الإسلامِ في تلك الفتنةِ - كما ذكر المؤلفُ وغيره[٣] - لاجرَمَ أنَّه كانَ يتطلَّبُ كلَّ هذا التوكيد، كيفَ لا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ وصحَّ عن قتادةَ أنَّه قال: كبيرةٌ حيثُ حُوِّلت القبلةُ إلى المسجدِ الحرامِ فكانت كبيرةً إلا على الذينَ هدى الله[٤].

وبهذا ينتهي الحديثُ عن (الإطنابِ) عند المؤلف، ويليه مبحث (المناسبات) بإذن الله تعالى .

---

(١) تفسير في ظلالِ القرآن: ١/ ١٩٢.

(٢) يُنظر: تفسير الطبري: ٣/ ١٥٦ فما بعدها، والصحيح من أسبابِ النزول: ص:٣١ فما بعدها.

(٣) ويُنظر: تفسير الطبري: ٣/ ١٥٦ فما بعدها، لكنَّ هذا لم يثبت، يُنظر: التسهيل لتأويل التنزيل: التفسير في سؤال وجواب، أبو عبدالله مصطفى بن العدوي، دار القاسم: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٢/ ٣٨٤.

(٤) مباحث المعاني في تفسير روح البيان: ص٢٣٠ فمابعدها، ويُنظر:التفسير الصحيح "موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور"، أ.د حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر: المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م، ١/ ٢٥٣، ولاحظ ما ذكره في نفسِ المرجع ١/ ٢٤٩، حيثُ كان بينَ تحويلِ القبلةِ وبين غزوة بدر حوالي شهرين؛ فتأمل.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

المبحث الثَّاني
المناسبـــات

المناسبة لغة: هي المقاربة والمشاكَلة: يُقال: فلانٌ يُناسبُ فلاناً، أي: يقاربه ويُشاكله[١]، واصطلاحاً: علمٌ تُعرفُ منه عِللُ ترتيب أجزاء القرآن[٢]، يقول السّيوطيُّ: "وعلمُ المناسبةِ علمٌ شريفٌ قَلَّ اعتناءُ المفسِّرين به لدقَّتِه، وممّن أَكْثَرَ فيه الإمامُ فخرُ الدِّين، وقال في تفسيرِه[٣]: أَكْثَرُ لطائفِ القرآنِ مُودَعةٌ في الترتيباتِ والرَّوابط"[٤]، وقال أيضا: "أفردَه بالتأليفِ العلامةُ: أبوجعفر بن الزّبير شيخُ أبي حيَّان، في كتاب سماه (البُرهان في مناسبةِ ترتيبِ سُيورِ القرآن) ومن أهلِ العصرِ الشيخ: برهان الدين البقاعي، في كتاب سمّاه (نظمُ الدُّرر في تناسبِ الآي والسُّور) وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافلٌ بذلك جامعٌ لمناسباتِ السُّوَرِ والآياتِ مع ما تضمَّنه من بيانِ وجوهِ الإعجازِ وأساليبِ البلاغة، وقد لخصَّتُ منه مناسباتِ السُّوَرِ خاصةً في جزءٍ لطيفٍ سميتُه "تناسُق الدُّرر في تناسبِ السُّوَر"[٥].

كما أنَّ علمَ المناسباتِ مبثوثٌ أيضاً في كتُبِ المفسِّرين الذين لهم عنايةٌ به، بل إنَّ هناك من المفسِّرينَ من بالغَ في تتبُّعِ علمِ المناسباتِ فأتوا بأشياءَ مُتكَلَّفة؛ حيثُ التزموا المناسبة بين كلِّ سورتينِ وبينَ كلِّ آيتين؛ ولذا أنكرَ عليهم بعضُ العلماء، ومنهم العزِّ

---

(١) لسان العرب: ١/ ٧٥٦، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٥.

(٢) تفسير نظم الدرر: ١/ ٥.

(٣) تفسير الرازي: ١٠/ ١١٣.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ٣/ ٣٦٩، ويُنظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٧.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٦٩.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

بن عبد السَّلام حيثُ يقول: "علمُ المناسبةِ علمٌ حَسَن، لكن يُشترَط في حُسْنِ ارتباطِ الكلامِ أن يقعَ في أمرٍ مُتّحدٍ مُرتَبِطٍ أوله بآخره، فإن وقعَ على أسبابٍ مُختلفة لم يَقَع فيه ارتباط، ومن رَبَطَ ذلك فهو مُتكلِّفٌ بما لا يقدِرُ عليه إلا بِرَبْطٍ ركيكٍ يُصانُ عن مثلِه حُسْنُ الحديث فضلاً عن أحسنِه؛ فإنَّ القرآنَ نَزَلَ في نيِّفٍ وعشرينَ سنة، في أحكامٍ مُختلِفَةٍ، شُرِعَت لأسبابٍ مختلفةٍ، وما كان كذلك لا يتأتّى ربطُ بعضِه ببعض"(١)، وممّن أنكر ذلك التكلُّفَ وبالغَ في إنكارِه، الشوكاني في تفسيره(٢)، على الرّغمِ من أنَّه يوجدُ في تفسيره أشياءُ كثيرةٍ في علمِ المناسبات؛ لكنَّ إنكارَه إنَّما هو إنكارٌ للتكلُّفِ والتعسُّف، وليس إنكاراً لعلم المناسبةِ بالكُلِّيَّة.

ولعلمِ المناسباتِ أنواعٌ كثيرةٌ، اجتهدَ العلماءُ المعنيُّونَ ببيانِ إعجازِ القرآنِ في تتبُّعِها، منها: المناسبةُ بينَ السُّوَرِ، وبينَ الآياتِ، ومناسبةُ خاتمةِ الآيةِ للآية، ومناسبةِ فواتِحِ السُّوَرِ للسُّوَر، ومناسبةُ أوائلِ السُّوَرِ لآخرِها، إلى غيرِ ذلك من أنواعِ المناسباتِ التي ذكرَها السّيوطيُّ وغيره(٣).

ونظراً لأهميَّةِ علمِ المناسبةِ فقد كان للمؤلفِ عنايةٌ به فيما يراه مناسبةً ظاهرة، ولم يلتزم ذلك في كلِّ آياتِ القرآن؛ ولذا عند تفسيره للآيتين في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩﴾(٤)، وهاتانِ الآيتانِ أتتا ضمنَ

(١) نقله عنه السيوطي في: الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢٨٩، والزركشي في: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٦٣.

(٢) يُنظر: فتح القدير: ١/ ١١٦.

(٣) جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، للدكتور: أحمد بن محمد البريدي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م: ص٢٨٦ فما بعدها، ويُنظر: تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلميَّة - بيروت، ص٥٤، والبرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٧ فما بعدها.

(٤) البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

آياتٍ كثيرةٍ قبلها وبعدها كلُّها تتحدَّث عن عِدَّةِ النساء؛ فيقول المؤلف: "فإن قال قائلٌ: ما وجه ارتباطِ هاتينِ الآيتينِ بما يتعلَّقُ بشأنِ العدَّةِ للنساء؟

فالجواب: أنَّ ترتيبَ الآياتِ توقيفيٌّ ليس للعقلِ فيه مجال؛ والله أعلم بما أراد؛ وقد التمسَ بعضُ المفسِّرينَ حكمةً لهذا؛ ولكنْ لَمَّا لم يتعيَّن ما ذَكَرَهُ أَحْجَمْنَا عن ذكرِها؛ ونَكِلُ العلمَ إلى مُنَزِّلِ هذا الكتابِ العظيم، ونعلم أنّه لابُدَّ أن يكونَ هناك حكمةٌ، أو حِكَم؛ لأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكيمٌ عليم"(١)، ومن وجهةِ نظري أنَّ هذا هو الحقُّ؛ إذ التزامُ ذلك مدعاةٌ للتكلُّف، وتركُهُ بالكُلِّيَّةِ يُفقدُ التفسيرَ لطائفَ عظيمةً مُودَعَةً في هذه المناسبات ودليلاً من أدلَّةِ إعجاز القرآن حيثُ وجدَ هذا التناسب مع تباعُدِ النُّزول.

ولقد برَزَت عنايةُ المؤلِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بثلاثةِ أنواعٍ من أنواعِ المناسبات، أكتفي بذكرِها مع التمثيلِ لها من خلالِ النقاط الآتية:

أولاً: مناسبة الكلمة للسِّياقِ دون غيرها:

وقد سبَقَ الحديثُ عن ذلك في مكانِه في الفصل الأوَّل من هذه الرسالة.

ثانياً: مناسبة خاتمة الآيةِ للآية:

من وجوهِ إعجازِ القرآنِ الكريم؛ الإعجازُ في فواصله وخواتِمِ آياتِه؛ يقول الزركشيُّ: "اعلم أنَّ من المواضعِ التى يتأكَّدُ فيها إيقاعُ المناسبة: مقاطِع الكلامِ وأواخره وإيقاع الشيءِ فيها بما يشاكلُه، فلا بُدَّ أن تكونَ مُناسبةً للمعنى المذكور أولا، وإلا خَرَجَ بعضُ الكلامِ عن بعض،

وفواصلُ القرآنِ العظيم لا تخرجُ عن ذلك، لكن منه ما يَظهر ومنه ما يُستخرجُ بالتَّأمُّلِ لِلَّبِيْبِ"(٢)، وفواصلُ الآي الكريمِ إمّا أن تُختمَ بأسماءِ اللهِ الحُسنى، أو تُختم بغيرِ

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٣/ ١٧٧، ويُنظر أيضا: تفسير سورة يس، ص: ١١.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٧٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

ذلك، وقد بيَّنَ المؤلِّفُ مناسبتها للآيةِ في كلا النَّوعينِ؛ مع التنبيهِ إلى أنَّه لم يلتزمْ ذلك في كلِّ آية؛ وإنَّما يذكرُ ذلك أحياناً.

النُّوع الأول: ختمُ الآياتِ بأسماءِ الله الحُسنى[1]:

يقول المؤلِّف: "من بلاغةِ القرآن: ختْمُ الأحكامِ بما يُناسبها من أسماء الله"[2]، ولذلك فقد نقلَ السيوطيُّ عن أعرابيٍّ أنَّه سمعَ قارئاً يقرأ: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[3] (فاعلموا أن الله غفور رحيم)، ولم يكن يقرأ القرآن؛ فقال إنْ كان هذا كلامُ الله فلا يقول كذا، ومرَّ بهما رجلٌ فقال كيف تقرأُ هذه الآية فقال الرجل ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال هكذا ينبغي؛ الحكيمُ لا يذكرُ الغفرانَ عند الزَّلل؛ لأنَّه إغراء عليه"[4]، فَخَتْمُ الآيةِ بأحدِ أسماءِ الله الحُسنى؛ مُشعرٌ بعلاقةٍ بين ذلك الاسمِ ومضمونِ الآية؛ وذلك لدقَّةِ التعبير القرآني المُحكَم من لدن حكيمٍ خبير، ولقد حرصَ المؤلفُ على بيانِ وجهِ ختمِ الآيةِ بهذه الأسماء، ومن أمثلةِ ذلك عنده:

ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[5]، يقول المؤلف: "قد يقول قائل: ما محلُّ ذكرِ اسمِ الله (الغفور) هنا؛ مع أنَّ هؤلاءِ قاموا بأعمالٍ صالحة؟ الجواب: أنَّ القائمَ بالأعمالِ الصّالحةِ قد يحصلُ منه شيءٌ من التّفريطِ، والتقصير؛ ولذلك شُرع للمصلي أن يستغفرَ الله ثلاثاً بعد السلام؛ وأما ذِكْرُ (الرحيم) فواضحٌ مناسبته؛ لأنَّ كلَّ هذه

---

(١) للتوسع في هذا الجانب يُنظر كتاب: ختم الآيات بأسماء الله الحُسنى ودلالتها، د. علي العبيد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار العاصمة – الرياض.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة: ١/ ٢٣٠.

(٣) البقرة: ٢٠٩.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢٧١.

(٥) البقرة: ٢١٨.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الأعمال التي عملوها من آثارِ رحمته"[1].

وعند قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[2] يقول المؤلف: "المناسبةُ في خَتْمِ هذه الآيةِ الكريمةِ بهذين الاسمين؛ لأنَّ في الآيةِ إنفاقاً؛ وإذا كان اللهُ عَزَّوَجَلَّ هو الذي يخلِف هذا الإنفاقَ فإنَّه لكمال غناه؛ كذلك المغفرةُ عمن أساءَ إليك: فإنَّ المغفرةَ تتضمنُ الحِلم، وزيادة؛ فختمَ الله الآيةَ بالحِلم؛ وقد يُقال: إنَّ فيه مناسبةً أخرى؛ وهي أنَّ المنَّ بالصدقةِ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوب؛ والله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ حليمٌ على أهلِ الكبائر؛ إذ لو يُؤاخذُ الناسَ بما كسبوا ما ترك على ظهرِها من دابَّة، والله أعلم"[3].

وعند قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، حيثُ يقول: "فإن قيل: لماذا خَتَم الآيةَ بالقُدرةِ من بعد قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ﴾؛ ولم يختمها بالرَّحمةِ، ولا بالعقوبة؟

فالجواب: أنِّ المحاسبةَ تكون بعدَ البعث؛ والبعثُ يدلُّ على القُدْرَة؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[6].

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٣/ ٦٤ – ٦٥.

(٢) البقرة: ٢٦٣.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٣/ ٣١٨.

(٤) البقرة: ٢٨٤.

(٥) الأحقاف: ٣٣.

(٦) فصلت: ٣٩.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وَجْهٌ آخر: لو خُتِمَتْ الآيةُ بما يقتضي الرحمةَ وفيها التعذيبُ لم يَكُنْ هناك تناسب؛ ولو خُتمت بما يقتضي التعذيبَ وفيها مغفرةٌ لم يكن هناك تناسب؛ والقدرةُ تناسبُ الأمرين: تناسب المغفرة، وتناسب التعذيب؛ لأنَّ المغفرةَ، والتعذيبَ كلٌّ لا يكون إلا بقدرةِ الله عَزَّوَجَلَّ"(١).

النوع الثاني: ختمُ الآياتِ بغيرِ أسماءِ الله الحُسنى:

فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾(٢)، **يقول المؤلف:** " فإن قيل: ما الفرقُ بين قولِه تعالى هنا: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، وقولِه تعالى فيما سبق: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾؟؛ فالجوابُ: أنَّ الإفسادَ في الأرضِ أمرٌ حِسِّيٌّ يُدْرِكُه الإنسانُ بإحساسِه، وشعورِه؛ وأمَّا السَفَه فأمرٌ معنويٌّ يُدْرَكُ بآثارِه، ولا يُحَسُّ به نفسه"(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾(٤)، يقول المؤلف: "قد يقول قائل: لماذا لم يقل: وحملناه على السفينة، أو: حملناه على فلك، بل قال: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾، والجواب على هذا أن نقول: عَدَلَ عن التعبيرِ بالفُلْكِ والسّفينةِ إلى التعبيرِ بذاتِ ألواحٍ ودسر؛ لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: مراعاةٌ للآياتِ وفواصلِها، فلو قال: حملناه على فُلْك، لم تتناسب هذه الآيةُ مع ما بعدَها ولا ما قبلها، ولو قال: على سفينةٍ، كذلك، لكنْ من أجلِ تناسبِ الآياتِ في فواصلِها وفي كلماتها قال: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٣/ ٤٤١.

(٢) البقرة: ١١ – ١٣.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ٤٩.

(٤) القمر: ١٣.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٢/٠٦ Ali Fattani

الوجه الثاني: من أجلِ أن يتعلَّمَ النّاسُ كيفَ يصنعونَ السُّفُن، وبيان أنّها من الألواحِ والمسامير، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [1]،فأبقى اللهُ تعالى عِلْمَها آيةً للخلقِ يصنعونَ كما ألهم الله تعالى نوحاً.

الوجه الثالث: الإشارةُ إلى قوَّتِها، حيثُ كانت من ألواحٍ ودُسر، والتنكيرُ هنا للتعظيم"[2].

والوجه الثالثَ، هو فيه موافقٌ لبعضِ المفسرين، قال ابن عاشور: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ صفةُ السفينة، أُقيمت مقامَ الموصوفِ هنا، معوّضاً عن أن يقال: (وحملناه على الفلك) ؛ لأنّ في هذه الصفةِ بيانَ متانةِ هذه السفينة، وإحكامِ صُنعها[3] ؛ ولكنّه – من وجهة نظري – توجيهٌ بعيدٌ ؛ فالسفينةُ التي من الألواحِ والمسامير؛ لايُرجى أن تكونَ قويةً ومتينة! وإنّما نَعَتها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذا النّعت؛ ليُبيّنَ أن نجاةَ نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونجاةَ من معه، ليست بهذه السفينة، التي هي من ألواحٍ ومسامير؛ ولذلك لم يقل (سفينة) لئلا يُتوهّم أن النجاةَ كانت بسببِ قوّتها ،وقدرتِها على مواجهةِ الأمواجِ، والرياحِ العاتية؛ وإنما كانت العنايةُ الألهيّةُ وراءَ ذلك كلّه، وهذا ما وضّحَته الآيةُ الكريمةُ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾، والله أعلم

ثالثاً: المناسبة بين الآيات:

يقول المؤلف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾[4]: "وإذا كانَ حكيماً فإنّنا نعلمُ أنّه: أولا: حكيمٌ في ترتيبِهِ؛ فكلُّ آيةٍ إلى جنبِ الأخرى حتَّى وإن ظننّا

---

(١) القمر: ١٥.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه الشيخ محمد العثيمين؛ خرَّجَ أحاديثه واعتنى به: سعد الصميل، الطبعة الثانية، ذو القعدة ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي – الدمام، ١/ ٣١٧، ويُنظر: تفسير ابن عثيمين، من الحجرات إلى الحديد ص ٢٧١.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٩ .

(٤) يس: ٢.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

أنَّه لا ارتباطَ بينهما؛ فإنَّما ذلكَ إمّاً لقصُورِنا أو تقصيرنا"(١)، وقد بيّنَ المؤلِّفُ أنَّ ترتيبَ الآياتِ توقيفيٌّ بالنّصِّ (٢) والإجماعِ، وليس للعقلِ والاجتهاد فيه مجال(٣)، ولذا فإنَّ طلبَ المناسبةِ بينَ الآياتِ أمرٌ يحتّمه الاعتقادُ بتنزيهِ كلامِ الله عَزَّوَجَلَّ عن الفوضى والتناقض، لكن بشرط عدمِ التكلُّف كما مرّ معنا، وقد ذكرَ السيوطيُّ قاعدةً نافعةً في معرفةِ مناسباتِ الآياتِ؛ فقال: "الأَمْرُ الكُلّيُّ المفيدُ لعرفانِ مناسباتِ الآياتِ في جميعِ القُرآنِ هو: أنّك تَنْظُرُ إلى الغَرَضِ الذي سِيْقَتْ له السُّورة، وتنظرُ ما يحتاج إليه ذلك الغرضُ من المقدّمات، وتنظرُ إلى مراتبِ تلك المقدّماتِ في القُرْبِ والبُعْدِ من المطلوب، وتنظرُ عند انجرارِ الكلامِ في المقدّماتِ إلى ما يستَتْبعُه من استشرافِ نفسِ السّامعِ إلى الأحكامِ أو اللوازمِ التّابعةِ له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بِدَفْعِ عناءِ الاستشرافِ إلى الوقوفِ عليها، فهذا هو الأمرُ الكُليُّ المهيمنُ على حُكْمِ الرّبْطِ بينَ جميعِ أجزاءِ القرآن؛ فإذا فعلتَه تبيّنَ لك وجهُ النّظْمِ مُفَصّلاً بينَ كُلِّ آيةٍ وآيةٍ في كل سورة"(٤)، ومن أمثلةِ ذلك عند المؤلف:

ما ذكرَه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾(٥)، حيثُ يقول: " مناسبةُ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ لما قبلَه(٦) ظاهرةٌ جداً، وذلك أنّه لمّا ذكَرَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تسلُّطَ آلِ فرعونَ عليهم ذَكَرَ مآلَ هؤلاءِ المتسلِّطين؛ وأنّ اللهَ أغرقَهم،

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة يس ص: ١٠؛ ثُمّ سرد كثيراً من معاني الحكمةِ في القرآن.

(٢) وهو أن النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان إذا نزلت الآية قال: «ضعوا هذه الآية في مكان كذا من سورة كذا»،وسيأتي تخريجه في آخر المبحث.

(٣) تفسير ابن عثيمين، سورة الفاتحة والبقرة، مبحث أصول في التفسير، ١/ ٣٧، وتفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٣/ ١٧٧، ويُنظر أيضا: تفسير سورة يس ص ١١.

(٤) الإتقان في علومِ القرآن: ٣/ ٣٧٦.

(٥) البقرة: ٥٠.

(٦) وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾ (البقرة: ٤٩).

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١.
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

وأَنْجَى هؤلاء، وَأُورَثَهم أرضَهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (١)"(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)، حيثُ يقول: "مناسبةُ هذه الآيةِ لما قَبلها(٤) واضحةٌ؛ لأنّه لمّا أمرَ بالأكلِ من الطّيبات بيّنَ ما حرّمَ من الخبائث"(٥).

وعند قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾(٦)، يقول المؤلف: "مناسبةُ هذه الآيةِ لما سَبَقَ مُناسبةٌ واضحة؛ لأنّ ما سبقَ في آياتِ الصّيامِ تحريمٌ لأشياءَ خاصّةً في زمانٍ خاص؛ وهذه الآيةُ تحريمُ عامٍّ في زمانِه، وفي مكانِه؛ هذا وجه المناسبة: أنّه لما ذَكَرَ التحريمَ الخاصَّ الذي يحصلُ في الصّيامِ بيَّن التحريمَ العامّ الذي يحصلُ في الصّيامِ، وفي غيرِ الصِّيام"(٧).

وعند قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾(٨)، يقولُ المؤلف: "لمّا ذكرَ اللهَ حالَ المنافقينَ الذين يُعْجِبُكَ قولُهم في الحياةِ الدّنيا وهُم أَلَدُّ الخِصام؛ والذين إذا تَوَلّوا سَعَوا في

---

(١) الشعراء: ٥٩.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ١/ ١٧٨.

(٣) البقرة: ١٧٣.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ (البقرة: ١٧٢).

(٥) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٢٤٩.

(٦) البقرة: ١٨٨.

(٧) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٣٦٣.

(٨) البقرة: ٢٠٧ - ٢٠٨.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الأرضِ فساداً ليهلكوا الحرثَ، والنّسل - والله لا يحبُّ الفساد - ذَكَرَ حالَ قومٍ على ضدِّهم؛ وهكذا القرآنُ مثاني تثَنَّى فيه الأمور؛ فيُؤتى بِذِكْرِ الجنّةِ مع النّار؛ وبِذِكْرِ المتّقِينَ مع الفجّار... لأجْلِ أن يَبْقَى الإنسانُ في روضةٍ متنوِّعةٍ؛ ثُمّ ليَبْقَى الإنسانُ بين الخوفِ والرّجاء - لا يَغْلِبُ عليه الخوفُ فيقنَطَ من رحمةِ الله -؛ ولا الرّجاءُ فيأمَنَ مكرَ الله؛ فإذا سَمِعَ ذِكْرَ النّارِ، ووعيدَها، وعقوبتَها أَوْجَبَ له ذلك الخوفَ؛ وإذا سَمِعَ ذِكْرَ الجنّةِ، ونعيمَها، وثوابَها أَوْجَبَ له ذلكَ الرّجاءَ؛ فترتيبُ القرآنِ من لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وهو الموافقُ لإصلاحِ القلوب؛ ولهذا نرى من الخطأِ الفادحِ أن يُؤَلِّفَ أحدٌ القرآنَ مُرَتّباً على الأبوابِ والمسائلِ كما صنعَه بعضُ الناس؛ فإنّ هذا مُخالفٌ لِنَظْمِ القرآنِ، والبلاغةِ، وعَمَلِ السّلفِ؛ فالقرآنُ ليسَ كتابَ فقهٍ؛ ولكنّه كتابُ تربيةٍ، وتهذيبٍ للأخلاقِ؛ فلا ترتيبَ أحسنَ من ترتيبِ الله؛ ولهذا كان ترتيبُ الآياتِ توقيفياً لا مجالَ للاجتهادِ فيه؛ وكان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزلت الآية قال: (ضَعُوا هذِهِ الآيةِ فِي مَكَانِ كَذَا مِنْ سُورَةِ كَذَا)[1]"[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ ﴾[3]، يقول المؤلف: "مناسبةُ هذه الآيةِ لما قبلها: لها مناسبتان:

المناسبةُ الأولى: أنّه لمّا ذَكرَ حالَ من ينتفعُ بذكرى الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن لاينتفع؛ بيّنَ أنَّ كلاًّ منهم سوفَ يُحيى بعد موتِه، وسوف يُجازى على عملِه؛ فالمناسبةُ ظاهرةٌ؛ ففيها بشارةٌ للمؤمن المتذَر، وفيه إنذارٌ وتخويفٌ لمن خالف.

المناسبة الثانية: أنَّ الله تعالى لمّا ذكرَ حال هؤلاءِ المكذِّبين فإنَّ تكذيبهم بمنزلة الموت، وإذا كان اللهُ قادراً على إحياءِ الموتى إحياءً حسِّيّاً فهو قادرٌ على إحياءِ هؤلاءِ

---

(١) مسند الإمام أحمد، برقم (٣٩٩): ١/ ٤٩٠.

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة: ٢/ ٤٤٩.

(٣) يس: ١٢.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١. ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الموتى بالكُفرِ إحياءً معنويّاً"[1].

وبهذا ينتهي الحديثُ عن (نظم الجملِ والتراكيب)، وبه ينتهي ما أردتُ كتابتَه في هذا البحث، والحمد لله ربّ العالمين.

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة يس، ص:٤١، و للاستزادة حول توجيه المناسبة في هذه الآية يُنظر: تفسير نظم الدرر: ٦/ ٢٤٤ و٢٤٨. وللاستزادة من الأمثلة يُنظر: جهود الشيخ ابن عثيمين في علم التفسير، ص: ٢٨٦ فما بعدها .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

الخاتمـــة

الخاتمـــة

إنَّ لكلِّ بحثٍ ثمراتٍ يرجو الباحثُ جنيَها من خلالِ الجُهدِ المبذولِ في بحثِه، وإذ قد وصَلتُ إلى نهايةِ هذا البحثِ، وأصبحتُ أُقلِّبُ صحائفَه الأخيرة؛ فإنني أرجو اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يكونَ له فائدةٌ علميّةٌ، وأن يكونَ قد ألقى الضوءَ بشكلٍ جيِّدٍ على الموضوعِ الذي دارَ حولَه، ولعلّ أبرزَ ما خرجْتُ بهِ من نتائجَ من هذا البحثِ:

أنّ الدراساتِ البلاغيَّةَ القرآنيّةَ ما زالت غضَّةً طريَّةً، ومازالت جلُّ أبوابِ البلاغةِ – وربَّما كلُّها – بحاجةٍ إلى دراساتٍ متأنِّيةٍ مُستقصيَةٍ لجميعِ شواهدِها في الكتاب العزيز، بل إنَّ أجزاءَ البابِ الواحدِ تحتاجُ إلى دراساتٍ مستقلَّةٍ تُجمَعُ فيها كلُّ شواهدِها، ويُجمَعُ كلامُ العلماءِ فيها، ثُمَّ ينكبُّ عليها الدّارسُ ليستجليَ أسرارَها ويكشِفُ عن شيءٍ من بلاغتِها.

ولعلِّي أخرجُ من هذا البحثِ بتوصيتين:

الأولى: ينبغي أن يكون للبلاغةِ العربيّةِ حظٌّ في الدوراتِ العلميَّةِ التي تُقامُ في بلادِنا الحبيبة، ليَنكَشفَ لطلبةِ العلمِ الشّرعيِّ سرَّ إعجازِ القرآنِ الكريم –كما كانَ يفعلُ ذلك ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ– وكذلك ينبغي إدخالُ بعضِ النّماذجِ القُرآنيّةِ في المناهجِ الدِّراسيّةِ في المرحلتينِ: المتوسِّطةِ والثانويَّة، بحيثُ يُشارُ إلى شيءٍ ممّا فيها من لطائفَ ونِكاتٍ بلاغيّةٍ ممّا يُنمِّي الحِسَّ البلاغيَّ عندَ الطلاّب، ويزيدُ من يقينِهم بإعجازِ كتاب الله العزيز، ويصرفهم إلى البلاغةِ بدلاً من أن ينصرفوا عنها كما هو حالُ كثيرٍ من النَّاشِئةِ، بل ومن طلبةِ العلمِ الشّرعيِّ، بل ومن دارسِي العربيةِ من غيرِ قسمِ البلاغة.

الثانية: تفسير ابنُ عثيمين الذي درستُ مباحثَ علمِ المعاني من خلالِه، لم يَقتصرْ على تلكَ المباحثِ فحسب؛ بل إنّ مباحثَ علمَي البيانِ والبديعِ فيه تستحقُّ أن تُفردَ برسالةٍ علميّةٍ، وليس في تفسير المؤلف فحسب بل وفي تراثِه بشكلٍ عامّ؛ فأنصحُ إخواني الباحثينَ بجمعِ ذلك ودراستِه.

* هذا، وصلى الله وسلّمَ وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربّ العالمين *

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١٤٣٥/٠٣/٠٦ ٠١١
Ali Fattani

الفهـــارس

الفهـــارس

۞ ١- فهرس المصادر والمراجع.

۞ ٢- فهرس الموضوعات.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

فهرس المصادر والمراجع

(١) **الإتقان في علوم القرآن**، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، للإمام ابن قيم الجوزية، اختصره واعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

(٣) **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار**، لمحيي الدين النووي، تخريج:أحمد زهزة، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، طبعة ١٤٢٥هـ.

(٤) **أساس البلاغة**، المؤلف:أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة - ١٩٩١م.

(٥) **الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم**، د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة: مصر، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م.

(٦) **أسباب النزول**، أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري، تخريج وتدقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الذخائر - مؤسسة الريان: بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧) **إشارت الإعجاز في مظانّ الإيجاز**، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر: فرع القاهرة، الطبعة الثانية بمصر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٨) **أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها للشيخ صالح آل الشيخ**، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٤هـ.

(٩) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - الطبعة: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(١٠) **الإعجاز في تنوع وجوه القراءات**، أ.د.عبدالكريم إبراهيم صالح، دار الحرمين - القاهرة

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(١١) **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني تحقيق: سمير جابر، الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية.

(١٢) **الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم**، د. طاهر عبدالرحمن قحطان.

(١٣) **ألفية ابن مالك في النحو والصرف**، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الجياني الأندلسي دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(١٤) **الانتصار في الرَّدِّ على القدرية**، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود الخلف، نشر: أضواء السلف، ١٩٩٩م.

(١٥) **الإنصاف فيما تضمَّمنه الكشَّاف من الاعتزال**، ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي، دار الفكر: بيروت، "مطبوع بحاشية الكشاف".

(١٦) **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، للإمام ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(١٧) **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(١٨) **الإيضاح** بشرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

(١٩) **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة: ١٤١٨ه.

(٢٠) **البرهان في علوم القرآن**، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢١) **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة المعارف - الرياض،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢٢) **البلاغة تطور وتاريخ**، المؤلّف: شوقي ضيف / دار: المعارف / الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٨هـ.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(٢٣) **البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)**، المؤلف: عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني/ دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

(٢٤) **البلاغة العربية في ثوبها الجديد، "علم المعاني"**، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين: بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٤م.

(٢٥) **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد** محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة - شارع ١٤ الجمهورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢٦) **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع: عمّان - الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٢٧) **البيان والتبيين**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية: بيروت.

(٢٨) **بيِّنات المعجزة الخالدة**، د.حسن ضياء الدين عتر، دار النصر حلب، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

(٢٩) **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣٠) **التعريفات** للجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٣١) **التعليق على السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، تعليق: الشيخ محمد بن عثيمين، طُبع بإشراف مؤسسة ابن عثيمين، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى : ١٤٢٧ ه .

(٣٢) **تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣٣) **تفسير ال عمران**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى رمضان ١٤٢٦ هـ، دار ابن الجوزي - الدمام

(٣٤) **تفسير الإمام الفخر الرازى المسمى (مفاتيح الغيب)**، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة:الأولى:١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(٣٥) **تفسير البحر المحيط**، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبدالمجيد النوتي - د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت -، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣٦) **تفسير البغوي: المسمى (معالم التنزيل)**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٣٧) **تفسير البقرة**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى صفر ١٤٢٣ هـ، دار ابن الجوزي – الدمام

(٣٨) **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم**، عبدالعظيم المطعني، أميرة الطباعة: القاهرة - الناشر: مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣٩) **تفسير البيضاوي**، "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**"، أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي، دار الفكر - بيروت.

(٤٠) **تفسير التحرير والتنوير**، طبعة مؤسسة التاريخ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٤١) **تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي**، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الحديث - القاهرة.

(٤٢) **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر - بيروت: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٤٣) **تفسير السراج المنير - موافق للمطبوع**، المؤلف: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤٤) **تفسير السعدي: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلامِ المنان)**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٤٥) **تفسير الشعراوي**، راجع أصله وخرّج أحاديثه: أ.د. أحمد عمر هاشم، دار أخبار اليوم: القاهرة.

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(٤٦) **التفسير الصحيح "موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور"**، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر: المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤٧) **تفسير الطبري، المسمّى (جامع البيان في تأويل القرآن)**، المؤلّف: محمد بن يزيد بن جرير أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٤٨) **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**، محمد رشيد رضا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، الطبعة الثانية: أعيد طبعه بـ"الأوفست".

(٤٩) **تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين**، ابن أبي حاتم الرازي، حقق الجزء الأول منه: د. أحمد العماري الزهراني، وحقق الجزء الثاني: د. حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار: المدينة - دار طيبة: الرياض - دار ابن القيم: الدمام، الطبعة الأولى: ١٤٠٨.

(٥٠) **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن الجوزي بالدمام، الطبعة الأولى: ١٤١٨ه، ١٩٩٧م.

(٥١) **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر،الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٥٢) **تفسير القرطبي، المسمى (الجامع لأحكام القرآن)**، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، أعاد طبعه: دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٥٣) **تفسير اللباب في علوم الكتاب**، لابن عادل الدمشقي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٥٤) **تفسير النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان -تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.

(٥٥) **تفسير بحر العلوم**، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

(٥٦) **تفسير جزء عم**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى صفر ١٤٢٣ هـ، دار ابن الجوزي – الدمام

(٥٧) **تفسير روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربى.

(٥٨) **تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٥٩) **تفسير سورة الأنعام**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

(٦٠) **تفسير سورة الصافات**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، دار الثريا – الرياض

(٦١) **تفسير سورة الكهف**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

(٦٢) **تفسير سورة المائدة**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

(٦٣) **تفسير سورة النساء**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

(٦٤) **تفسير سورة ص**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، دار الثريا – الرياض

(٦٥) **تفسير سورة يس**، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، دار الثريا – الرياض

(٦٦) **تفسير فتح القدير الجامع بين فَنَّي الدراية والرواية**، محمد بن علي الشوكاني ،المكتبة العصرية – بيروت ، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م .

(٦٧) **تفسير في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة السابعة، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

(٦٨) **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(٦٩) **تفسير من الحجرات إلى الحديد**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ دار ابن الجوزي – الدمام .

(٧٠) **تناسق الدرر في تناسب السور**، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دراسة وتحقيق: عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميَّة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(٧١) **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م.

(٧٢) **ثلاث رسائل في إعجاز القران**، الإمام الخطابي، تحقيق الدكتور محمد خلف أحمد وَ: د.زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، ١٩٩١م.

(٧٣) **جامع الدروس**، مصطفى الغلاييني، راجعه: محمد النادري، الطبعة: الثامنة والثلاثون، ١٤٢١هـ، المكتبة العصرية – بيروت .

(٧٤) **جماليَّات المفردة القرآنيَّة في كتب الإعجازِ والتفسيرِ**، أحمد ياسوف، دار المكتبي: دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٧٥) **الجنى الداني في حروف المعاني**، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق، فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان –، الطبعة الاولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٧٦) **جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن**، للدكتور: أحمد بن محمد البريدي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.

(٧٧) **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، محمد بن علي الصبان الشافعي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

(٧٨) **ختم الآيات بأسماء الله الحُسنى ودلالتها**، د. علي العبيد، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٧٩) **الخصائص البلاغية في سورة يوسف**، محمود حسن مخلوف، رسالة ماجستير مُقدَّمةٌ لجامعةِ الأزهر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بإشراف الدكتور: محمد محمد أبو موسى.

(٨٠) **خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم العاني)**، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثامنة: ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(٨١) **الخصائص**، المؤلف: أبي الفتح عثمان بن جني، الناشر: عالم الكتب - بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.

(٨٢) **خلاصة شروط الالتفات في أسلوب الالتفات: دراسة تاريخية فنيَّة**، نزيه عبدالحميد السيِّد فرَّاخ، مطبعة دار البيان، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

(٨٣) **الدر المنثور**، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت،١٩٩٣ م

(٨٤) **دراسات جديدة في إعجاز القران**، د. عبدالعظيم المطعني، أميرة للطباعة: القاهرة - الناشر مكتبة وهبة: القاهرة الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٨٥) **دلائل الإعجاز**، عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، تحيقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

(٨٦) **دلالات التراكيب**، دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، دار التضامن: القاهرة، الناشر: مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

(٨٧) **زاد المسير في علم التفسير**، المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ

(٨٨) **زيادة حروف الجرّ بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم**، المؤلف: هيفاء عثمان فدا، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

(٨٩) **سلسلةِ الأحاديث الصحيحةِ**، محمدناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٢ه، ١٩٩٢م.

(٩٠) **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٩١) **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون،

(٩٢) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي الهمداني المصري، المحقق: محمد محيي الدين عبدالحميد،الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه،الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٩٣) **شرح الرضي على كافية ابن الحاجب**، رضي الدين الإستراباذي النحوي، تحقيق: د.عبدالمنعم سالم مكرم، القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى: ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م .

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(٩٤) **شرح العقيدة الطحاوية**، للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار المودة، ١٤٣١هـ - ٢٠١١م، خرّج أحاديثه: سليمان القاطوني.

(٩٥) **شرح العقيدة الواسطية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه الشيخ محمد العثيمين؛ خرَّجَ أحاديثه واعتنى به: سعد الصميل، الطبعة الثانية، ذو القعدة ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

(٩٦) **شروح التلخيص**، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.

(٩٧) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

(٩٨) **صحيح البخاري**، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٩٩) **صحيحِ الترغيب صحيح الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض الطبعة : الخامسة .

(١٠٠) **صحيح مسلم**: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت.

(١٠١) **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، بإشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(١٠٢) **علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبيَّة المُحدَثين**، د. طالب محمد إسماعيل الزَّوبعي، منشورات جامعة قاز يونس بنغازي، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

(١٠٣) **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين النيسابوري، تحقيق وتعليق د. حمزة النشَرْتي والشيخ عبدالحفيظ فرغلي و: د. عبدالحميد مصطفى، المكتبة القيمة: القاهرة.

(١٠٤) **فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ**، مفتي الديار السعودية سابقا، تحقيق: محمد عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة: الحكومة بمكة المكرمة .

(١٠٥) **الفتاوى الكبرى**، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦، تحقيق : حسنين محمد مخلوف .

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(١٠٦) **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم**، د. محمد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع، مكتبة العبيكان: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(١٠٧) **الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن العسكري، علَّق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (لونان) ٢٠٠٩م.

(١٠٨) **القاموس المحيط**، لمحمد بن يعقوب الفيروزُ آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م

(١٠٩) **قواعد الترجيح عند المفسرين**، حسن الحربي، دار القاسم: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(١١٠) **القول المفيد على كتاب التوحيد**، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، الجزء الأول، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

(١١١) **كتاب الأضداد**، ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة حكومة الكويت: الكويت، ١٩٦٠م.

(١١٢) **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي .

(١١٣) **كتاب سيبويه**، المؤلف: أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار النشر: دار الجيل - بيروت.

(١١٤) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبدالرزاق المهدي.

(١١٥) **الكليات**، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

(١١٦) **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

(١١٧) **لطائف المنّان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن**، د. فضل حسن عباس، دار النور للطباعة والنشر: بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١
١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(١١٨) **مباحث المعاني في تفسير روح البيان**، رسالة ماجستير ، للباحث: محمد نصيف ، جامعة أم القرى، ، إشراف أ.د. دخيل الله الصحفي .

(١١٩) **المبدع في شرح المقنع**، لابن مفلح، طبعة: المكتب الإسلامي – بيروت.

(١٢٠) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، لابن الأثير الموصلي؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(١٢١) **مجموع الفتاوى**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(١٢٢) **محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة: الثانية: ١٣٩٨هـ، دار الفكر بيروت .

(١٢٣) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد.

(١٢٤) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، للقاضي أبي محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس: ١٣٩٥ - ١٩٧٥م.

(١٢٥) **مختار الصحاح**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة الجديدة، ١٤١٥ - ١٩٩٥، تحقيق: محمود خاطر.

(١٢٦) **مختصر الخرقي من مسائل الإمام أحمد**، لأبي القاسم الخرقي، تحقيق: زهير شاويش، طبعة: المكتب الإسلامي – بيروت.

(١٢٧) **مختصر المعاني**، سعد التفتازانى الناشر: دار الفكر، الطبعة: الاولى ١٤١١هـ.

(١٢٨) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله الملقب بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(١٢٩) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، جلال الدين السيوطي، شرَحه وصحَحه وعَنونَ موضوعاتِه وعلّق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث: القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

(١٣٠) **مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية،١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م

(١٣١) **معجم البدان**، ياقوت الحموي، دار الفكر - بيروت.

(١٣٢) **معجم البلاغة العربية**، د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، ودار الرفاعي: الرياض: الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(١٣٣) **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(١٣٤) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تأليف: الإمام ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(١٣٥) **مفتاح العلوم** لأبي يعقوب السكاكي، تحقيق: زرزور، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ه ، دار الكتب العلمية – بيروت .

(١٣٦) **مفردات ألفاظ القرآن**، المؤلف: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم - دمشق والدار الشامية: بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(١٣٧) **المقتضب**، ابو العباس المبرِّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: ١٣٩٩م.

(١٣٨) **من أسرار المغايرةِ في نسقِ الفاصلةِ القرآنية**، د. محمد الأمين الخضري، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

(١٣٩) **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(١٤٠) **المُيسَّر في القرآءات الأربع عشر**، فهد محمد خاروف، دار الكلم الطيب: دمشق - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٤١) **النحو الوافي**، المؤلف: عباس حسن / الناشر: دار المعارف / الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة .

(١٤٢) **النشر في القرآءات العشر**، الحافظ أبو الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرفَ على تصحيحه ومراجعته للمرَّةِ الأخيرة: الشيخ علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي.

ماجستير علي الفطاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ١١٠ ١٤٣٥/٠٣/٠٦ Ali Fattani

(١٤٣) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**،المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(١٤٤) **النَّظم القرآني في آياتِ الجهاد**، د. ناصر الخنين، مكتبة التوبة: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(١٤٥) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(١٤٦) **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين (٣) رسائل دكتوراة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م

(١٤٧) **الوسيط للقرآن الكريم**، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧ م .

ماجستير علي الفحماني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص الرسالة	ج
الإهـــداء	هـ
شكر وتقدير	و
المقدمـــة	١
التمهيـــد، وفيه ترجمة المؤلف وعنايتُه باللغة العربيّة والدرس البلاغي	٧
اسمُه ونسبُه ومولدُه	٩
نشأتُه العلمية	٩
تدريسُه	١١
آثاره العلمية	١٢
أعمالُه وجهودُه الأخرى	١٢
مكانتُه العلمية	١٤
عِنايتُه باللغة العربية والدّرسِ البلاغي	١٦
الفصل الأول: المفردة في النظم القرآني	١٩
المبحثُ الأول: ملاءمةُ اللفظةِ للسِّياق من حيثُ المادَّة	٢١
المبحثُ الثاني: ملاءمةُ اللفظةِ للسياق من حيثُ الهيئة	٥٧
المبحث الثالث: حروف الجر	٧٦
المبحثُ الرّابع: التنكيـــــــر	١٠١
المبحثُ الخامس: التعريـــــــف	١١٦

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: النَّظْمُ في الجُمْلَةِ القُرآنيَّة	١٤٣
المبحثُ الأوَّلُ: التَّوكيـــد	١٤٥
المبحث الثاني: التقديم والتأخير	١٥٨
المبحثُ الثالثُ: أساليب الإنشاء	١٦٨
المبحثُ الرابع: القَصْـــــر	١٨٩
المبحثُ الخامس: خروج الكلامِ على خلافِ مقتضى الظاهر	٢٠٥
المبحثُ السَّادِسُ: الحَـــذْف	٢١٩
الفصل الثالث: نظْمُ الجُمَل والتّراكيب القُرآنيَّة	٢٣٣
المبحثُ الأول: الإطنـــاب	٢٣٥
المبحث الثَّاني: المناسبـــات	٢٤٧
الخاتمـــة	٢٥٨
الفهـــارس	٢٦٠
فهرس المصادر والمراجع	٢٦٢
فهرس الموضوعات	٢٧٥

ماجستير علي الفتحاني (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠١١ ١٤٣٥/٠٣/٠٦
Ali Fattani